



جمهورية مصر العربية  
وزارة التربية والتعليم  
قطاع الكتب

# تاريخ مصر والعرب الحديث

الصف الثالث الثانوى

العام الدراسى

٢٠١٣ - ٢٠١٤

غير مصرح بتداول هذا الكتاب  
خارج وزارة التربية والتعليم



جمهورية مصر العربية  
وزارة التربية والتعليم  
قطاع الكتب

# تاريخ مصر والعرب الحديث

## للف الثالث الثانوى

### ( الأدبى )

#### تأليف

أ / برنس أحمد رضوان

أ. د / عطيه القوصى

أ / عبدالرحمن يوسف العبد

أ. د / عاصم الدسوقي

أ / القطب على هلال

أ. د / عبدالعزيز نوار

العام الدراسى ٢٠١٣/٢٠١٤

## لجنة التعديل

طارق عبد النبي الحملاوى	موجه أول بمديرية التربية والتعليم ببها
جيهان حلمى عبد الرحمن	أخصائى ثانوى بمكتب مستشار المواد الاجتماعية
هند عبد الغنى نصر عامر	أخصائى ثانوى بمكتب مستشار المواد الاجتماعية
سماح صلاح إمام عبد القادر	أخصائى ثانوى بمكتب مستشار المواد الاجتماعية
وليد سيد سالم محمد	أخصائى ثانوى بمكتب مستشار المواد الاجتماعية

## مراجعة

أ. د / جمال معوض شقرة	أستاذ ورئيس قسم التاريخ كلية التربية
أ. إيناس السيد محمد القاضى	( جامعة عين شمس ) مستشار المواد الاجتماعية ( سابقا )

## تقديم

انطلاقاً من النهضة التعليمية التى تمر بها مصر فى الوقت الحالى ، والمحاولات الجادة المخلصة لتطوير التعليم بجميع مراحله، وبخاصة تطوير مناهج الثانوية العامة، بهدف التخفيف عن كاهل ابنائنا وبناتنا، وبهدف التركيز على الكيف فى التعلم وليس على الكم، والاهتمام بتنمية قدرات الفهم، والتحليل ، والابتكار بدلاً من الحفظ والاستظهار .

وفى ضوء توجيهات الأستاذ الدكتور وزير التربية والتعليم لبدء تطبيق نظام الثانوية العامة الجديد، قامت لجنة من مكتب المستشار بالتعاون مع السادة معلمى وموجهى الميدان، من أجل إنجاز مهمة فصل محتوى المنهج الشامل لمرحلتى الثانوية العامة إلى كتابين منفصلين، الأول للصف الثانى الثانوى، والثانى للصف الثالث الثانوى وذلك لحين الانتهاء من تأليف المقررات الجديدة للمرحلة الثانوية طبقاً لوثيقة المستويات المعيارية التى يراعى من خلالها تحقيق المواصفات الدولية للمناهج المقررة.

وقد ظهر كتاب تاريخ مصر والعرب الحديث للصف الثالث الثانوى فى شكله الحالى، و الذى نتمنى أن يساعد الطلاب والطالبات على استيعاب محتواه - ويحقق لهم النجاح والتفوق.

ويبرز الكتاب مظاهر بناء مصر الحديثة - ابتداء من القرن التاسع عشر وحتى الآن فى المجال الاقتصادى والاجتماعى والعسكرى والتعليمى والفكرى والظروف الموضوعية المصاحبة لهذه المظاهر، وكيف أدى هذا كله إلى بناء القوة الذاتية لمصر فى المراحل المختلفة من تطورها،

ولما كانت مصر جزء من العالم العربى أثرت فيه وتأثرت به كان من الضرورى استكمال الصورة الكلية (العالم العربى) من خلال الصورة الجزئية (مصر) - كما أبرزنا أنه إذا كانت السياسة من صنع الحكام فالبناء الحضارى من صنع الشعوب.

ولقد عرضنا نماذج لرجال مصر الأوفياء الذين اسهموا بدور هام فى تطورها من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ودور مصر الريادى فى المنطقة العربية.

والله من وراء القصد

**المؤلفون**  
**ولجنة التعديل**



# المحتويات

## تاريخ مصر والعرب الحديث

الصفحة

١

الحملة الفرنسية على مصر والشام

الفصل الأول

١٥

بناء الدولة الحديثة في مصر

الفصل الثاني

٥٣

مصر منذ الثورة العربية حتى الحرب العالمية الأولى

الفصل الثالث

٧٩

التوسع الاستعماري في البلاد العربية

الفصل الرابع

٨٩

الحرب العالمية الأولى واستقلال البلاد العربية

الفصل الخامس

١٠٣

مصر بعد الحرب العالمية الأولى

الفصل السادس

١٢٧

مصر وقضايا العالم العربي المعاصر

الفصل السابع

# تاريخ مصر والعرب الحديث

## موضوعات الكتاب

الفصل الأول  
الحملة الفرنسية على  
مصر والشام

الفصل الثاني  
بناء الدولة الحديثة  
في مصر

الفصل الثالث  
مصر منذ الثورة العربية  
حتى الحرب العالمية الأولى

الفصل الرابع  
التوسع الاستعماري في  
البلاد العربية

الفصل الخامس  
الحرب العالمية الأولى  
واستقلال البلاد العربية

الفصل السادس  
مصر بعد الحرب العالمية  
الأولى

الفصل السابع  
مصر وقضايا العالم العربي  
المعاصر

## أهداف الكتاب

يتناول هذا الكتاب تاريخ مصر والعرب الحديث منذ مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر والشام وحتى الآن، وكذا دور مصر الرائد في حل قضايا ومشكلات العالم العربي ويتحقق ذلك من خلال الفصول الآتية.

■ الفصل الأول وعنوانه **الحملة الفرنسية على مصر والشام** سيناقتش الطالب أسباب مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر ، ودور رجال الأزهر في قيادة الحركة الوطنية للتصدي لها ، كما سيناقتش نتائج هذه الحملة في مختلف مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية والعلمية في مصر آنذاك .

■ الفصل الثاني وعنوانه **بناء الدولة الحديثة في مصر** سيتعرف الطالب كيف برزت شخصية «محمد علي» على الساحة السياسية وجهوده في بناء الدولة الحديثة ، وانعكاسات ذلك على محاولات الاستقلال عن الخلافة العثمانية.

■ الفصل الثالث وعنوانه **مصر منذ الثورة العربية حتى الحرب العالمية الأولى** يتعرف الطالب أسباب الثورة العربية وأحداثها وعوامل فشلها وأحوال مصر تحت الإحتلال التي أدت إلى يقظة الكفاح الوطني ضد الإحتلال.

■ الفصل الرابع وعنوانه **التوسع الاستعماري في البلاد العربية** يحلل الطالب أسباب توجه الهجمات الاستعمارية في القرنين التاسع عشر والعشرون نحو الوطن العربي وانعكاسات ذلك على مختلف مجالات الحياة في جميع البلاد العربية من المحيط إلى الخليج .

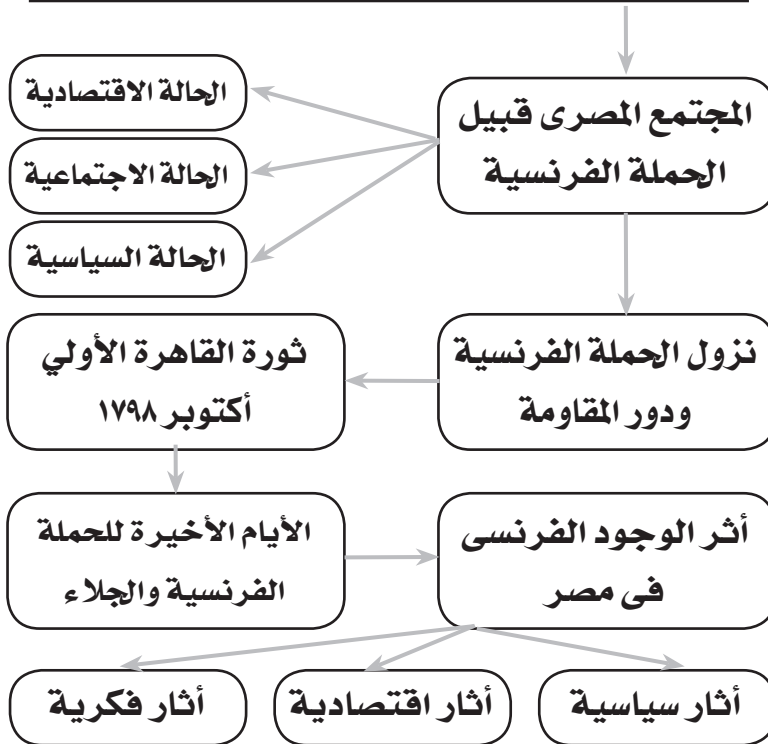
■ الفصل الخامس وعنوانه **الحرب العالمية الأولى واستقلال البلاد العربية** يقارن الطالب بين ظروف وأحوال الدولة العثمانية قبل وبعد الحرب العالمية الأولى موضعاً دور المؤامرات والاتفاقيات الدولية السرية «سايكس بيكو» في اقتسام أملاكها ثم حركة استقلال البلاد العربية .

■ الفصل السادس وعنوانه **مصر بعد الحرب العالمية الأولى** سيتعرف الطالب مقدمات ثورة ١٩١٩م وأسباب قيامها ودور المتغيرات الداخلية والدولية خاصة بعد عقد معاهدة ١٩٣٦م في توجيه مسار المفاوضات بين مصر وإنجلترا وقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

■ الفصل السابع وعنوانه **مصر وقضايا العالم العربي المعاصر** سيتتبع الطالب حركة القومية العربية وجهود مصر في نشأة جامعة الدول العربية وكذا دورها الرائد في استقلال البلاد العربية وإنهاء الصراع العربي الإسرائيلي منذ بداية القضية الفلسطينية حتى الآن.

# الحملة الفرنسية على مصر والشام (١٧٩٨ - ١٨٠١ م)

## الحملة الفرنسية على مصر والشام



### مقدمة :

درست عزيزي الطالب في الصف الثاني الثانوي، كفاح المماليك في تصفية الوجود الصليبي والمغولي من العالم الإسلامي أواخر العصور الوسطي. وجدير بالذكر الإشارة والتذكير لما تلقيتهم من دروس في الصف الثالث الإعدادي تحت عنوان «مصر في ظل السيادة العثمانية»، حيث تمكنت الدولة العثمانية من إحكام السيطرة على الأناضول والبلقان - وبعدها اتجه السلطان سليم الأول نحو الشرق مع بداية القرن السادس عشر الميلادي

## الفصل الأول

### الأهداف

- في نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:
- يتعرف أسباب الحملة الفرنسية على مصر والشام.
- يحدد خصائص المجتمع المصري قبيل الحملة الفرنسية.
- يستنتج أسباب تصدى المصريين للحملة الفرنسية.
- يصف أوضاع مصر أثناء الحملة الفرنسية.
- يلخص النتائج المترتبة على مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر والشام.
- يوضح خط سير الحملة الفرنسية إلى مصر على خريطة العالم الصماء.
- يعد تقريراً مبسطاً عن أهم النتائج العلمية للحملة الفرنسية.
- يناقش دور رجال الأزهر في قيادة الحركة الوطنية في مصر أثناء الحملة الفرنسية.
- يقارن بين ثورة القاهرة الأولى، وثورة القاهرة الثانية من حيث الأسباب والنتائج.

### القضايا المتضمنة

- العولمة.
- القانون الدولي الإنساني.

وهزم الصفويين في موقعة جالديران عام ١٥١٤ م ودخل عاصمتهم تبريز. وبعد هذا الانتصار، توجه العثمانيون نحو الدولة المملوكية في مصر والشام، حيث دارت بينهما معركة مرج دابق عام ١٥١٦ م وهُزم المماليك وسيطر العثمانيون على الشام، ثم تقدموا إلى مصر ودارت بينهما معركة الريدانية عام ١٥١٧ م وهُزم المماليك أيضا وصارت مصر ولاية عثمانية منذ ذلك التاريخ.

وقد درست عزيزي الطالب نظام الحكم العثماني في مصر، وكذلك ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ويختلف دارسي التاريخ حول بداية تاريخ مصر الحديث، هل يبدأ من دخول العثمانيين مصر في مطلع القرن ١٦، أم بحكم (محمد علي) باشا للبلاد في مطلع القرن ١٩؟

والأمر المؤكد أن اسم (محمد علي) ارتبط بمفهوم الحداثة، ومفهوم العصر الحديث جعل من عصر (محمد علي) بداية لتاريخ مصر الحديثة، نظرا لحجم التغيرات التي حدثت في البناء الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري - فمصر في عهد (محمد علي) اختلفت اختلافا يكاد يكون جذريا عن فترة الحكم العثماني - في حين أن مصر لم تختلف اختلافا جذريا عما كانت عليه في عصر المماليك السابق على الحكم العثماني. وبالرغم من أن تبعية مصر للدولة العثمانية بلغت ٣٩٧ عاماً أي ما يقرب من أربعة قرون - إلا أنها كانت من الضعف بالدرجة التي مكنت دولة فرنسا من إرسال حملة إلى إحدى ولاياتها (مصر) عام ١٧٩٨ م - أي قبل انقضاء ثلثي زمن الحكم العثماني لمصر، وقد حدث ذلك بعد نجاح الثورة الفرنسية في أوروبا.

وتعتبر الثورة الفرنسية التي قامت في ١٤ يولية ١٧٨٩ م باقتحام سجن الباستيل أول ثورة اجتماعية في أوروبا بناء على التغيرات التي زامنت الثورة الصناعية فيها، وقد قامت هذه الثورة بقيادة الطبقة الجديدة (البرجوازية - الوسطي) من أصحاب المصالح التجارية والصناعية الجديدة، وذلك بالتحالف مع طبقة العامة، وانتهت بالقضاء على النظام الملكي الإقطاعي وإعلان الجمهورية. ودخلت الثورة في تجارب مختلفة من أشكال السلطة التنفيذية والتشريعية. فقامت الجمعية التشريعية، ثم المؤتمر الوطني، ثم حكومة الإدارة التي جاءت في عهدها الحملة الفرنسية على مصر.

## الحملة الفرنسية على مصر والشام :

كانت الحملة الفرنسية على مصر والشام سنة ١٧٩٨ م جزءاً من التنافس الاستعماري بين إنجلترا وفرنسا على المستعمرات، وقد بدأ هذا التنافس في القرن السابع عشر واستمر طوال القرن الثامن عشر، ثم اتخذ بعداً جديداً بعد قيام الثورة في فرنسا التي سبق الإشارة إليها.

كان البحث عن المستعمرات خارج أوروبا إحدى خصوصيات العصر الحديث في تاريخ أوروبا بعد انتهاء الإقطاع وقيام الدول القومية ووجود الرأسمالية التجارية وخاصة بعد اتساع سوق التجارة



واتساع نطاق استغلال مصادر المواد الخام في الشرق والعالم الجديد (الأمريكتين)، وبعد قيام الثورة الصناعية أصبحت الحاجة إلى الأسواق والمستعمرات أمراً أكثر حيوية للدول الرأسمالية الأوروبية في فرض النفوذ والسيادة على مناطق مختلفة في العالم الجديد والشرق. أما تحويل مجال التنافس الإنجليزي - الفرنسي إلى مصر فهو أمر لا ينفصل عن تطور الحوادث في فرنسا بعد قيام الثورة، وإعدام الملك لويس السادس عشر، وإعلان الجمهورية (١٧٩٣م)، فحينذاك أدرك ملوك أوروبا خطر الثورة الفرنسية على عروشهم، ومن ثم بدأوا سياسة التحالف فيما بينهم للقضاء على الثورة وإعادة الملكية لفرنسا، أو منع تسرب مبادئها خارج حدود فرنسا على الأقل. كانت إنجلترا عنصراً مهماً في تلك التحالفات التي شنت أكثر من حرب ضد فرنسا، غير أن قوات الثورة بقيادة بوناپرت أحرزت انتصارات كثيرة (خلال الفترة من ١٧٩٥م-١٧٩٧م) على القوات المعادية لها، انتهت إجمالاً بتوسيع حدود فرنسا حتى بلجيكا ونهر الراين وربوع إيطاليا حتى البحر الأدرياتي والجزر الغربية من مجموعة جزر أيونيا، وأصبحت لفرنسا مكانة عالية في أوروبا. ومع كل انتصارات الثورة الفرنسية على أعدائها إلا أن إنجلترا ظلت بمأمن من ضربات بوناپرت بحكم موقعها الجغرافي المنعزل عن القارة الأوروبية، فقد كان من المتعذر على الأسطول الفرنسي نقل الجيش عبر المانش أو بحر الشمال إلى إنجلترا نظراً لتفوق الأسطول الإنجليزي، ومن هنا بدأ التفكير في ميدان آخر لضرب إنجلترا فكانت مصر. على أن فكرة احتلال فرنسا لمصر في العصر الحديث وبعد انتهاء الحروب الصليبية في العصور الوسطى، ترجع إلى القرن السابع عشر أيام حكم لويس الرابع عشر (١٦٧٢م-١٧١٤م). وكان الغرض ضرب التجارة الهولندية في الهند التي تمر عن طريق مصر، وتجددت الفكرة مرة أخرى أيام لويس الخامس عشر في القرن الثامن عشر (١٧٦٩م)، ولكن ليس عن طريق إرسال حملة عسكرية، وإنما كان ملك فرنسا يطمح في أن تتنازل الدولة العثمانية لفرنسا عن مصر، وتكررت الفكرة مرة ثالثة أيام لويس السادس عشر لتسهيل اتصال تجارة فرنسا في شرق آسيا عن طريق مصر بدلاً من الدوران حول أفريقيا. وفي الأيام الأولى للثورة تجددت الفكرة من خلال تقارير القنصل الفرنسي في مصر، حيث كان يبحث حكومة الثورة على إرسال حملة عسكرية لإنقاذ التجارة الفرنسية وتأمين تجار فرنسا في المنطقة من خطر المماليك. وكانت حكومة الإدارة نفسها تفضل ضرب إنجلترا في عقر دارها بدلاً من ضرب مصالحها في الهند عن طريق مصر، إلا أن نابليون بوناپرت كان يرى صعوبة الدخول في معركة بحرية مع إنجلترا، ومن ثم فقد انتصر مشروع غزو مصر بهدف تسهيل مرور التجارة الفرنسية إلى الشرق بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح الذي يسيطر عليه الأسطول الإنجليزي<sup>(١)</sup>، وبهدف تقويض الامبراطورية البريطانية في الشرق وإقامة امبراطورية فرنسية هناك.

(١) كانت مستعمرة رأس الرجاء الصالح في جنوب أفريقيا مستعمرة هولندية يقيم فيها البوير (ومعناها المزارعون الهولنديون) ولما احتلت قوات الثورة الفرنسية هولندا اثناء معارك وحروب الثورة، بادرت إنجلترا باحتلال المستعمرة بموافقة هولندا بصفة مؤقتة وحتى تتغير الظروف.

## المجتمع المصرى قبيل الحملة الفرنسية :

من الأهمية بمكان أن نتعرف على المجتمع المصرى الذى واجه الحملة الفرنسية من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية بشكل عام، وذلك لكى نفهم تطور الحوادث وأسباب الهزيمة، ومقاومة الاحتلال الفرنسى والثورة عليه، ولكى نعرف الفرق بين أوضاع المجتمع الفرنسى الأوروبى، وأوضاع المجتمع المصرى الشرقى، وبيان الفرق فى التطور بين القوتين الأوروبية من ناحية والشرقية من ناحية أخرى.

### ■ أولاً: من الناحية الاقتصادية :

خسرت مصر كثيراً بسبب تحول الطريق التجارى بين الشرق والغرب إلى طريق رأس الرجاء الصالح، واقتصرت صلاتها التجارية بحوض البحر المتوسط والسودان والحبشة وبلاد العرب واليمن وأسهم إرسال الضريبة المفروضة على مصر للسلطان العثماني، فضلاً عن الهدايا إلى التدهور الاقتصادي، كما تأثرت التجارة الداخلية لعدم استقرار الأمن واشتداد النزاع بين الفرق العسكرية والإغارات المتلاحقة لبدو الصحراء، فضلاً عن عدم ثبات العملة المتبادلة واختلاف المكايل والموازين من مكان لآخر. ولقد ساعدت هذه الأحوال التجار الأجانب على السيطرة على أمور التجارة بفضل تنظيمهم من ناحية وبفضل نظام الامتيازات<sup>(١)</sup> التجارية الذى تمتعوا به من ناحية أخرى.

أما فيما يتعلق بالزراعة فقد كانت الأرض ملكاً للدولة ممثلة فى السلطان، وكانت الأرض تزرع عن طريق تكليف الفلاحين بزراعتها فيما عرف بحق الانتفاع، أى أن الفلاحين لا يملكون الأرض ملكية قانونية، وإنما يزرعونها لحساب الدولة وينتفعون من ورائها بعد تسديد ما تقرره الدولة من ضرائب. وكان جمع هذه الضرائب يتم بواسطة ملتزمين يحصل الواحد منهم على التزام (امتياز) جمع الضرائب الخاصة بناحية أو مجموعة نواح من خلال مزاد عام تعرض فيه حصة الالتزام، ويعطى الالتزام لمن يرسو عليه المزاد، وهو عادة من كان يدفع أكثر ومقديماً للخزينة، وكان الملتزمون من فئات وشرائح مختلفة، منهم المماليك ورجال العسكر ومشايخ العرب والعلماء والتجار - بل والنساء فيما بعد. وكان الملتزم يحصل على قطعة من الأرض معفاة من الضرائب (تعرف بالوسية) مقابل قيامه بجمع الضرائب من المنتفعين، ولقد عانى الفلاحون كثيراً من سطوة الملتزم فى جمع الضرائب واستغلال نفوذه فى فرض إتاوات خارج الضرائب المقررة لكى يعوض ما دفعه للخزينة ويحقق فائضاً مالياً. وقد نتج عن ذلك عدم اهتمام الفلاح المنتفع بأمور الزراعة، فضلاً عن أن الدولة لم تهتم كثيراً بأمور الري وتقوية الجسور اتقاء للفيضان وحفظ الأمن.

(١) الامتيازات: هى تسهيلات تعطى للدول.

وأما الصناعة : فكانت لا تزال يدوية بسيطة لم تصل إلى الآلية كما حدث في أوروبا، وكان الصناع ينتظمون في طوائف تمثل همزة الوصل مع الحكومة من حيث جمع الضرائب والإشراف على الإنتاج، وكانت مثل هذه الطوائف قد ألغيت في أجزاء من أوروبا بفضل الثورة الصناعية وبشكل عام كانت طوائف الحرف الصناعية جزءاً من نظام الطوائف في مصر يضم أصحاب المهن المختلفة، وبمقتضاه كان لكل فرد في المجتمع مكانته تحت قيادة شيخ الطائفة، وهذا يفسر جزءاً من مقاومة القاهرة للفرنسيين كما سنري.

### ■ ثانياً : من الناحية الاجتماعية :

كان المجتمع المصري قبل الحملة الفرنسية ينقسم إلى فئتين متميزتين أشد ما يكون التمايز، وهما الحكام والمحكومين. فالحكام من الأرستقراطية التركية والبكوات الماليك، ولهم السلطة والنفوذ، وعاشوا في عزلة اجتماعية عن سائر فئات المجتمع .

وأما المحكومون المصريون فكان منهم المشايخ والعلماء والتجار، ويمثلون شريحة وسطي، والفلاحون وصغار الحرفيين وعامة الناس. وانتشر الجهل وسادت الخرافات والشعوذة، ولم يبق من نور العلم إلا بصيص في الأزهر، مع إغلاق باب الاجتهاد في الدين.

والخلاصة : أن الفرق كان واضحاً بين المجتمعين الفرنسي الأوروبي، والمصري الشرقي عند المواجهة، فالمجتمع الفرنسي كان قد تقدم بالإنتاج اقتصادياً ووصل مرحلة من التنوير سياسياً من حيث الثورة على الحكم المطلق وإقامة الجمهورية وإعلان مبادئ الحرية والإخاء والمساواة لكافة المواطنين. أما المجتمع المصري الشرقي العثماني فكان لا يزال نظاماً عسكرياً، واقتصادياً راكداً بشكل عام وجد فيه الأجانب وسيلة سهلة للسيطرة. وبالمقارنة بين المجتمعين يلاحظ أن ميزان القوة المادية والتفوق الحضاري كان في صالح الغرب الفرنسي.

### ■ ثالثاً : من الناحية السياسية :

كانت مصر بعد هزيمة الماليك بقيادة السلطان طومان باي قد أصبحت ولاية عثمانية في ١٥١٧م، ولم يختلف الحكم العثماني في منهجه العام عن حكم الماليك السابق عليه إلا في استحداث أساليب وأدوات التبعية للسلطان العثماني. وقامت في مصر العثمانية ثلاث إدارات تحكم مصر كل منها تراقب الأخرى وهي :

● الوالى : وهونائب السلطان .

● الديوان : وسلطته مراقبة الوالى بل وعزله .

● البكوات الماليك : لإدارة شئون الأقاليم.

ولقد حمل هذا النظام فى طياته عوامل ضعفه بسبب قصر مدة حكم الوالى وزيادة سلطة الديوان والحامية العسكرية مع ضعف الدولة العثمانية أواخر القرن ١٧، ولذلك تطلع البكوات المماليك للإنفراد بالحكم فى البلاد. وقد وضع هذا أيام على بك الكبير زعيم المماليك فى ١٧٦٣م، حيث انتهز فرصة حروب الدولة العثمانية مع روسيا (١٧٦٨م) فعزل الوالى العثمانى ومنع قدوم غيره، وامتنع عن دفع الخراج، بل وضرب النقود باسمه.

وكان على بك الكبير هذا طموحاً حيث قام بإخضاع الحجاز لنفوذه، وأرسل نائبه محمد بك أبو الذهب لغزو الشام، ونجح أبو الذهب فى دخول دمشق، إلا أنه انحاز للسلطان العثمانى واتفق معه ضد على بك الكبير، وعادت مصر ولاية عثمانية تحت حكم شيخ البلد محمد بك أبو الذهب، وشهدت الفترة التى تلت حكم (أبو الذهب) صراعات متواصلة بين المماليك أنفسهم أسهمت فى تدهور اقتصاديات البلاد وإلى تقلص التجارة الخارجية، وعندما هبطت الحملة الفرنسية أرض مصر كانت مصر تحت حكم ثنائى مملوكي: إبراهيم بك ومراد بك.

### نزول الحملة والمقاومة :

وجد نابليون بونابرت شكل (١) أن خير وسيلة لتوطيد سلطة فرنسا فى مصر أن يعمل على مجاملة الدولة العثمانية بقدر المستطاع، واجتذاب المصريين إلى صفه، وذلك بإفهامهم أنه إنما جاء لمحاربة المماليك الغرباء عن البلاد والذين يستنزفون ثروة مصر ويظلمون أهلها، وأنه يرمى إلى إنشاء حكومة أهلية يكون الحكم فيها للمصريين، وقد عبر عن ذلك فى منشوره بتاريخ ٢٧ يونيو ١٧٩٨ وزعه فى مصر قبل وصول الحملة إلى الشواطئ المصرية يقول فيه :



شكل (١) نابليون بونابرت

إننى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن العظيم، وأن جميع الناس متساوون عند الله، وأن الشيء الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط، وأنه إذا كانت الأرض المصرية التزاماً للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم.

وفى الوقت نفسه هدد بحرق القرى والمناطق التى تتعرض للقوات الفرنسية. فوجئ الحكام المماليك بنزول الحملة فى أوائل يوليو ١٧٩٨م، وكانت قوتهم قد استهلكت فى النزاعات الداخلية فيما بينهم، فلم يوجهوا اهتماماتهم إلى تحصين حدود البلاد لمواجهة أية أخطار محتملة. وقبل أن تصل قوات المماليك من



القاهرة بقيادة مراد بك لملاقاة الفرنسيين، كان أهالي الإسكندرية بزعامة السيد محمد كريم حاكم المدينة قد واجهوا قوات الغزو، ولهذا اعتقلته القوات الفرنسية، ثم أعدم رمياً بالرصاص (٦ سبتمبر ١٧٩٨م).

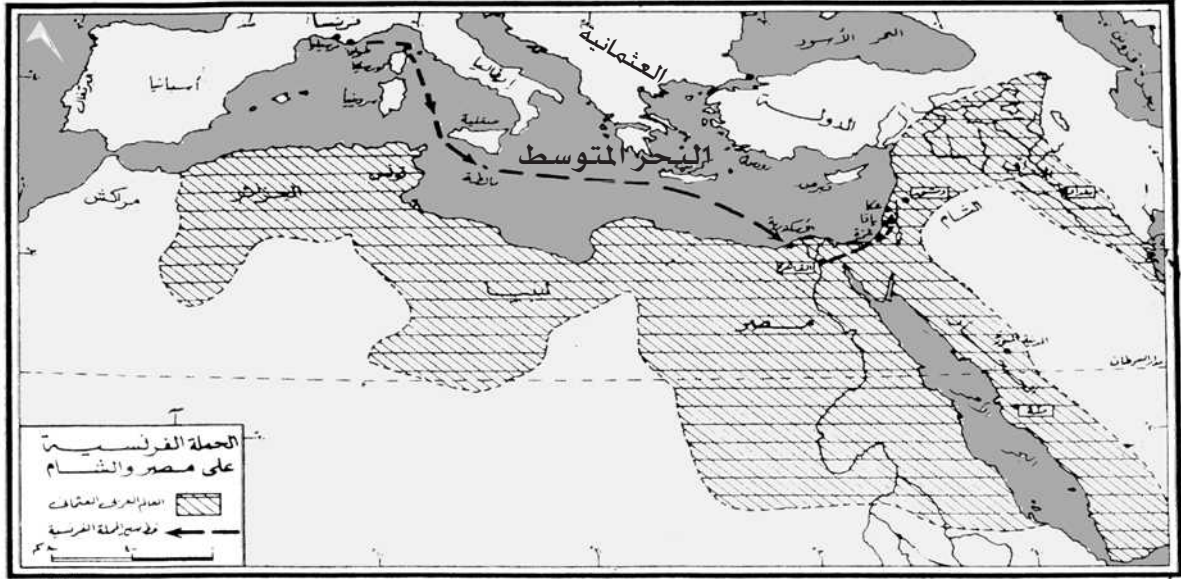
واصلت القوات الفرنسية زحفها في طريقها إلى العاصمة، فالتقت بقوات مراد بك بالقرب من شبراخيت في البحيرة (١٣ يولية ١٧٩٨م)، حيث هزم وتقهقر جنوباً للدفاع عن القاهرة ورابط عند إمبابة، وهناك واجه المماليك الفرنسيين مرة أخرى حيث هزموا وفر مراد بك إلى الصعيد وهرب إبراهيم بك ومعه التوالتى العثمانى إلى الشام، وبذلك خلت القاهرة من أية قوة للدفاع، ولكن في شهر أغسطس أغرق الأسطول الإنجليزى بقيادة نلسون أسطول الحملة في معركة أبى قير البحرية، فقضى على آمال فرنسا فى بسط سيادتها على حوض البحر المتوسط، وحرمت الحملة فى مصر من إمدادات فرنسا لها.

اعتزم بونابرت إنهاء المقاومة فى الصعيد لخطورة ذلك على الملاحة فى نهر النيل، وكان مراد بك قد منع وصول المراكب فعلاً، وفى البداية فكر نابليون فى أن يترك لمراد بك حكم الصعيد من مديرية جرجا وحتى الشلالات تحت الإشراف الفرنسى مع أداء الضرائب اللازمة. لكن مراد رفض التسليم بذلك. فزحفت القوات الفرنسية ضده وانتصرت عليه، ولكنها أخفقت فى إخضاع الأهالى الذين اتبعوا حرب المناوشات والمعارك المتفرقة هنا وهناك والتي أنهكت قوة الفرنسيين نظراً لطول الوادى، ولقد استمرت مقاومة الصعيد مدة طويلة قرابة عشرة شهور أكبر من مدة مقاومة الوجه البحرى. شكل رقم (٢).

حيث كانت روح المقاومة فى الصعيد قوية بدرجة ملحوظة. ومما ساعد على استمرارها ما يلى:

■ وجود اتصالات بين أهالى الصعيد وبين البقية الباقية من جيش المماليك. كما أن قوة محدودة جاءت من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر وانضمت إلى المقاومة.

■ طول الوادى جنوباً وبعد الصعيد عن مركز الحكم فى القاهرة بعكس الوجه البحرى الذى استسلم فى أقل من شهر ونصف الشهر ربما لقربه من الحكومة المركزية فى القاهرة وشعور الأهالى بمرارة وقسوة الحكم المباشر للمماليك. وظلت القوات الفرنسية تحارب حرباً واسعة مترامية الأطراف من الجيزة شمالاً وحتى أسوان جنوباً، ومن القصير شرقاً إلى واحات الصحراء الغربية دون أن تخضع البلاد خضوعاً تاماً، وهكذا أخذت المقاومة فى الصعيد شكل الشعور الوطنى تجاه الأجانب الفرنجة، وهو الشعور الذى أخذ يتعاظم ويتبلور فيما بعد عند مواجهة محاولة انجلترا دخول مصر فيما بعد فى عام ١٨٠٧م.



شكل (٢) خريطة توضح خط سير الحملة الفرنسية على مصر والشام

## ثورة القاهرة الأولى (أكتوبر ١٧٩٨م) :

خلال معارك القوات الفرنسية لإخضاع الصعيد اندلعت ثورة فى القاهرة ضد الحكم الفرنسي، وتتلخص أسبابها فيما يلى :

■ فرض ضرائب فادحة وخاصة على التجار خلافاً لما وعد به نابليون من حيث إنصاف المصريين من ظلم المماليك.

■ تفتيش البيوت واقتحام الدكاكين بحثاً عن الأموال.

■ هدم أبواب الجارات والدروب حتى يسهل اقتحام الجارات لمطاردة عناصر المقاومة.

■ هدم كثير من المباني والآثار والمساجد بحجة تحصين القاهرة.

على أن فرض الضرائب الكثيرة كان من أكبر عوامل الثورة، ولما كان عبؤها الأكبر وقع بدرجة أكبر على التجار والملاك وأصحاب الصناعات فقد أمدوا الثورة بالمساعدات المادية.

ولقد قاد الأزهر الثورة، ونظم قبول المتطوعين بأسلحتهم، وكانت المقاومة شديدة حتى لقد قتل حاكم مدينة القاهرة الفرنسى (ديبوي) ومعه نحو مائتين، وقتل من المصريين نحو ألفين، وقد أخذت الثورة بالقمع والإرهاب الشديد حيث دخلت القوات الفرنسية الجامع الأزهر بخيولهم فأهاج هذا التصرف الشعور الدينى لدى المصريين، وامتدت ثورة القاهرة إلى الأقاليم المجاورة، حيث أشترك أهلها بالرجال والعتاد عندما وصلتهم رسائل من قيادة الثورة للانضمام إلى الصفوف، وقد اتضح هذا من توقيع القيادة الفرنسية الغرامات على تلك البلاد واعتقال جماعة من الأعيان ومشايخ البلاد بتهمة الاشتراك.

## الأيام الأخيرة للحملة الفرنسية والجلاء :

كانت الدولة العثمانية تسعى لاسترجاع مصر من الفرنسيين، وتحقيقاً لذلك عقدت معاهدة مع إنجلترا وروسيا للاشتراك معاً في إخراج الفرنسيين بالقوة العسكرية بواسطة حملتين، واحدة من جهة الشام والثانية من جهة الإسكندرية .

فلما علم بونابرت بذلك أرسل قواته إلى الشام من جهة العريش (مارس ١٧٩٩م)، ولكنه لم يستطع اقتحام مدينة عكا لحسن دفاع حاكمها أحمد باشا الجزائر، بمعاونة الأسطول الإنجليزي، ففضل نابليون عائداً إلى مصر، ولم يكد يصل إلى القاهرة ، حتى جاءه نبأ وصول الأسطول العثماني إلى جهة أبي قير يوليو ١٧٩٩م، فتوجه إلى هناك وهزم العثمانيين شر هزيمة. في تلك الأثناء بلغت بونابرت المتاعب التي تواجهها حكومة الإدارة في فرنسا مع النمسا وحلفائها، فقرر العودة سراً تاركاً أمر الحملة في مصر لنائبه كليبر (١٨ / ٨ / ١٧٩٩م).

ترك بونابرت مصر والأخطار تهدد الحملة الفرنسية من كل جانب، فالجيش في تناقص عددي بسبب المعارك والحروب الداخلية والخارجية، والدولة العثمانية أرسلت حملة أخرى إلى العريش ودمياط، والمماليك عادوا للمقاومة مرة أخرى، وتجددت ثورة المصريين في الشرقية وامتدت إلى وسط الدلتا وغربها. أدرك كليبر صعوبة التغلب على هذه الأمور، ورأى أن من المصلحة مغادرة الحملة لمصر، ومن ثم قرر عرض أمر الصلح على الصدر الأعظم للدولة العثمانية وقائد الأسطول الإنجليزي في البحر المتوسط، على أن يخرج بجنوده إلى فرنسا على نفقة الدولة العثمانية، وقد اتفق على ذلك فعلاً في معاهدة عرفت بمعاهدة العريش (يناير ١٨٠٠م). ولما علمت حكومة إنجلترا بمضمون الاتفاق اعترضت وطلبت استسلام الجيش الفرنسي، فرفض كليبر، وكان كليبر بعد الاتفاق قد سمح للقوات العثمانية بدخول مصر حيث أخذوا يجمعون الضرائب والمعونات قسراً، ولما تحقق كليبر من نقض اتفاق العريش بإيعاز من إنجلترا، هاجم القوات العثمانية وأعادها متقهقرة إلى الشام مرة أخرى.

وانتهز المصريون في القاهرة فرصة متاعب الفرنسيين على ذلك النحو، فقاموا بالثورة (الثورة الثانية في مارس - إبريل ١٨٠٠م)، وهاجموا معسكرات الجيش الفرنسي، وسرعان ما أخدمت القوات الفرنسية الثورة في القاهرة وبعض بلدان الوجه البحري، أما الوجه القبلي فقد توصل الفرنسيون إلى إخضاعه بالاتفاق مع مراد بك لكي يحكم الصعيد تحت الحكم الفرنسي، فقبل مراد بك حتى لا يعود الأتراك مرة أخرى لحكم مصر. قتل كليبر (١٤ يونيو ١٨٠٠م) على يد سليمان الحلبي أحد طلاب الأزهر، وتولى مينو أمور الحملة وكان -بعكس كليبر- ينوي الإقامة في مصر وتحويلها إلى مستعمرة فرنسية كبرى، وتحقيقاً لذلك قام بوضع خطة إصلاحية في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والصحة والنظام القضائي. لم يتوقف الإنجليز عن فكرة إخراج الفرنسيين من مصر، ولهذا

أرسلت إنجلترا أسطولاً جديداً إلى أبي قير (فبراير ١٨٠١م)، وانضم إليه جيش عثماني، ولم تستطع القوات الفرنسية المقاومة حيث استسلمت أمام القوات الإنجليزية العثمانية التي دخلت مصر ومعها زعماء المالكيك: إبراهيم بك، والبرديسي، والألفي، وأيضاً السيد عمر مكرم، وغادرت الحملة الفرنسية مصر في ١٨ سبتمبر ١٨٠١م.

### أثر الوجود الفرنسي في مصر (١٧٩٨م - ١٨٠١م) :

لم تكن الحملة الفرنسية على مصر مجرد حملة عسكرية تقليدية للغزو والاحتلال، وتهدف فيما تهدف إليه من ضرب للمصالح البريطانية في الهند، ويتضح هذا من مجموعة العلماء الذين صاحبوا الحملة، وعلى هذا عمل بونابرت على تنظيم أمور الإدارة والحكم في مصر على نمط ما حدث في فرنسا بعد الثورة من حيث نقل السلطة إلى الطبقة الوسطى وهم الأعيان في مصر، ولكنه كان نقلاً شكلياً بحث دون أن تكون هناك فرصة حقيقية للممارسة الفعلية إذ كان غرض بونابرت في النهاية التعرف على ما يدور في أذهان صفوة المصريين.

#### ■ أولاً - الآثار السياسية - دواوين الحكم

لما كان نابليون بونابرت غريباً عن المجتمع المصري، وكانت معرفة هذا المجتمع ضرورية بالنسبة لتخطيط سياسات الحكم، فقد رأى خير وسيلة لبلوغ هذا الهدف الاتصال مباشرة بطبقة العلماء والأعيان لما لهم من نفوذ ومكانة مرموقة بين الأهالي، ومن خلالهم وبواسطتهم يستطيع تقرير ما يراه، ومن هنا كانت فكرة دواوين العاصمة والأقاليم ثم الديوان العام وسلطات كل الدواوين مقيدة بالمصالح الفرنسية.

**ديوان القاهرة :** ويتألف من تسعة أعضاء من المشايخ والوجهاء للتداول في أحوال العاصمة.

**دواوين الأقاليم :** ويتألف في كل مديرية من المديريات (المحافظات حالياً) ديوان من سبعة أعضاء للنظر في المصالح والشكاوي، والعمل على منع المشاحنات بين القري، ويتولى جباية الأموال والضرائب المقررة على الأهالي.

**الديوان العام :** ويمثل سلطة مركزية عليا، ويتشكل من دواوين القاهرة والمديريات، وقد كونه نابليون بونابرت من الأعيان والشخصيات التي لها نفوذ بين الأهالي من أصحاب العلم والكفاية بواقع تسعة مندوبين عن كل مديرية (ثلاثة من العلماء، ثلاثة من التجار، وثلاثة من مشايخ القرى ورؤساء العربان).

وكان الهدف من هذا الديوان العام المركزي وفقاً لتعليمات نابليون بونابرت هو تدريب الأعيان المصريين على نظام مجالس الشورى من حيث الاستشارة وتلقى الآراء فيما يعود على الأهالي بالنفع في مجالات القضاء والمواريث والملكية العقارية والضرائب. ولقد رأس هذا الديوان الشيخ عبد الله الشرقاوي من علماء الأزهر، وتم اختياره بالاقتراع السري من بين جملة الأعضاء.

### تطوير تنظيم الديوان العام:



عندما قام المصريون بثورتهم الأولى في القاهرة ضد الفرنسيين (أكتوبر ١٧٩٨م)، قام نابليون بتعطيل أعمال الديوان العام، وبعد انتهاء الثورة أعاد بونابرت العمل به بعد أن وضع له نظاماً جديداً أوسع نطاقاً من نظامه السابق القديم ليجعله أكثر قدرة على ممارسة نشاطه. وكان النظام الجديد يقضى بتقسيم الديوان إلى هيتين هما :

**الديوان العمومي :** ويتألف من ستين عضواً اختارهم الفرنسيون بالتعيين من ممثلين عن الأعيان والمشايخ والعلماء، والعسكر، والتجار والصناع، والأقباط، والأجانب. ويختار هؤلاء جميعاً رئيس الديوان من بينهم.

**الديوان الخاص:** ويتألف من أربعة عشر عضواً تم انتخابهم من الديوان العمومي، ويجتمع يومياً للنظر في مصالح الناس. وفي أيام حكم مينو قام بدمج الديوانين مرة أخرى في ديوان واحد، وجعل له اختصاصات واضحة في القضاء.

### ■ ثانياً - الآثار الاقتصادية والاجتماعية

لم يتمكن نابليون أو كليبر من تنفيذ سياسات خاصة بالمجالات الاقتصادية والاجتماعية، نظراً لظروف عدم استقرار أحوال الحملة في مصر أيام حكمهما، من حيث مواجهة ثورات المصريين ومطاردة المماليك ومواجهة الإنجليز والعثمانيين على نحو ما سبقت الإشارة إليه، وقد حالت مثل هذه الظروف دون دراسة الواقع المصري لاقتراح ما يمكن من مشروعات.

وما أن تولى مينو الحملة بعد مقتل كليبر، حتى قرر البقاء في مصر فأشهر إسلامه وتزوج بمصرية من رشيد وخطط لتحويل مصر إلى مستعمرة فرنسية متميزة، وبدأ في القيام بمشروعات في مجالات مختلفة تحقيقاً لهذا الغرض من خلال ما يسمى بالمشروع العظيم (١٨٠١م)، والذي قامت فلسفته على الأسس التالية :

■ المساواة بين المصريين فيما يؤدونه من ضرائب.

■ حرمان الملتزمين من ممارسة شئون القضاء والإدارة التي درجوا على القيام بها منذ طبق نظام الالتزام في مصر.

■ إلغاء كافة الضرائب التي ابتكرها الملتزمون والبكوات المماليك مثل: الميري، والبراني، والفايض، وتقرر ضريبة واحدة تقوم على حساب عدد أفدنة الحيازة، وحسب درجة الجودة، وتحقيقاً لذلك ألف لجنة لمسح الأراض لمعرفة الحيازة وتحديد الجودة.

■ تحرير الفلاح من جميع القيود المالية والقضائية ليصبح في مقدوره أن يتصرف في الأرض التي في حوزته، حيث ورد في المشروع أن الفلاحين هم ملاك الأرض (مادة ١٤، ١٥)، وأن جميع ملاك الأرض لهم مطلق الحرية في أن يزرعوا ما يشاءون (مادة ٢٦). لكن جلاء الحملة حال دون تنفيذ بنود هذا المشروع.

١- في مجال الزراعة : قام علماء الحملة بدراسة مجرى نهر النيل وفحص القنوات والجسور، وتم

تخصيص جزء من الأراضي الزراعية العامة لإنتاج الغلات التي تحتاجها فرنسا، وعلى هذا أجريت تجربة لزراعة البن وقصب السكر، وتم إنشاء حديقة لزراعة النباتات المجلوبة من فرنسا مثل الخوخ والشمش والكمثرى والتفاح، واهتمت الحملة بزراعة الأرز والقمح والذرة وغيرها من الغلات التقليدية الموجودة فعلاً. وقد أثمرت هذه الجهود فانتعشت الزراعة في مصر.

٢- وفي مجال الصناعة؛ اقترح مينو إنشاء مصنع للنسيج لا يضم عمالاً مصريين حتى لا تتسرب أسرار الصناعة إليهم. وكانت القاعدة أن يستقدم عمالاً من فرنسا، وقد حدث ذلك بالنسبة للنسيج والحدادة وصناعة الساعات والدباغة وصناعة حروف الطباعة، كما تم إنشاء طواحين هواء وإصلاح دار الصناعة (الترسانة) والتي كان مراد بك قد أنشأها في الجيزة.

٣ - وفي مجال التجارة؛ اهتم مينو بإحياء التجارة التي ركدت بسبب حصار الإنجليز للشواطئ المصرية ووجود الجيش العثماني في سوريا، وعلى هذا الأساس استطاع مينو أن يفتح أسواقاً لمصر في بلاد البحر الأحمر حيث سارت المراكب بين جدة وينبع والسويس محملة بالأنسجة القطنية والشيلان الصوفية والحرائر والبن، وكان نابليون أول من بدأ سياسات التفاهم مع شريف مكة. وكان ضمن برنامج مينو إجراء علاقات مع سنار ودارفور في السودان والحبشة وبلدان شمال أفريقيا.

٤- وفي مجال الصحة العامة؛ تم إنشاء محاجر صحية في القاهرة والإسكندرية ودمياط ورشيد من واقع دراسات المجمع العلمي<sup>(١)</sup>، وأنشئ أيضاً مستشفى عسكري.

٥- وفي مجال القضاء؛ أجرى نابليون بعد عودته من حملة عكا تغييراً في نظام القضاء الشرعي المعمول به آنذاك، حيث جعل العلماء المصريين يتولونه بطريق الانتخاب فيما بينهم بدلاً من القضاة الأتراك. كما حدد النظام رسوم التقاضي بواقع ٢٪ من قيمة المتنازع عليه. وكانت قبل ذلك متروكة للأهواء.

أضاف مينو إلى هذا الإصلاح إصلاحاً آخر في التقاضي بين الناس، حين قرر رفض مبدأ «الدية» وترك هذا الأمر إلى القضاء والخضوع لأحكامه فيما يتعلق بالمنازعات، كما قرر مينو إنشاء محكمة لكل طائفة من الطوائف الموجودة: القبط، والشوام، والأروام، واليهود، كما تقرر عرض الأمر على القضاء الإسلامي (المحكمة الشرعية) إذا رغب أحد طرفي الخصومة من غير المسلمين أو كليهما في ذلك.

تحددت ضريبة التركات والأموال المنقولة بمقدار ٥٪ ولم تكن محددة أيام المالك، مع تعميم الضريبة على جميع من يقيم في مصر أو كانت جنسيتهم أو ديانتهم، وألزم الجميع بما في ذلك الفرنسيين بدفع الضرائب العامة للخزينة، وعمل على توحيد الضرائب كلها في ضريبة واحدة وهي ضريبة الأرض الزراعية.

### ■ ثالثاً : الآثار الفكرية العلمية

وهي أبرز مؤثرات الحملة الفرنسية؛ إذ كان مع الحملة طائفة من علماء فرنسا النابغيين في مختلف فروع

(١) انظر كتاب المجمع العلمي

علوم العصر، وطائفة من رجال الفنون من المصورين والرسامين والموسيقيين والمثاليين بلغوا جميعاً نحو ١٤٦ عالماً.

### المجمع العلمى المصرى :

أقام نابليون بجانب الديوان العام الذى سبقت الإشارة إليه مجلساً له صفة علمية وله علاقة بإدارة الحكومة فى الوقت نفسه، وهو المجمع العلمى المصرى، وقد اختار لعضويته خلاصة علماء الحملة فى التخصصات المختلفة مع مجموعة من كبار القادة والضباط العسكريين الذين لهم باع فى العلوم. وذلك على غرار المجمع العلمى الفرنسى فى باريس والذى كان نابليون نفسه عضواً به ؛ وقد تألف المجمع من أربعة أقسام رئيسية ، وكل قسم يتألف من إثني عشر عضواً، والأقسام هى : ( الرياضيات / الطبيعيات / الاقتصاد السياسى / الآداب والفنون ). ومهمة المجمع كما حددها نابليون العمل على تقدم العلوم والمعارف فى مصر، ودراسة المسائل الطبيعية والصناعية والتاريخية ونشرها، وإبداء الرأى العلمى للحكومة فى المسائل التى تستشيرها فيها، وبعبارة أخرى العمل على ربط السياسة بالعلم. وقد تمكن المجمع خلال فترة الحملة من إقامة مطبعة عربية وأخرى فرنسية، وإنشاء جريدتين فرنسيتين إحداهما سياسية باسم : كورييه دليجبت L'Egypte ( أى الجوائب المصرية )، والأخرى علمية اقتصادية باسم : لاديكاد أجيبسيين La Decade Egyptienne ( أى العشرية المصرية ) وتصدر كل عشرة أيام. وفكر جاك مينو فى إنشاء جريدة باسم : «التنبيه» تصدر باللغة العربية لنشر الأوامر والقرارات الإدارية لتوضيح أغراض الحكومة وتحذير الناس من الاستماع لأصحاب الميول المعادية للفرنسيين.

لقد كان وجود المجمع العلمى بكل إنجازاته نافذة أطل منها المصريون على ما يدور فى أوروبا من تقدم فى العلوم وفى الأفكار السياسية والاقتصادية بحيث اعتبرت الحملة بصرف النظر عن وجهها العسكرى صدمة حضارية وثقافية، ولا شك أن فكرة الدواوين نبهت المصريين إلى فكرة المشاركة فى الحكم بدلاً عن فكرة الحكم المطلق المستبد، ولا شك أيضاً أن الحياة الاجتماعية للفرنسيين نبهت الأذهان إلى وجود أنماط من الحياة والعلاقات فى أوروبا تختلف عن تقاليد المجتمع الشرقى، ومن ثم اتجه البعض إلى محاكاة هذا النوع من الحياة.

### وهناك ثلاثة أعمال كبرى قام بها علماء الحملة :

■ الأول : محاولة شق قناة تربط بين البحرين الأحمر والمتوسط، ولكن لم تنجح المحاولة بسبب خطأ فى حسابات مستوى مياه البحرين.

■ الثانى : جمع معلومات ضخمة عن مصر فى مختلف المجالات وبناء عليها صدر كتاب وصف مصر وهو أول موسوعة حديثة عنها.

■ الثالث : العثور على حجر رشيد مما مكن شامبليون من قراءة اللغة المصرية القديمة، وما ترتب عن ذلك من فتح أبواب التاريخ المصرى القديم.

## أسئلة الفصل الأول

١ : "لم تكن فكرة احتلال فرنسا لمصر وليدة الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م". على ضوء هذه العبارة وضح ما يلي ..

( أ ) تطور فكرة احتلال فرنسا لمصر

(ب) أحوال المجتمع المصرى الذى واجه الحملة الفرنسية وفى صالح من كان التفوق

(ج) دور الأزهر الشريف وقيادته لحركة الكفاح ضد الفرنسيين.

٢ : قارن من خلال جدول بين أسباب ونتائج كل من ثورتى القاهرة الأولى والثانية.

وجه المقارنة	ثورة القاهرة الأولى	ثورة القاهرة الثانية
الأسباب		
النتائج		

٣ : ما الأسس التى قام عليها مشروع مينو العظيم؟

٤ : ما النتائج التى ترقبت على ... ؟

( أ ) الحملة الفرنسية من الناحية السياسية.

(ب) مشاركة المصريين فى الدواوين فى عهد الحملة الفرنسية.

(ج) إنشاء المجمع العلمي.

(د) وجود نظام الطوائف الحرفية فى مصر قبيل مجيء الحملة الفرنسية.

٥ : ماذا تقول لكل من ..... ؟ فى ثلاثة أسطر

( أ ) العالم الفرنسى شمبليون.

(ب) سليمان الحلبي الذى قتل كليبر.

٦ : بم تفسر.....؟

( أ ) تعتبر الثورة الفرنسية أول ثورة اجتماعية فى أوروبا.

(ب) فشل حركة على بك الكبير.

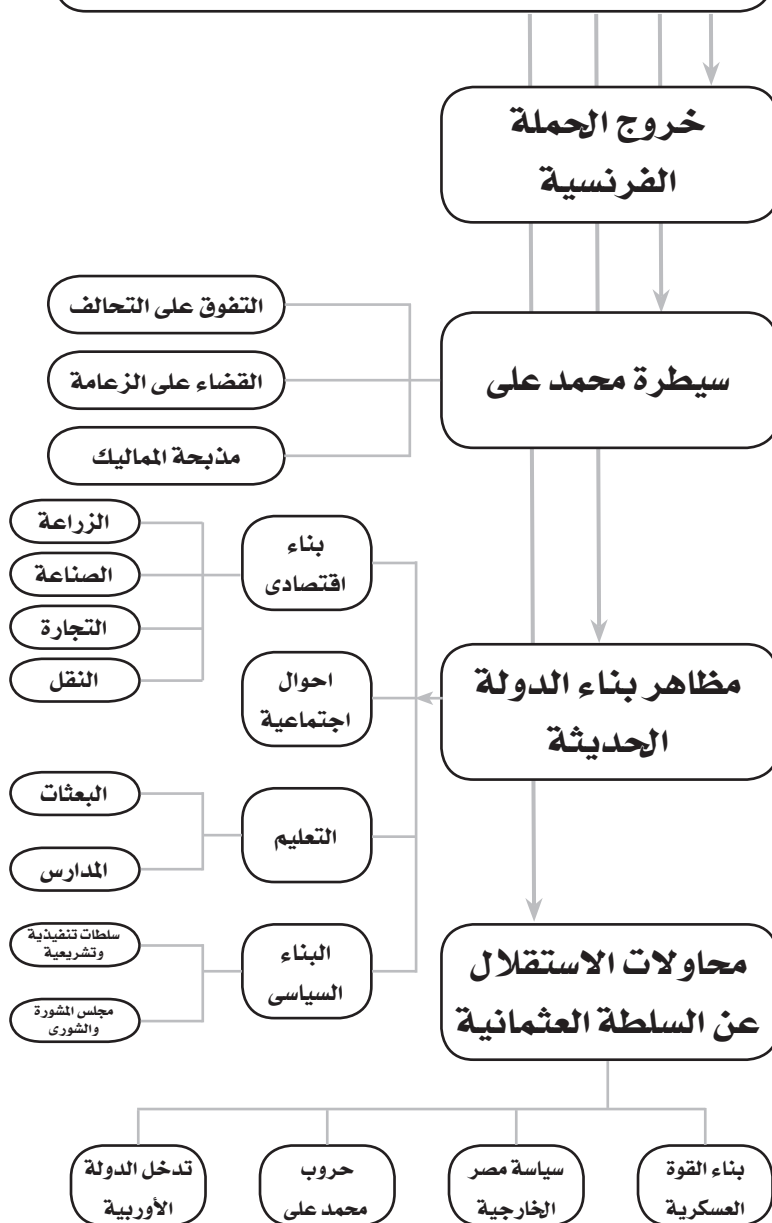
(ج) طول مدة المقاومة للحملة الفرنسية فى الصعيد.





## بناء الدولة الحديثة فى مصر مطلع القرن (١٩) وحتى الثورة العرابية

### بناء الدولة الحديثة فى مصر



### الفصل الثانى

#### الأهداف

فى نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:

■ يحدد القوى التى أثرت على الحياة السياسية فى مصر بعد خروج الحملة الفرنسية، ودور كل منها.

■ يوضح كيف وصل محمد على لحكم مصر.

■ يحدد الإجراءات التى أتخذها محمد على لتوطيد حكمه فى مصر.

■ يلخص الجهود التى بذلها محمد على للنهوض بقطاعات النشاط الاقتصادى فى مصر.

■ يفسر النتائج المترتبة على معاهدة لندن ١٨٤٠م.

■ يوضح أثر المؤامرات الأوروبية فى فشل مشروع الاستقلال للخديو إسماعيل.

■ يرسم خريطة توضح توسعات محمد على فى الوطن العربى.

■ يعد تقريراً مبسطاً عن سياسات محمد على الاقتصادية.

■ يكتب بحثاً قصيراً عن سياسة محمد على التعليمية وأثرها فى النهضة العلمية والثقافية.

■ يقدر دور محمد على فى بناء الدولة الحديثة فى مصر.

#### القضايا المتضمنة

- حسن استخدام الموارد وتنميتها.
- حقوق الإنسان.

## خروج الحملة الفرنسية والفرار السياسى فى مصر (١٨٠١-١٨٠٥) م :

بعد خروج الفرنسيين من مصر حدث تنازع على السلطة فى البلاد بين ثلاث قوى وهي: الأتراك (الدولة العثمانية)، الإنجليز، والمماليك، وكانت هذه القوى الثلاث قد اتحدت من قبل ضد الفرنسيين، لكن بعد خروج الفرنسيين أصبحت كل منها تتطلع إلى الانفراد بالحكم.

١- الأتراك: تطلع السلطان العثمانى إلى إعادة بسط حكمه ونفوذه على مصر، ولهذا عزم على محاربة المماليك والقضاء عليهم.

٢- الإنجليز: كانت إنجلترا تطمح فى أن تبسط نفوذها على وادى النيل وتحتل بعض المواقع المهمة على شواطئ البحر المتوسط والبحر الأحمر لتأمين طريق مواصلاتها إلى الهند، ومن هنا لم تكن تفكر فى إجلاء قواتها عن مصر، وكانت قد جاءت للمشاركة فى إجلاء الفرنسيين.

٣- المماليك: وكانوا يطمعون بدورهم فى استعادة حكمهم للبلاد بعد خروج الفرنسيين، وتحقيقاً لهذا فكروا فى الاستعانة بالإنجليز ضد الأتراك، ولم يبد الإنجليز من ناحيتهم أية اعتراضات بل تركوا المماليك يعيشون فى وهم عودتهم لحكم البلاد بمساعدة إنجليزية، وفى الوقت نفسه كان الإنجليز يفكرون فى استخدام المماليك للغرض نفسه. غير أن موقف المماليك كان ضعيفاً للأسباب التالية :

● قلة عددهم نسبياً بسبب المعارك مع الفرنسيين.

● انقسام صفوفهم بين جماعتى مراد بك وإبراهيم بك.

● اختلافهم حول معالجة الأمور فى مصر بعد خروج الفرنسيين، ففريق يرى التعاون مع الإنجليز والاستغلال بحمايتهم ويتزعمه محمد بك الألفى، وفريق ثانى يرى الاستنجا بفرنسا ويتزعمه عثمان بك البرديسي، وكلا الفريقين من مجموعة مراد بك، وهناك فريق ثالث رأى التوقف عن القتال والتزام الحياد وموالاته الأتراك ويتزعمه عثمان بك حسن. وكان هذا يعنى أن المماليك جعلوا من أنفسهم مجالاً لاستقطاب القوى المتنازعة أصلاً وهى الأتراك والإنجليز والفرنسيون.

## قوة الشعب المصرى :

وهذه القوة لم تكن تتصارع على الحكم مثلما كان الحال بالنسبة للقوى الثلاث، وإنما نبتت من قلب حوادث الصدام بين تلك القوى، وكانت الزعامة المصرية قد تبلورت قبل ذلك منذ أيام الغزو الفرنسى ومقاومة الفرنسيين، واتسعت خبراتها بالدخول فى تجارب الحكم والسياسة مع الفرنسيين

والاطلاع على المعارف الجديدة . ولقد أسهمت كل هذه الحوادث فى بروز شخصيات معينة من العلماء والأشراف والتجار أمثال: السيد عمر مكرم (نقيب الأشراف)، والسيد محمد السادات (من قيادات الطرق الصوفية)، والشيخ عبدالله الشرقاوى (من العلماء)، والشيخ محمد المهدي (من العلماء)، والسيد أحمد المحروقي (من كبار التجار). والذي حدث أن هذه القوة هى التى ساعدت أساساً فى التخلص من الفرنسيين والمماليك والإنجليز، وتعيين محمد على حاكماً على مصر، وكان قد جاء مع الحملة العثمانية التى قدمت لمصر (فى مارس ١٨٠١م) لإجلاء الفرنسيين<sup>(١)</sup>.

### الصراع بين القوى الثلاث:

بعد أن غادر الفرنسيون مصر، عين محمد خسرو باشا والياً على مصر من قبل السلطان العثماني، وبدأت الدولة العثمانية تعمل على استعادة حكم البلاد بالتخلص من المماليك تدريجياً، وحرص السلطان على وقوع الفرقة والانقسام بين المماليك فعين محمد الألفي، أحد زعمائهم المتنافسين حاكماً على الصعيد، ومن ناحية أخرى تم التخلص من مجموعة من أتباع مراد بك والبرديسى فى أبى قير، ومن مجموعة أخرى فى القاهرة. غير أن الإنجليز تدخلوا للحيلولة دون تنفيذ القتل فى زعماء المماليك، فاكتمسب الإنجليز بذلك تأييد المماليك، واتفق الطرفان (المماليك والإنجليز) على الانتقام من الأتراك، ومن ثم تجمع المماليك فى الصعيد لتنظيم قواتهم (أواخر يناير ١٨٠٢م).

فى تلك الأثناء كانت فرنسا قد استعادت علاقاتها الطيبة بالدولة العثمانية فخشى الإنجليز أن تؤثر مساندتهم للمماليك على علاقاتهم بالسلطان، فقرروا التخلي عن تأييد المماليك، بل نصحوهم بقبول شروط السلطان والاستسلام للحكم العثماني، وما لبثت القوات الإنجليزية أن رحلت عن مصر (مارس ١٨٠٣م) تطبيقاً لشروط صلح إميان (مارس ١٨٠٢م) بين إنجلترا وفرنسا وهولندا وأسبانيا، وذلك فى إطار تسوية حروب فرنسا فى أوروبا.

وعلى هذا توطد مركز خسرو باشا الوالى العثماني، فلما بلغ المماليك نبأ رحيل الإنجليز خافوا على مستقبلهم، ومن ثم قرر محمد بك الألفي السفر برفقة الإنجليز إلى إنجلترا بدعوى عرض قضية استقلال مصر والحصول على مساعدة الإنجليز ضد العثمانيين، وتجددت الحرب بين المماليك والعثمانيين، واستطاع المماليك احتلال المنيا وجعل الملاحة فى نهر النيل تحت سيطرتهم.

(١) ولد محمد على فى ١٧٦٩م فى مدينة قولة أحد موانئ مقدونيا ببلاد اليونان التى كانت تخضع للحكم العثماني، ودخل الجيش العثماني ثم خرج منه ليعمل بتجارة الدخان فاكتمسب خبرة فى الأمور المالية والتجارية فضلاً عن خبرته العسكرية، ولما بدأت الدولة العثمانية فى محاولات إجلاء الفرنسيين من مصر، انضم محمد على مرة أخرى إلى الجيش العثماني وجاء مع الأسطول العثماني الذى رسا فى ساحل أبى قير.



شكل رقم (٣) (محمد على باشا الكبير)

## بروز شخصية محمد على :

بدأت البلاد تواجه فترة دقيقة من الفوضى والاضطرابات والصراعات بين الفرق السياسية المتناحرة، وتعدد الولاة فى فترة وجيزة، فقد طلب خسرو باشا من طاهر باشا ومحمد على قائد القوات الألبانية والأرناؤود التوجه لمحاربة المماليك فى الصعيد ، غير أن محمد على أوعز إلى طاهر باشا لكى يطالب خسرو باشا بدفع الرواتب المتأخرة للجند ، حتى لا يذهبوا إلى الصعيد، ولما عجز الوالى (خسرو) عن دفع الرواتب المتأخرة، تمرد الجنود وهاجموا القلعة (مقر الوالى) ، حتى اضطر خسرو باشا إلى الهرب إلى دمياط.

وتم تعيين طاهر باشا واليا مكان خسرو باشا، إلا أنه لم يستمر طويلاً إذ عجز هو الآخر عن دفع الرواتب، واضطر إلى فرض ضرائب واثاثات على الأهالي، فأثار السخط العام، ومن ناحية أخرى احتجت الفرق العسكرية العثمانية (الانكشارية) على أسلوب طاهر باشا فى محاربة فرق الألبان والأرناؤود على حسابهم، فقتلوه وقاموا بتعيين أحمد باشا والى المدينة المنورة.

بعد مقتل طاهر باشا أصبح محمد على شكل (٣) القائد الوحيد للجند الألبان، وبدأ فى ترتيب المواقف حسب الظروف والأحوال، فتحالف مع المماليك (بزعامه البرديسى وإبراهيم بك) لإقصاء أحمد باشا الذى لم يمض فى الحكم إلا يوماً واحداً. ثم طرد المماليك القوات العثمانية من القاهرة وأصبح منصب الوالى خالياً.

وهنا قام السلطان العثمانى بتعيين على باشا الجزايرلى واليا على مصر، إلا أن أمراء المماليك قتلوه قبل أن يتولى أمور الحكم (يناير ١٨٠٤م) وبمقتل على باشا الجزايرلى انتهى مظهر السلطة العثمانية فى مصر، ولم تعد هناك قوى متنافسة على الحكم إلا محمد على (قائد الألبان)، والمماليك الذين زادت قوتهم نسبياً بعودة محمد بك الألفى من انجلترا بعد أن ضمن تأييد انجلترا له.

توجس محمد على خيفة من عودة الألفى، لكن عدااء البرديسى للألفى والمنافسة الحادة بين فرق المماليك وفرت على محمد على الدخول فى صراع مباشر مع المماليك، فقد قرر البرديسى اعتقال الألفى لكن الألفى هرب إلى الصعيد وأخذ يسعى فى تكوين جماعة تناصره، وانفرد البرديسى بأمور الحكم

فى القاهرة، وعاد المماليك لحالة الانقسام المعروفة بينهم.

فى تلك الأثناء عانت البلاد من أزمة اقتصادية بسبب نقص مياه فيضان النيل (فيضان أغسطس ١٨٠٣م) حيث تأثر الإنتاج الزراعى تأثراً شديداً، فنقص المحصول وانخفض الدخل العام، واضطر البرديسى إلى فرض الضرائب الكثيرة على كل الطوائف، الأمر الذى أدى إلى قيام هيجان وثورة ضد البرديسى (مارس ١٨٠٤م). وأمام تطور الموقف العام خشى محمد على أن تصيب الثورة جنوده فجاهر بالانضمام إلى العلماء والمشايخ ونزل بجنده إلى الشوارع، واختلط بالأهالى الساخطين، وتعهد للعلماء بأن يبذل قصارى جهده لرفع الضريبة عن الناس، كما أوصى جنوده (الألبان والأرناؤود) بأن يحترموا الشعب. وبهذه السياسة كسب محمد على عطف الشعب وثقة زعمائه، وبدأ الناس ينظرون إليه كرجل عادل يكره الظلم، وانتهز محمد على موجة الغضب العام ضد المماليك فهاجم مراكزهم فى القاهرة، وحاصر بيوت زعمائهم، فهرب الجميع إلى الصعيد. وبهروب المماليك إلى الصعيد حدث فراغ سياسى بالنسبة لسلطة الحكم فى القاهرة، وهنا اقترح محمد على إطلاق سراح خسرو باشا من سجنه بالقلعة وتعيينه والياً، فارتفع مركز محمد على بين العلماء لأنه بهذا الاقتراح ينفض عن نفسه الطمع فى السلطة، ويبدو أمام السلطان العثمانى بمظهر غير الطامع فى الولاية، فلما اعترض الفريق التركى من أنصار طاهر باشا على إعادة تعيين خسرو باشا، اقترح محمد على تعيين خورشيد باشا محافظ الإسكندرية باعتباره عثمانياً. وتم تعيين خورشيد غير أن خورشيد الذى كان يرقب الحوادث لم يكن ليطمئن لموقف محمد على فعمل على التخلص منه وفى سبيل ذلك أقدم على ما يلي:

١ - طلب من محمد على التوجه إلى الصعيد لمحاربة المماليك.

٢ - طلب من السلطان العثمانى إرسال فرق عسكرية لتدعم سلطة الدولة، فأرسل له السلطان فرقاً عرفت بالدلاة (ومعناه المتهورين المجانين) حيث أخذوا يعيشون فى الأرض فساداً ونهباً.

٣ - طلب من السلطان استدعاء فرق الأرناؤود والألبان التى يتزعمها محمد على إلى استانبول، فرفض محمد على تنفيذ ذلك بتأييد العلماء، فما كان من خورشيد إلا أن استصدر من السلطان قراراً بتعيين محمد على والياً على جدة (٣ مايو ١٨٠٥م) لكنه لم يمثل أيضاً استناداً إلى تأييد العلماء.

### ثورة الشعب المصرى وتعيين «محمد على» والياً على مصر.

زاد هياج الناس ضد فرق الدلاة وضد فرض الضرائب، فاجتمع زعماء الشعب من العلماء ونقباء الطوائف بدار المحكمة (١٣ مايو ١٨٠٥م)، وقرروا عزل خورشيد باشا وتعيين محمد على والياً بدلاً منه، وأخذوا عليه العهود والمواثيق أن يسير بالعدل، وألا يبرم أمراً إلا بمشورتهم، وكانت هذه أول مرة



فى تاريخ مصر الحديث التى يعزل فيها الوالى بإرادة الشعب، ويعين آخر بإرادة الشعب، وأن يكون اختياره بمعرفة زعماء الشعب.

### وتتلخص قيمة هذا الحدث فيما يلى ...

١- إن الولاة كانوا يعزلون عادة بقوة الجند وإرادة رؤساء الفرق العسكرية، أما فى هذه المرة فكان العزل والاختيار شعبياً.

٢- وجود شروط للولاية فوضعت بذلك قاعدة للحكم الدستوري، وهو ألا يفعل محمد على أمراً إلا بالرجوع إلى العلماء وعزله متى خالف ذلك.

٣- إن الاختيار والتعيين تم فى دار المحكمة، أى فى ساحة القضاء، فاتخذ معنى الاحتكام للعدالة والتمسك بالحق.

كان طبيعياً ألا يستسلم خورشيد باشا لعزله وتعيين محمد علي، وآثر المقاومة فدارت المعارك وتزعم عمر مكرم المقاومة لصالح محمد علي، حتى جاء رسول السلطان بالموافقة على تولية محمد على حيث رضى بذلك العلماء والرعية، وأن خورشيد باشا معزول عن ولاية مصر... «كما جاء فى فرمان السلطان»، وفى عهد محمد على بدأت عملية بناء دولة مصر الحديثة.

### توطيد سيادة محمد على :

قبل أن يتفرغ محمد على لأمر بناء الدولة فى المجالات الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وشئون الحكم والإدارة، كان عليه أن يطمئن لاستقرار الحكم فى يده خالصاً من عداء السلطان العثمانى له، وكذلك إنجلترا، ومن منافسة القوى السياسية الداخلية الممثلة فى الزعامة الشعبية والماليك.

### ١- التفوق على التحالف المملوكى الإنجليزى :

بعد تولية محمد على حكم مصر لم يرضخ الإنجليز بسهولة، إذ كانت إنجلترا تسعى لتولية محمد بك الألفى صنيعتها لكى تطمئن على مصالحها الاقتصادية فى المنطقة. وكان المماليك لا يزالون يتطلعون إلى إقصاء محمد على اعتماداً على تأييد إنجلترا، فانتهزوا فرصة انشغال محمد على فى الاحتفال بوفاء النيل (أغسطس ١٨٠٥م) فى مصر القديمة، وهاجموا القاهرة، وكانت الجيزة تحت سيطرتهم، إلا أن قوات محمد على استطاعت صد الهجوم ومطاردة المماليك فى الصعيد حيث تتركز قواتهم فى الفيوم وأسيوط وإسنا.

وحاولت إنجلترا إقناع السلطان بخلع محمد على وإسناد ولاية مصر إلى محمد بك الألفى، أو

إلى أى والٍ عثماني آخر، كما كان الحال قبل ذلك، بحيث تترك الأمور الداخلية للمماليك بدعوى الاستقرار، واستجاب السلطان العثماني لـانجلترا وأرسل أسطولاً لمصر يحمل أمراً بتعيين محمد على والياً على سالونيك (فى مقدونيا) مع تسليم السلطة دون معارضة أو مقاومة إلى والى عثماني جاء مع الأسطول يوليو (١٨٠٦م) .

وأمام المظاهرة البحرية عند وصول الأسطول الذى يحمل موسى باشا ١٨٠٦م اتصل محمد على بالسيد عمر مكرم ممثل الزعامة الشعبية المصرية، واتفقا على ترتيب أمر عدم الامتثال للسلطان العثماني ومقاومة الأتراك والمماليك معاً، وهنا اضطر السلطان العثماني إلى التخلي عن فكرة عزل محمد على من ولاية مصر وتثبيتته مقابل دفع أربعة آلاف كيس نقود. لكن انجلترا لم تياس من محاولات خلع محمد علي، وانتهزت فرصة تدهور علاقاتها مع السلطان العثماني بسبب انحيازه لفرنسا، فاتفقت مع روسيا على ضرب تركيا فى مصر، ومن هنا وجهت حملة عسكرية فى مارس ١٨٠٧م لاحتلال مصر وخلع محمد على وتنصيب محمد بك الألفي، وهى الحملة المعروفة بحملة فريزر.

نزلت الحملة إلى الإسكندرية ومنها إلى رشيد، وكان الألفي قد مات قبل وصولها بشهرين تقريباً، ولم تكن انجلترا تعلم بذلك، كما كان محمد على لا يزال فى الصعيد يطارد المماليك، ووقع عبء النضال والمقاومة على المصريين الذين قاوموا الإنجليز بضراوة فى شوارع رشيد وفى الحماة، وأسروا بعض الإنجليز، وقطعوا رؤوس البعض الآخر، فتقهقر الإنجليز إلى الإسكندرية للاحتماء بها.

فى تلك الأثناء عاد محمد على من الصعيد وزحف إلى الإسكندرية لإخراج الإنجليز منها، وضرب الحصار حول المدينة فلم يجد فريزر مفرّاً من طلب الصلح والجلأ مقابل الإفراج عن الأسري، ووافق محمد على ودخل الإسكندرية ظافراً.

## ٢- القضاء على الزعامة الشعبية؛

أدرك محمد على من الحوادث السابقة قوة الزعامة الشعبية ممثلة فى السيد عمر مكرم ودورها فى توليته الحكم، والقيود التى فرضتها عليه عند قبوله الولاية، كما سبقت الإشارة، كما بدأ يتوجس من زيادة مكانة عمر مكرم فى نفوس الناس نظراً لدوره الواضح فى رسم خطوط مقاومة حملة فريزر.

وقد رأى محمد على ضرورة أن ينفرد بالحكم دون وصاية شعبية. وأخذ يتربص الوقت المناسب للتخلص من السيد عمر مكرم، وقد ساعده فى بلوغ أهدافه انقسام القيادات الشعبية فيما بينها حول تقدير عمر مكرم نفسه، ومكانته التى يتمتع بها بين الناس، حيث أخذ منافسوه يدسون له عند محمد علي، وانتهاز محمد على الفرصة ليزيد من انقسام الزعامات التى كانت تختلف حول بعض المصالح المادية، ومن ذلك المنافسة

بين الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ محمد الأمير حول نظارة أوقاف الأزهر وما تدره من فوائد.

ثم وقعت الأزمة، فنتيجة لانخفاض فيضان النيل (أغسطس ١٨٠٨م) ساءت الأحوال وارتفعت الأسعار، وزادت الحكومة الضرائب، فاحتج الناس لدى العلماء، وطالب العلماء بدورهم محمد على بتخفيف الأزمة عن طريق عدم تحصيل الضرائب المقررة، فنهروهم محمد على لأنهم لم يفعلوا مع الناس مثلما فعل هو معهم - أى العلماء -، وكان محمد على يشير بذلك إلى أنه أعفى العلماء الملتزمين من دفع ضرائب الفائض من التزامهم فوضعهم بذلك فى مأزق مع الناس.

وانتهز محمد على فرصة الأزمة الاقتصادية ليتخذ بعض القرارات فيما يتعلق بالضرائب والملكية تحقق له أغراض السيطرة والانفراد بالحكم، وهكذا وفى سبيل مواجهة أزمة نقصان مياه فيضان ١٨٠٨م قرر محمد على أن يلجأ لبعض الإجراءات الشديدة مثل:

● فرض ضريبة المال الميرى على الأراضى الموقوفة وأطيان الأوسية (الخاصة بالملتزمين)،

وكانت كلها معفاة من الضرائب.

● الاستيلاء على الأطيان التى لا يثبت أصحابها حجج ملكيتها.

● إلزام الملتزمين بتقديم نصف الفائض من الالتزام ونصف الصافى من إيراد الأطيان.

● فرض ضريبة تمغة على المنسوجات والأوانى والمصوغات.

وكان لابد من موافقة السيد عمر مكرم على هذه الإجراءات طبقاً لشروط التولية، لكن عمر مكرم رفض التباحث مع محمد علي، وانتهزت العناصر المنافسة لعمر مكرم الفرصة، وأخذت توغر صدر محمد على ضده، وتفهمه أن عمر مكرم مجرد فرد عادى يستمد قوته من زملائه، فأقدم محمد على على خلعه من نقابة الأشراف وإرساله إلى دمياط (١٨٠٩م) وتولية محمد السادات مكانه وكان ضالعا فى المؤامرة وأصبح السادات أداة طيعة فى يد محمد علي.

### ٣- مذبحه المماليك :

باختفاء السيد عمر مكرم وإرساله إلى دمياط لم يبق أمام محمد على إلا المماليك، ويخلص له حكم مصر دون منافسة، وكان محمد على قد أغرى المماليك بترك الصعيد والإقامة فى القاهرة لكى يكونوا تحت بصره، وفى القاهرة أخذ المماليك يعيشون فى رفاهية بعيداً عن القتال وحياة الحرب فأمن محمد على مكرهم، ولما طلب السلطان من محمد على التوجه إلى الحجاز لضرب الحركة الوهابية كما سيأتى ذكره، خشى محمد على عودة المماليك لمناوآته منتهزين فرصة غياب الجيش فى الحجاز،

وعلى هذا دبر محمد على أمر التخلص منهم، إذ دعاهم إلى الاحتفال بالقلعة بمناسبة خروج الجيش المصرى بقيادة ابنه طوسون إلى الحجاز. وبعد انتهاء مراسم الاحتفال حوصرت فرق المماليك وتم قتلهم جميعاً إلا من استطاع الفرار (أول مارس ١٨١١م).

وهكذا انفرد محمد على بحكم مصر وبدأ فى بناء القوة الذاتية المنظمة فى النواحي الاقتصادية والإدارية والسياسية لتأكيد سيادته فى مواجهة السلطان العثمانى والدول الأوروبية الأخرى، ومن الملاحظ أن محمد على فى سياساته فى مصر كان يختلف عن المماليك، إذ كان متأثراً ولا شك بالبيئة الأوروبية التجارية التى عاش فيها قبل أن ينخرط فى الجيش العثماني، فلا ننسى فى هذا المقام أنه نشأ فى مدينة قولة اليونانية التى كانت تخضع للحكم العثماني، مما كان له أثره فى كثير من قراراته وتوجهاته، وسوف نرى، الأمر الذى يميزه بوضوح عن سابقيه من حكام مصر.

## مظاهر بناء الدولة الحديثة :

### ١- البناء الاقتصادى :

#### الاحتكار :

نظم محمد على الاقتصاد المصرى فى الزراعة والصناعة والتجارة على قاعدة الاحتكار، والاحتكار يعنى أن تقوم الحكومة ممثلة فى محمد على بتحديد نوع الغلات التى تزرع ونوع المصنوعات التى تنتج، وتحديد أثمان شرائها من المنتجين، وأثمان بيعها فى السوق، وبهذا الأسلوب يضمن محمد على الدخول فى سوق التجارة الدولية منافساً لغيره من الدول، وبمعنى آخر فالاحتكار نوع من التوجيه الاقتصادى تحت إشراف الدولة<sup>(\*)</sup>. ولنتعرف الآن على نظام الاحتكار فى المجالات الاقتصادية المختلفة :

#### ■ الزراعة :

عند تولية محمد على حكم مصر كانت الزراعة قد تدهورت نتيجة العوامل الآتية :

- نظام ملكية الأرض والانتفاع، كما سبقت الإشارة، والذى لم يكن يسمح بتنمية زراعية حقيقية.
- تراخى الفلاحين وهم الطبقة المنتجة فى أداة العمل الزراعى لأنهم لم يكونوا يحصلون إلا على الحد الأدنى من حاجات المعيشة.

(\*) هناك اختلاف بين أساتذة الاقتصاد حول تعريف مصطلح الاحتكار Monopoly بين المصطلحات الاقتصادية التالية : رأسمالية الدولة الذى يعنى قيام الدولة بدور المستثمر الرأسمالى فى مجالات النشاط المختلفة : اشتراكية الدولة ويعنى قيام الدولة بتنظيم الاقتصاد فى إطار الملكية العامة لوسائل الإنتاج الكبرى، ومصطلح المركزية، كما كان الحال فى أوروبا خلال القرنين ١٦-١٨، وقبل الثورة الصناعية، حيث يخضع النشاط الاقتصادى فى الدولة للتجارة أساساً، وتقوم الدولة بتنظيم التجارة فى الإنتاج بما تعقده من اتفاقيات تجارية دولية.

❖ تعدد الضرائب المفروضة على الفلاحين وعدم عدالتها وتركها فى أيدي الملتزمين مما أساء إلى الفلاح.

❖ إهمال الرى الأمر الذى تحولت بسببه كثير من الأراضى الزراعية إلى صحراوات، وتضاءلت خصوبة الأرض ولم تتنوع غلاتها.

وخلال ستة أعوام (١٨٠٨م-١٨١٤م) قام محمد على بسلسلة من الإجراءات انتهت إلى تغيير أوضاع الملكية والحياسة الزراعية، وذلك بإلغاء نظام الالتزام حين صادر أراضى الملتزمين، وخاصة بعد التخلص من الممالك نهائياً فى ١٨١١م، وتم تسجيلها باسم الدولة، كما ضببطت أراضى الأوقاف لصالح الدولة، وكذلك المساحات التى عجز أصحابها عن إثبات حيازتهم لها.

بعد ذلك أعاد محمد على توزيع مساحات الأرض على الفلاحين، بحيث خص كل أسرة ما بين ٣-٥ أفدنة حسب قدرة كل منها، وذلك للانتفاع بها بشرط دفع ما تقرره الحكومة من ضرائب وأموال، ولا تنزع الأرض من المنتفع إلا إذا عجز عن دفع ما عليها من أموال.

وقد نتج عن سياسة محمد على فى مجال ملكية الأرض بعد إلغاء الالتزام ثلاثة أنواع من الملكية الزراعية، كبيرة ومتوسطة وصغيرة الحجم وهي:

**الملكية الكبيرة :** وتعرف بأرض الأبعادية والجفالك وهى أراض واسعة أنعم بها محمد على على أفراد أسرته وكبار رجال الحاشية، وكبار الموظفين، وبعض الأجانب، وبعض رؤساء قبائل البدو، وقد استخلصت هذه المساحات من الأرض بعد إجراء عملية المسح، وقد حصل أصحاب هذه الأراضى على حق توريثها لأولادهم فيما بعد (١٨٤٢م).

**الملكية المتوسطة :** وتتكون من نوعين من الأراضى هما :

- أراضى الوسية التى كانت للملتزم، حيث تركها له محمد على يحتفظ بها طوال حياته.
- أراضى المسموح، وهى أراض أعطاها محمد على لمشايخ البلاد، وكبار الأعيان بنسبة ٥% تقريباً من زمام القرية معفاة من الضرائب مقابل الخدمات التى يقومون بها للحكومة من حيث استضافة موظفى الحكومة فى المهام المختلفة.

**الملكية الصغيرة :** وهى ملكية الانتفاع للفلاحين من ٣-٥ أفدنة التى سبقت الإشارة إليها.

**تطوير الزراعة :** اتبع محمد على سياسة زراعية تتلخص فى توفير أكبر قدر من الدخل من الإنتاج الزراعى بالأساليب الآتية :

- إحلال أساليب زراعية جديدة من شأنها زيادة الإنتاج وتقليل الجهد، وفى هذا الشأن استقدم



المدرسين الماهرين من كل مكان، وحدد الواجبات والمسئوليات.

- الاهتمام بالتعليم الزراعي، حيث استقدم الخبراء الزراعيين من الخارج وأنشأ مدرسة للزراعة.
- تحسين طرق الري، ومن أهم أعماله فى هذا الخصوص شق ترعة المحمودية، وترع أخرى فى الدلتا، فضلاً عن القناطر الكثيرة على النيل، وأهمها القناطر الخيرية، ونتج عن ذلك تحويل أراضى الوجه البحرى إلى الرى الدائم.

- إدخال أنواع جديدة من الغلات الزراعية مثل أشجار التوت لتربية دود القز، ونبات النيلة الهندية، وتحسين زراعة القطن؛ حتى بدأت مصر فى تصديره من عام ١٨٢٧م.

ولقد كان الاحتكار يطبق فى الزراعة على النحو التالى:

- ١- تزويد الفلاح بلوازم الزراعة من بذور ومواشى وأدوات يخصم ثمنها أو قيمتها من قيمة المحصول عند تسليمه.

- ٢- إلزام الفلاحين بزراعة ما تقرره الحكومة من الحاصلات الزراعية.

## ■ الصناعة :

كانت أحوال الصناعة عندما تولى محمد على حكم البلاد لا تلائم حاجة الجيش، والأسطول، ذلك أن نظام طوائف الحرف الصناعية خضع فى أواخر الحكم العثمانى للحكومة، وأصبح شيخ الطائفة ملتزماً، وأصبح حق الالتزام يعطى لمن يدفع أكثر. ولم تعد الطائفة مجالاً للارتقاء بالمهنة.

وعلى هذا كان احتكار الإنتاج الحرفى أو خضوع الصناعات لنظام الاحتكار، وسيلة محمد على فى تنظيم الصناعة لكى تحقق أهداف بناء القوة الذاتية للبلاد، وطبقاً لسياسة الاحتكار كانت الحكومة تقوم بمهمة توجيه الإنتاج وتوزيعه عن طريق ما يلي:

- ١- إمداد الصناع بالمواد الخام اللازمة للصناعة بالثمن الذى تحدده الحكومة.

- ٢- شراء المنتجات بالسعر الذى تحدده الحكومة.

- ٣- رفع أسعار بيع المواد الخام للصناع وخفض أسعار شراء منتجاتهم لتحقيق الربح المناسب.

وقد ساعدت هذه السياسة محمد على فى تطوير الإنتاج الصناعى بالإجراءات التالية:

- ١- إقامة مصانع حكومية تتبع الدولة مباشرة (قطاع عام)، وذلك لتوفير الصناعات المطلوبة، واستقدم خبراء من الخارج من إيطاليا، وفرنسا، وإنجلترا لأعمال السباكة، والصباغة، ومختلف الصناعات.

٢- إجبار مشايخ الحارات على جمع الصبىة للعمل فى مصانع الدولة إجبارياً، فأصبحت بمثابة مدارس صناعية.

٣- تخصيص بعثات للخارج منذ فترة مبكرة (١٨٠٩) لإيطاليا، وفرنسا، والنمسا، وإنجلترا لدراسة فنون الصناعة المختلفة وترجمة الكتب الصناعية.

## التجارة :

كان من الطبيعي، وقد خضعت الزراعة والصناعة للاحتكار أن تخضع التجارة أيضاً للاحتكار. وهذا ما قام به محمد على على النحو التالي :

١- ففى التجارة الداخلية احتكر محمد على تسويق جميع الحاصلات الزراعية، فكانت الحكومة تشتري الحاصلات وتجمعها فى شون (مخازن) بعد أن تترك لأصحابها ما يكفيهم لمدة سنة طعماً أو تقاوى بعدد أفراد كل أسرة وما لديها من مواش.

٢- أما فى مجال التجارة الخارجية، فقد قامت بها الدولة مباشرة بالوسائل الآتية :

- البيع للتجار الأجانب فى الداخل.

- البيع فى الخارج لحساب الحكومة بواسطة وكلاء فى الموانئ الأوروبية.

- احتكار تجارة الواردات، وكان محمد على لا يشجع الاستيراد كثيراً، إذ كان يرى كما شاهد فى أوروبا قبل مجيئه لمصر أن الدولة القوية هى التى تزيد صادراتها على وارداتها.

## النقل والمواصلات :

وقد اتصل بتسهيل الإنتاج الزراعى والصناعى والتجارة، تمهيد الطرق البرية، وبناء أسطول فى البحرين الأحمر والمتوسط، وإصلاح الموانئ، وخاصة ميناء الإسكندرية، وتطهير البحر الأحمر من القرصنة، حتى لقد فضلت شركة الهند الشرقية الإنجليزية استخدام طريق البحر لمرور التجارة بدلاً من الدوران حول أفريقيا.

## ٢- الأحوال الاجتماعية :

كان لسياسة محمد على الاقتصادية فى الزراعة والصناعة والتجارة أثرها فى تشكيل وبناء القوى الاجتماعية فى مصر، حيث اندثرت قوى قديمة كانت بارزة فى ظل الحكم العثمانى المباشر، وظهرت قوى جديدة أفادت من نظام محمد على ومشروعاته.

## وتتلخص الأوضاع الجديدة فيما يلي :

- ١- انتهى نفوذ المماليك كهيئة حاكمة وحل محلها أسرة محمد علي، وبعض العناصر التركية من رجالات الدولة الذين سيطروا على أمور الإدارة.
- ٢- تضاؤل نفوذ علماء الأزهر والقيادات الشعبية بإبعاد عمر مكرم وانتقال مركز القيادة من الأزهر إلى خريجى المدارس الجديدة، وأعضاء البعثات، ولو أن الأزهر ظل المورد المستمر للبعثات لفترة طويلة.
- ٣- ظهور طبقة الأعيان من كبار ملاك الأراضي الزراعية (الأبغديات والجفالك)، ومتوسطى الملاك من مشايخ البلاد والمتميزين، وقد ازدادت قوتهم وتميزهم فى المجتمع منذ منتصف القرن التاسع عشر بتوسيع حقوق الملكية.
- ٤- ظهور طبقة عمال الصناعة فى المصانع الكبرى للدولة، واستمرار طوائف الحرف للصناعات الصغيرة كوسطاء للحكومة.
- ٥- تدهور طبقة التجار وذلك لاحتكار الحكومة للتجارة الخارجية والداخلية، وبهذا اختفت الشخصيات التجارية الكبيرة أمثال أحمد المحرقى أيام الحملة الفرنسية وأوائل عصر محمد علي، وحلول التجار الأجانب ووكالاتهم وقيامهم بدور الوسطاء.
- ٦- ظهور البدو كقوة اجتماعية مستقرة، وكانوا حتى أوائل القرن التاسع عشر يعيشون حياة الترحال والتنقل، فمنح محمد علي زعماءهم أراضى واسعة فى نطاق الأبغديات للانتفاع بها واستغلالها، وتدرجياً دخل البدو فى الحياة المدنية.

## انهيار سياسة الاحتكار وآثاره :

كان من شأن سياسة الاحتكار التى اتبعتها محمد علي فى المجالات الاقتصادية المختلفة على نحو ما سبقت الإشارة، أن تغلق أسواق مصر أمام البضائع الأوروبية، وكان التجار الأجانب يتاجرون فى أنحاء الدولة العثمانية بمقتضى اتفاقيات بينها وبين بعض الدول الأجنبية فى مقدمتها فرنسا تعود إلى القرن السادس عشر، ولقد زادت حاجة أوروبا إلى الأسواق فى مصر وغيرها من بلاد الشرق بعد الثورة الصناعية، وزيادة الإنتاج زيادة كبيرة، وكان محمد علي بنظام الاحتكار الذى مارسه يقف حجرة عثرة أمام الرواج التجارى الأوروبى.

وكانت بريطانيا قد عقدت اتفاقية تجارية مع السلطان العثمانى تسمى (معاهدة بلطة ليمان) نسبة

إلى المكان الذى عقدت فيه بتركيا فى أغسطس ١٨٣٨م تنص على ضرورة إلغاء نظام الاحتكار التجارى الذى يتبعه محمد علي، على أن يبدأ التنفيذ فى يولييه ١٨٣٩م غير أن محمد علي رفض تنفيذ الاتفاقية حفاظاً على الإنتاج الداخلى فى مصر، وإبقاء لقدرته على تسويقه فى الخارج فى إطار المنافسة.

وتصادف فى الوقت نفسه قيام أزمة سياسية بين محمد علي والسلطان العثمانى بسبب توسع محمد علي فى بلاد الشام وتهديده الدولة نفسها، كما سوف نرى، وكان التقاء المصالح على ذلك النحو باعثاً لتحالف الدول الأوروبية، وعلى رأسها انجلترا مع السلطان للإيقاع بمحمد علي وفرض تسوية لندن السياسية فى ١٨٤٠م التى نفذت بمقتضاها معاهدة بلطة ليمان، وسقط نظام الاحتكار، وبدأت المنتجات الأوروبية تدخل السوق المصرية، وزالت موجة العداء الأوروبى لمصر.

### أثر سقوط الاحتكار على الأوضاع الاقتصادية :

إذا كانت سياسة الاحتكار تقوم على قيام «الدولة / الحكومة» بالإشراف على الاقتصاد جملة وتفصيلاً من حيث تحديد حجم الإنتاج وتوزيعه واستهلاكه، وضمن البيع والشراء، كما سبقت الإشارة، فإن سقوط الاحتكار يعنى رفع يد الدولة عن القيام بهذا الدور الاقتصادي، وترك المنتجين أحراراً فيما يفعلون.

كان تطبيق معاهدة بلطة ليمان فى إطار تسوية لندن ١٨٤٠ بعد هزيمة محمد علي إيذاناً ببدء سقوط نظام الاحتكار الذى وضعه محمد علي، وبداية دخول الاستثمارات الأجنبية فى مجال توظيف المال والإنتاج بمقتضى اتفاقيات تجارية مع مختلف الدول الأجنبية، وسيادة مناخ الحرية الاقتصادية، وإن كان لصالح الأجانب أكثر منه لصالح المنتج المصرى.

### وفيما يلى بيان أثر سقوط الاحتكار على الاقتصاد المصرى:

(أ) بالنسبة للإنتاج الزراعى : أصبح المزارعون أحراراً فى زراعة ما يشاءون من الغلات، وبأسلوب الذى يريدونه فحدث تأخر وجمود فى أساليب الزراعة (عصر سعيد باشا)، كما ألغيت ضريبة الدخولية التى كانت تجبى على الحاصلات والمتاجر المتبادلة بين أسواق القرى عند دخول السوق (كانت بمقدار ١٢%)، ولما احتاجت السوق الأوروبية، وخاصة انجلترا للقطن على أثر نقص واردات القطن الأمريكى بسبب الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١م-١٨٦٥م) ازدهرت زراعة القطن فى مصر وارتفع ثمنه، وحدثت محاولات لترقية أساليب الزراعة مرة أخرى من حيث إدخال نباتات جديدة (عصر إسماعيل) .

على أن أهم أثر لإلغاء الاحتكار بالنسبة للسياسة الزراعية، ما حدث بطريق غير مباشر لموضوع

الملكية الزراعية، فقد سبق أن رأينا أن الأرض كانت ملكية انتفاع، وليست ملكية رقبة (قانونية) أى يستغلها المزارع، ويؤدى ما عليها من ضرائب دون أن يملكها ملكية تامة، وذلك منذ أيام محمد علي، وقد حدث فى الفترة التالية توسيع فى حقوق الانتفاع من حيث حق المنتفع فى توريث الأرض أو هبتها أو وقفها.

ومع دخول الاستثمارات الأجنبية وانفتاح المجال أمام الإقراض من البنوك الأجنبية (أيام حكم سعيد وإسماعيل) بدأت الحكومة المصرية تواجه مشكلة سداد الديون فى مواعيدها، وفى سبيل التخلص من مأزق الديون صدر قانون المقابلة أغسطس سنة ١٨٧١م ويقضى بأن الذين يدفعون ستة أمثال الضريبة المقررة على الأرض مرة واحدة، يعفون من نصف الضريبة المقررة بصفة مستمرة، ويكون لهم حق الملكية التامة عليها وكان هذا الإجراء أحد أسباب استقرار المزارعين والفلاحين، ومن ثم الاهتمام بالانتاج.

(ب) بالنسبة للصناعة : أدى إلغاء نظام الاحتكار فى الصناعة إلى قلة إنتاج مصانع الدولة بعد إغلاق معظمها، وخاصة أنها كانت قد أقيمت كما سبقت الإشارة، لخدمة الإنتاج الحربى، وكان ضمن شروط تسوية لندن (١٨٤٠م)، و فرمان السلطان العثمانى (١٨٤١م) عدم زيادة الجيش على ١٨ ألف جندي، وعدم إنشاء سفن حربية إلا بإذن السلطان.

أما الصناعات الحرفية الصغيرة، فقد تدهورت وكسدت -رغم رفع الاحتكار عنها- وذلك لعدم القدرة على منافسة الإنتاج الأجنبى الذى بدأ يغمر السوق المحلية، حتى لقد اختفت بعض هذه الصناعات وحل الكساد بالأحياء التى ازدهرت فيها وخاصة فى القاهرة.

ومع ذلك فقد حدث انتعاش لبعض الصناعات الحربية بسبب قيام حرب القرم بين تركيا وروسيا (١٨٥٣م-١٨٥٦م) فى أواخر عهد عباس وأوائل عهد سعيد، واشترأك مصر فى هذه الحرب بناء على طلب السلطان، وفى عهد إسماعيل أيضاً استمر انتعاش تلك الصناعات بعد زيادة الجيش، ورفع القيود عن بناء المعدات الحربية حيث جددت المصانع القديمة، وأقيمت مصانع جديدة، وكذلك الحال بالنسبة لبعض الصناعات التجهيزية مثل : حلج القطن، واستخراج الزيوت، ودبغ الجلود، والصناعات التحويلية مثل صناعة السكر والغزل والنسيج والورق.

(ج) بالنسبة للتجارة : لم تتأثر التجارة الداخلية كثيراً بزوال نظام الاحتكار، إذ ظلت كثير من مظاهر الاحتكار واضحة فى التعاملات الداخلية، ولكن بدأ تدريجياً التخفيف من قيود الاحتكار حيث سمح للمنتجين الزراعيين مثلاً بإقامة حلقات لبيع الإنتاج بالمرابحة بدلاً من البيع عن طريق الشونة الحكومية، كما سمح للتجار الإنجليز بالتجار فى المنتجات الزراعية والصناعية وبيعها داخل مصر



وتصديرها للخارج، كما قام الأجانب بتوريد ما تحتاجه السوق المصرية من منتجات.

ونتيجة لزيادة حجم التجارة ونشاط الأجانب فى الاستيراد والتصدير، كان لابد من توفير وسائل النقل والطرق اللازمة فتم إنشاء الخط الحديدى بين الإسكندرية والقاهرة، وبين القاهرة والسويس، وتمهيد الطرق البرية والسكك الزراعية وتوسيع شبكة البرق والبريد، وتأسست شركتان للملاحة أحدهما بحرية والأخرى نيلية برءوس أموال أجنبية (فى عهد سعيد).

(د) قناة السويس : على أن أهم المشروعات التى ظهرت فى مناخ سقوط نظام الاحتكار ودخول الاستثمارات الأجنبية، مشروع قناة السويس بين البحر الأحمر والبحر المتوسط لتسهيل مرور التجارة بين الشرق والغرب، وبعبارة أخرى بين مناطق الإنتاج الأوروبية ومناطق التسويق والاستهلاك والمادة الخام فى الشرق.

كان محمد على قد رفض المشروع قائلاً: «لا أريد بسفوراً فى مصر»، وذلك إشارة إلى مضيق البسفور التركى وتدخل الدول الأوروبية فى السياسة التركية من أجل ضمان حرية الملاحة الدولية فيه، غير أن سعيد باشا وافق على منح امتياز حفر قناة للمسيو فردينان ديليسبس صديقه أيام الدراسة فى فرنسا مع احتكار استثمارها لمدة ٩٩ سنة من تاريخ افتتاح القناة للملاحة، وقد افتتحت القناة للملاحة فى ١١ نوفمبر ١٨٦٩م.

### وتقضى أهم شروط الامتياز بما يلي:

- ١- تنازل الحكومة المصرية للشركة عن كل الأراضى المطلوبة لحفر القناة وترعة المياه العذبة من النيل (ترعة الإسماعيلية) دون مقابل، مع الإعفاء من الضرائب، والتنازل أيضاً عن جميع الأراضى القابلة للزراعة والمحيطة بالمنطقة لاستصلاحها وزرعها مع الإعفاء من الضرائب لمدة عشر سنوات.
- ٢- للشركة حق انتزاع الأراضى المملوكة للأفراد وللأزمة للعمليات مقابل تعويض مالى عادل.
- ٣- وللشركة امتياز استخراج المواد الخام للمشروع من المناجم والمحاجر الحكومية دون ضرائب أو تعويض، ومع إعفاء الشركة من الرسوم الجمركية على جميع الآلات والمواد التى تستوردها.
- ٤- تقدم الحكومة المصرية أربعة أخماس العمال من المصريين.
- ٥- تحصل مصر مقابل الأراضى والامتيازات الممنوحة للشركة على ١٥% من صافى الأرباح، وقد خسرت مصر هذه النسبة بعد حوالى عشر سنوات من افتتاح القناة ١٨٧٩، إذ باعت نصيبها إلى اتحاد الماليين فى باريس فى يناير ١٨٨٠م وفاء لبعض الديون.

٦- تحصل مصر على ٤٤% من أسهم الشركة (١٧٧٦٤٢) سهماً من أصل (٤٠٠,٠٠٠) سهم قد باعته لانجلترا فى نوفمبر ١٨٧٥م من أجل تسوية الديون.

ورغم أن هذا المشروع له أهميته فى مجال التجارة، إلا أن تطورات تنفيذه جعلت منه مظهرًا من مظاهر التدخل الأجنبى وضعف الإرادة السياسية للدولة آنذاك.

(هـ) بالنسبة للأوضاع الاجتماعية: كان إلغاء نظام الاحتكار وإطلاق سياسة الباب المفتوح فى المجالات الاقتصادية التى تلت ذلك له أثره على طبيعة القوى الاجتماعية فى مصر.

فى مجال الصناعة: تدهورت طوائف الحرف ومكانة شيوخ الطوائف، حيث لم يصبح بإمكانهم منافسة الإنتاج الأجنبى المستورد، والذى غمر السوق الداخلية، بل إن الطوائف نفسها كنظام ألغيت فيما بعد (١٨٩١م).

فى مجال التجارة: تناقص دور التاجر المحلى لحساب الوكالات الأجنبية، وقد فتحت أبواب البلاد أمام الهجرات الأجنبية، وكان محمد على فى ظل الاحتكار لا يسمح إلا باستقدام الخبرات التى تتصل بمجالات إنتاجية معينة، واستند هؤلاء الوافدون إلى الامتيازات الأجنبية التى كانت تعفيهم من الضرائب وتمنحهم الحق فى أن يحاكموا أمام محاكم قنصليات بلادهم. وبوجود الأجانب فى المجتمع المصرى تدفقت مظاهر الحياة الأوروبية إلى مصر (أيام حكم سعيد وإسماعيل)، نظرًا لميولهما الأوروبية الواضحة، وقد ظهر ذلك فى أحياء كاملة بالقاهرة والاسكندرية.

فى مجال الزراعة: فقد تبلورت طبقة ملاك الأراضي الزراعية بمختلف شرائحها، وذلك بعد استقرار الملكية الفردية للأرض، وقد برز من هؤلاء كبار ومتوسطو الملاك (الأعيان) الذين بدأوا يتطلعون إلى المشاركة فى الحياة السياسية.

والخلاصة... أنه على حين تناقص دور طوائف الحرف وشيوخها والتجار وحلول الأجانب محلهم، برز كبار ملاك الأراضي الزراعية ومتوسطوهم اجتماعيًا وسياسيًا فى تاريخ مصر.

### التعليم ودوره فى بناء الدولة الحديثة :

ارتبط التعليم فى عهد محمد على إلى حد كبير بأهداف سياسة الاحتكار الاقتصادى وبناء القوة الذاتية، والتوسع الخارجى والحروب التى دخلها محمد على سواء بنفسه أم بإيعاز من السلطان العثمانى وبتنسيق معه. اهتم محمد على بالتعليم على اختلاف درجاته من عال وثانوى وابتدائى، لكنه بدأ أولاً بتأسيس المدارس العالية، وإيفاد البعثات لها لكى يقوم المتخرجون من هذه المدارس بمسئولية التعليم فى المراحل الدراسية الأدنى. أما البعثات التى أرسلها محمد على، وكذلك المدارس التى أسسها،

فقد كانت ترتبط بالتنمية الإنتاجية وخدمة المجهودات الحربية أساساً.

### البعثات :

وخلال المدة من عامى (١٨١٣م-١٨٤٧م) أوفد محمد على بعثات لإيطاليا وفرنسا وإنجلترا للتعليم ولاكتساب الخبرات اللازمة، ولهذا كانت البعثات فى أول الأمر لدراسة الفنون العسكرية وبناء السفن والملاحة وتعلم الهندسة والميكانيكا وأصول الرى والصرف، ثم فيما بعد أوفدت بعثات لدراسة القانون والسياسة من طلاب الأزهر إلى النمسا وإنجلترا.

وكان رفاة رافع الطهطاوى الذى أوفده محمد على إماماً لطلاب أول بعثة كبيرة إلى فرنسا (١٨٢٦)، قد أفاد كثيراً من الثقافة الإنسانية فى فرنسا حيث ساعدته الظروف بعد أن تعلم الفرنسية على التعرف على الواقع الاجتماعى والثقافى والسياسى فى فرنسا، ومن هنا أدرك قيمة الإطلاع على علوم ومعارف المجتمعات الأوروبية، فاقترح على محمد على تأسيس مدرسة الألسن (١٨٣٦) لتدريس اللغات الأوروبية والترجمة، وكان لتلك المدرسة الفضل الكبير فى نقل كثير من معارف الغرب إلى مصر.

والجدير بالذكر أن فكرة إرسال بعثات للدول الأوروبية لم تكن مسبقة أيام محمد على حتى أن الدولة العثمانية نفسها لم تفكر فى إرسال بعثات تعليمية لأوروبا.

### المدارس :

خلال المدة من (١٨١٦م-١٨٣٩م) أقام محمد على المدارس التى تخدم أهداف التنمية الاقتصادية والعسكرية مثل مدرسة المهندسخانة والطب والولادة والصيدلة، ومدارس لتعليم أصول المحاسبة والفنون والصناعات والزراعة والبيطرة.

وكان يلتحق بهذه المدارس تلاميذ الأزهر والكتاتيب فى البداية من الذين حصلوا على قسط معقول من التعليم، ثم أصبحت المدارس عامة ومدنية الطابع، وقد أوجد هذا النوع من التعليم ثقافة مدنية تختلف عن الثقافة الدينية التى كانت طابع التعليم الدينى والسائد آنذاك، ومن هنا كانت ازدواجية الفكر والثقافة إحدى مشكلات الثقافة والتفكير فى مصر، وهى الازدواجية التى بدأت جذورها أيام الحملة الفرنسية كما سبقت الإشارة.

ولما تعددت المدارس واتسع نطاقها، أنشأ محمد على إدارة خاصة لها سميت ديوان المدارس (١٨٣٧م)، فكانت أول وزارة للتعليم.

على أن ضرب محمد على سياسياً والقضاء على نظام الاحتكار اقتصادياً كانت له آثاره السلبية على مسار النهضة التعليمية التى تمت فى عهد محمد على، فقد ساء حال المدارس وأغلق بعضها، وتقلصت البعثات لأوروبا (عهد عباس)، وألغى ديوان المدارس، وتوقفت البعثات تقريباً، وبدأ تشجيع

الأجانب من أوروبا والولايات المتحدة على إنشاء مدارس خاصة بهم (مدارس للتبشير)، وذلك تمهيداً مع الاستثمارات الأجنبية فى مجال الاقتصاد، فأسهمت هذه المدارس التى التحق بها أبناء المصريين فى تعميق ازدواجية الفكر والثقافة.

وعندما تولى إسماعيل الحكم كانت معظم المدارس التى أنشأها محمد على قد أقفلت، ولما كان تواقاً إلى إعادة بناء مصر على النظم الأوروبية، تأثراً بحياته هناك، فقد وجد أن الوسيلة الأساسية فى هذا تكمن فى التعليم، وعلى هذا أعاد تكوين ديوان المدارس ليشرف على تأسيس المدارس اللازمة، وطوال مدة حكمه (١٨٦٣م-١٨٧٩م) أسس المدارس المتنوعة الآتية: الحربية، والمهندسخانة، والحقوق، والتى لها الفضل الكبير فى تقدم القانون والتشريع والقضاء والحياة الأدبية والسياسية، ومدرسة دار العلوم لتخريج أساتذة اللغة العربية، ومدرسة الطب.

كما اهتم إسماعيل بتعليم البنات، وكان تعليم المرأة قبل ذلك أمراً فى حكم العدم، إذ لم تكن فى البلاد سوى مدرسة الولادة ولم يكن يدخلها إلا الحبشيات، فأقيمت مدرستان للبنات بالقاهرة<sup>(١)</sup>. كما اهتم بالتعليم الصناعى<sup>(٢)</sup>، والزراعى والمساحة والمحاسبة، وكذلك المدارس الابتدائية والثانوية<sup>(٣)</sup>، وبلغ من رعاية إسماعيل للتعليم والتشجيع على الالتحاق به، الاهتمام بإقامة حفلات مدرسية لاختتام نهاية العام الدراسى، يحضرها كبار رجال الدولة، وتوزع فيها الجوائز والمكافآت على الناجحين المتقدمين.

وفى الوقت نفسه كثر عدد المدارس الأوروبية التى أقامتها الإرساليات الدينية فى مصر للبنين والبنات، ولم تنتشر فى أى عهد مثلما كثر وانتشرت فى عهد إسماعيل (٧٠ مدرسة)، وقد أفادت هذه المدارس فى إعداد عناصر كثيرة من رجال الأعمال والمهن وموظفى الحكومة فى البريد والسكك الحديدية والمحال التجارية والبنوك والقنصليات والمحاكم المختلطة، ونال كثير منهم الحماية الأجنبية فأصبحوا فى حكم الأجانب.

### الحياة الثقافية :

لم يتوقف الأمر فى عصر إسماعيل على الاهتمام بالتعليم فى المراحل والتخصصات المختلفة، بل انفتح المجال واسعاً لحركة ثقافية متنوعة كان لها تأثير قوى فى بناء شخصية مصر الثقافية، وكانت بعثات عصر محمد على قد بدأت تؤتى ثمارها.

فى هذا الخصوص تألفت جمعية المعارف (١٨٦٨م) لنشر الثقافة عن طريق التأليف والنشر

(١) مدرسة السنية بالقاهرة، ومدرسة القربية بالقاهرة.

(٢) كانت تعرف بمدرسة العمليات للعلوم الصناعية والهندسية والتمرينات العملية، ثم التحقت بها مدرسة التلغراف وفرقة للنقاشين، ومدرسة للعميان وللخرس.

(٣) التجهيزية بالعباسية التى عرفت بالخدوية، ومدرسة رأس التين بالإسكندرية.

بالاكتتاب العام، وتولت طبع طائفة من أمهات الكتب فى التاريخ والفقه والأدب وتأسست دار الكتب (١٨٧٠م)، والجمعية الجغرافية (١٨٧٥م) للعناية بالأبحاث الجغرافية، والجمعية الخيرية الإسلامية (١٨٧٨م) للقيام بإنشاء مدارس خاصة لتعليم البنين والبنات وإعانة الفقراء، وكان الهدف من إنشاء هذه الجمعية مواجهة طغيان المدارس الأجنبية فى مصر الذى انتشر على نحو ما سبقت الإشارة إليه. ويشمل النشاط الثقافى إنشاء الصحف العلمية والأدبية والسياسية<sup>(١)</sup>، وقد أطلقت للصحف حرية الكتابة وخاصة فى أواخر عهد إسماعيل حين اصطدم بالمطامع الأوروبية، وشعر بوطأة التدخل الأجنبى، وكان لهذه الصحف فضل إنارة الأذهان ونشر العلوم والمعارف، كما ظهرت أيضاً بعض الصحف الأجنبية<sup>(٢)</sup>.

وبهذا المناخ التعليمى والثقافى ارتقى مستوى الوظائف العامة، إذ تولاها المتخرجون من المدارس والمعاهد وأعضاء البعثات، وكانت البيئة المناسبة لبروز العلماء فى تخصصات مختلفة. ونتيجة لوجود الأجانب ومؤسساتهم بكثرة هائلة، حدث ميل عام إلى محاكاة الأوروبيين فى نمط الحياة واقتباس عوائدهم، وكانت البداية من المتعلمين ومن أعضاء البعثات الذين خالطوا الأوروبيين فى الحياة، ففى المسكن بدأ بناء البيوت على النسق الأوروبى، وفى الملابس هجر المتعلمون الملابس الشرقية، وكذلك الحال فى مختلف ألوان الحياة فى المأكول وقضاء أوقات الفراغ فى المتنزهات والضواحي أو فى ارتياد المسرح والأوبرا والاستماع إلى الأغانى والموسيقى.

ومن أبرز مظاهر النهضة الثقافية فى مصر أنها بدأت على أيدي أبنائها، ومن منطلق إحياء التراث الإسلامى وتحديث الفكر وإدخال أدوات البحث الحديثة فضلاً عن العلوم الحديثة ليس فى مصر، ولكن فى البلاد العربية التى ضمتها فى عصر محمد على وإسماعيل، وإذا اعتبرنا دور المبشرين فى إدخال أساليب حديثة فى مجالات الفكر فى الشام نوعاً من التحديث والنهوض فإنها تختلف اختلافاً جوهرياً عن الدور المصرى فى النهضة من حيث:

- ١- أن النهضة الثقافية فى مصر عملت على تدعيم الوحدة الوطنية وبرز شعار مصر للمصريين جميعاً وتدعيم النظام السياسى الذى يضم الجميع ويستوعب كل الطاقات.
- ٢- أن النهضة الثقافية فى بلاد الشام بعد تسوية لندن ١٨٤٠م استمرت تستمد زادها من المؤسسات الثقافية الأجنبية التى أخذت من منهج التبشير الكاثوليكي والبروتستانتي أسلوباً فى التغلغل فى التنمية الثقافية والاجتماعية الأمر الذى أدى إلى تعاظم الذات المذهبية فى صبغة الطوائف بديلاً عن الوحدة الوطنية.

(١) على سبيل المثال: جريدة اليعسوب، وروضة المدارس، ووادي النيل، ونزهة الأفكار والوطن ومصر، وروضة الأخبار، والكوكب الشرقى، والأهرام، والإسكندرية، والكوكب المصرى، مرآة الشرق.

(٢) مثل: الفارو الإسكندري، والبروجريه إيجيسينا، والريقوم.

## البناء السياسى للدولة الحديثة فى مصر : السلطان التنفيذية والتشريعية :

كان نظام الحكم فى عهد محمد على فى جوهره يقوم على فكرة الحكم المطلق الفردى ومن هذه الزاوية كان الحكم يعتبر استمرارا على ما كان عليه أيام الولاة العثمانيين من الممالك غير أن محمد على وضع للحكومة نظاما انطلاقا من فكرة الدواوين الاستشارية التى أقامتها الحملة الفرنسية، وتمشيا مع أفكاره فى البناء والإصلاح.

ومن الملاحظ بشكل عام أنه لم يكن هناك فصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية، إذ تنوع دور هذه الدواوين بين الاستشارة والتشريع، واختلطت الأمور طالما بقيت فكرة الحكم الفردى المطلق هى جوهر فلسفة الحكم.

**الديوان العالى** : وقد كونه محمد على وتنحصر مهامه فى التداول مع أعضائه فى الشئون المتعلقة بالحكومة قبل الشروع فى تنفيذها، ورئيس الديوان (نائب محمد علي) سلطة واسعة فى كافة شئون الحكومة.

**الدواوين** : وقد كونها محمد على أيضا لكل فرع من أعمال الحكومة ديوان قائم بذاته (وزارة بالمعنى المعاصر)، فهناك ديوان البحرية، وديوان الحربية، وديوان التجارة، وديوان الخارجية، وديوان المدارس. **المجلس العالى** : ونتيجة لتوسع شئون الحكومة وتعدد مهامها، كون محمد على هذا المجلس (١٨٣٤م) والذى يماثل الآن مجلس الوزراء، ويتألف من نظار الدواوين ورؤساء المصالح، وضم إليه اثنان من العلماء يختارهما شيخ الأزهر، واثنان من التجار يختارهما نقيب تجار العاصمة، واثنان من الأعيان عن كل مديرية، واثنان لشئون الحسابات.

### ■ مجلس المشورة (الشورى) :

وقد أقامه محمد على (١٨٢٩م)، ويتألف من كبار موظفى الحكومة والعلماء والأعيان، وكان أشبه بجمعية عمومية نيابة عن الأمة ١٥٦ عضواً على النحو التالى : (٣٣ من كبار الموظفين والعلماء، ٢٤ من مأمورى الأقاليم، ٩٩ من كبار أعيان القطر) وسلطته استشارية فى مسائل الإدارة والتعليم والأشغال العمومية. وفى عام ١٨٣٧م أصدر محمد على القانون الأساسى لتنظيم العلاقات بين الدواوين الحكومية واختصاصاتها<sup>(\*)</sup>. وفى أواخر حكمه (١٨٤٧م) ألف ثلاثة مجالس جديدة بخلاف الهيئات السابقة وهى : المجلس المخصوص ويختص بالنظر فى الشئون الكبرى للحكومة، وتشريع اللوائح والقوانين وإصدار التعليمات لجميع المصالح، والمجلس العمومى والجمعية العمومية للنظر فى شئون الحكومة العمومية

(\*) بلغت آنذاك سبعة دواوين (وزارت) على النحو التالى : الديوان الخديوى وينظر فى شئون الحكومة الداخلية والعامة، وديوان الإيرادات، وديوان الجهادية، وديوان البحر للأسطول، وديوان المدارس، وديوان الأمور الأفريقية والتجارة المصرية، وديوان القابريقات.



التي تحال إلى كل منهما. ومهما يكن من أمر فإن المجالس التي أقامها محمد على لم تكن تعنى أنه أقام نظاماً دستورياً نيابياً بالمعنى المعروف، فقد كانت مجرد هيئات تنفيذية لإرادته فى الحكم، وقد تمكن عن طريق تركيز السلطة فى يده من تنفيذ المشروعات التي هدف إليها، ولم تكن الظروف الموضوعية التي مر بها المجتمع المصرى منذ أواخر حكم المماليك وفترة الفوضى والاضطراب والصراع على الحكم بعد خروج الفرنسيين لتسمح بلون آخر من ألوان الحكم. ولا يجب أن ننسى فى هذا المقام أن الحكم المطلق الفردى كان طبيعة الحكومات فى العالم المعروف آنذاك فى الغرب، وفى الشرق على السواء باستثناء كل من إنجلترا وفرنسا بعد الثورة فيها.

### وضع السلطتين فى عهد خلفاء محمد على :

واستمر الحال كذلك فى عهد عباس وسعيد من حيث طبيعة الحكم المطلق وتركيز السلطات، وزاد على ذلك إهمال مجلس المشورة، وتخفيض عدد الدواوين أو الوزارات بسبب الانكماش السياسى والاقتصادى الذى فرض على مصر بعد هزيمة محمد على فأصبحت أربعة فقط بعد أن كانت سبعة (❖) وكانت الأربعة دواوين تختص كما هو واضح من أسمائها بأمور سيادية بعد أن ترك النشاط الاقتصادى حراً للأفراد بعد إلغاء نظام الاحتكار، وهى وظائف الدولة فى نظام الاقتصاد الحر، على أن ظروف التدخل الأجنبى فى شئون البلاد بسبب أزمة الديون المالية خلال حكم إسماعيل، جعلت الأجانب يقياسمونه شئون الحكم، وقد تمثل ذلك فى وجود صندوق الدين والرقابة الثنائية، ثم فى تشكيل الوزارة المختلطة التي عرفت عند الوطنيين باسم الوزارة الأوروبية.

والحق... أن إسماعيل لم يكن يختلف كثيراً عن سابقيه، ورغم أن عهده كان فى جملته عصر تقدم ونهضة علمية وثقافية كما سبقت الإشارة. إلا أنه من ناحية الحكم كان يعد من عصور الحكم المطلق، وكان مجلس النظار الذى أنشأه (١٨٧٨) عبارة عن سلطة تنفيذية لما يقوله الخديوي، وكذلك الحال بالنسبة لمجلس شورى النواب (١٨٦٦) الذى لم يكن أكثر من هيئة استشارية وليست تشريعية، كما كان ينبغى، ويبدو أن إسماعيل أراد من وراء إنشائه أن يكون مجرد واجهة تضى على الحكم رونقاً وبهاء وذلك للأسباب التالية :

- ١- أن المجلس لم يتكون بناء على مطالبة جماهيرية بل كان منحة من الحاكم.
- ٢- حصر حق الترشيح للمجلس فى شرائح اجتماعية معينة فجاء معظم أعضاء المجلس من العمدة والمشايخ والأعيان عامة، وقليل من أصحاب المصالح التجارية والصناعية.
- ٣- لم يكن للمتعلمين من غير الأعيان نصيب فى عضوية المجلس.

(❖) هي: الداخلية والمالية، والحربية، والخارجية.

## ■ التقسيم الإدارى :

كانت مصر أيام الحكم العثمانى مقسمة إلى ١٦ إقليمًا، فأدخل محمد على بعض التعديلات التى تتمشى مع الأعباء المالية المفروضة على الأهالى حتى تتساوى، ومن هنا قسم البلاد إلى سبع مديريات (محافظات بالتعبير المعاصر) متساوية المساحة، وعلى كل منها مدير (محافظ). وقسمت كل مديرية إلى مراكز، على كل مركز مأمور، وكل مركز يضم أقسامًا، على كل قسم ناظر، وكل قسم يضم نواحى وقرى على كل ناحية شيخ بلد أو عمدة ومعه الخولى ومهمته مسح الأطنان والصراف لجمع الأموال الأميرية، والشاهد، والمأذون. وكان العنصر التركى يتولى كل الوظائف الإدارية عدا وظيفة شيخ الناحية أو العمدة والوظائف المالية، ولكن بعد ضرب محمد على بدأت سياسته فى إحلال المصريين فى المستويات الأخرى، وقد بلغت نسبة المصريين فى تولى وظيفة ناظر القسم فى عهد سعيد ٢٥٪، واستمرت سياسة الإحلال تدريجيًا حتى تم تمصير كل الوظائف الصغرى مع نهاية السبعينيات فيما عدا الجيش الذى ظلت الرتب الكبيرة فيه حكرًا على العناصر التركية والشركسية.

## ■ السلطة القضائية :

لم يتغير النظام القضائى كثيرًا عما كان عليه أيام المماليك ومحاولات الحملة الفرنسية أيام حكم مينو، وقد أضاف محمد على للديوان الخديوى (\*) بعض الاختصاصات القضائية، وفى عام ١٨٤٢م أنشئت هيئة قضائية جديدة عرفت باسم «جمعية الحقانية» وتختص بمحاكمة كبار الموظفين، وكانت بمثابة محكمة جنائيات وجنح، كما أنشئت محكمة تجارية «تعرف باسم مجلس التجارة»، وتختص بالفصل فى المنازعات التجارية التى تنشأ بين الأهالى أو بينهم وبين الأجانب، ولهذا دخل فى تشكيلها ممثلون عن الأجانب. وفى عهد سعيد أصبحت الحقانية تعرف باسم مجلس الأحكام. وكان لهذا المجلس شأن كبير حيث كان بمثابة هيئة استئناف عليا فى البلاد، وكان يتألف من تسعة أعضاء من الكبار ومن اثنين من العلماء أحدهما للمذهب الحنفى والآخر للمذهب الشافعى.

واستمرت المحاكم الشرعية تقوم بعملها فى المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية، وانتقال الملكية فى كل البلاد، وأنشئت إلى جوارها محاكم أو مجالس جديدة للفصل فى المسائل المدنية والتجارية عرفت أيضًا بمجالس الأقاليم. ولما توافد الأجانب بكثرة على البلاد فى أعقاب إلغاء سياسة الاحتكار، وما استتبع ذلك من مشكلات، أنشئ مجلس خاص باسم: قومسيون مصر (١٨٦١م)، ويختص بالنظر فى القضايا التى ترفع من الأجانب على المصريين فيما عدا العقارات والملكية، ثم توحدت المحاكم القنصلية فيما بعد فى محكمة واحدة عرفت باسم: المحكمة المختلطة (فى ١٨٧٥م).

(\*) أى الديوان العالى.



## محاولات الاستقلال عن السطة العثمانية

### ١- بناء القوة العسكرية

كان محمد على كرجل عسكرى ومحارب أساساً يدرك أهمية القوة العسكرية فى مظاهرها المختلفة، ومن هنا اتجه ذهنه إلى بناء قوة عسكرية ذاتية نظامية بديلاً عن الفرق العسكرية غير النظامية التى تضم عناصر مرتزقة ومتمردة ومختلطة كانت سمة العسكرية آنذاك، وأصبحت هذه الفكرة أكثر إلحاحاً بعد حروبه فى الحجاز ضد الوهابيين (١٨١١م).

#### ■ الجيش :

كان الجيش هو محور سياسة محمد على الإصلاحية، وتحديث مرافق الدولة المختلفة، أما باقى الإصلاحات فكانت تابعة للجيش، فمثلاً كان إنشاء مدرسة الطب يرجع فى الأصل إلى ضرورة إعداد أطباء للجيش، وكان إنشاء المهندسخانة لإعداد خبراء فى الصناعات المختلفة التى ترتبط بالجيش من سلاح وذخيرة ومرافق معيشية وعلى هذا كان الجيش أداة لتقدم العمران فى مصر بالإضافة إلى مهمته العسكرية.

**إعداد الضباط:** كانت أول محاولة لإعداد ضباط نظاميين للجيش فى ١٨١٥م، عندما أمر بتدريب فرقة من الجنود التى اشتركت فى الحروب الوهابية، إلا أن أفرادها رفضوا الخضوع للتدريب الحديث، وقد بلغ بهم الأمر حد التآمر لخلع محمد على، ومن ثم تراجع عن المحاولة. وبعد ذلك بقليل (١٨٢٠م) عاد إلى فكرته واعتزم فتح مدرسة لهذا الغرض فى أسوان لتخريج ضباط عسكريين على النظام الحديث، واستقدم للمدرسة ضباطاً ومعلمين ذوى خبرة ودراية من الأوروبيين، واعتمد فى ذلك على أحد ضباط جيش نابليون وهو الكولونيل سيف (أصبح اسمه سليمان باشا الفرنساوى بعد اعتناقه الإسلام).

وقد اختار أسوان لتنفيذ الفكرة بعيداً عن جو المؤامرات فى القاهرة، وتجنباً لإثارة خواطر الناس ضد قيام فرنسى أجنبى بتنظيم الجيش المصرى، ولقد لاقى الكولونيل سيف متاعب كثيرة فى تعويد المتدربين من عسكر المماليك على النظام والطاعة المطلقة، حتى لقد فكروا فى اغتياله أكثر من مرة، واستمرت عملية التدريب الأولى هذه مدة ثلاث سنوات تكونت بعدها الهيئة الأولى من الضباط.

**إعداد الجنود (التجنيد):** بعد أن توفر العدد الكافى من الضباط أخذ محمد على يفكر فى إعداد العدد اللازم من الجنود وتنظيم صفوفهم، وهنا نشأت صعوبة الاختيار، ومن أى الطبقات والعناصر، فقرر الابتعاد عن تجنيد عناصر الترك والأرناؤود لطبيعتهم المتمردة، كما ابتعد عن تجنيد المصريين

تجنباً لاحتمال ثورتهم ضده، ومن ثم لجأ إلى فكرة تجنيد السودانيين.

غير أن تجربة تجنيد السودانيين انتهت بالفشل، إذ مات معظمهم لعدم ملائمة الجو لهم، فقرر محمد على الاعتماد على المصريين، وتمت التجربة بنجاح في ١٨٢٤م، ولما اتسعت دائرة التجنيد، استقدم محمد على من فرنسا طائفة من كبار الضباط ليعاونوه على تنظيم الجيش، كما أرسل عددًا من الشبان إلى أوروبا لإتمام دروسهم الحربية، وعندما عادوا إلى مصر حلوا محل المعلمين الأجانب في المدارس الحربية.

### ■ الأسطول :

بدأ ظهور البحرية المصرية أوائل عام ١٨١١م عندما شرع محمد على في الدخول في الحروب الوهابية، ذلك لنقل الجنود إلى الحجاز عن طريق البحر الأحمر، وعلى هذا أنشأ ترسانة في بولاق ثم في الإسكندرية لصناعة السفن الحربية والتجارية فيما بعد. وفي هذا الخصوص أنشأ محمد على معسكرًا لتعليم البحارة من الجنود الأعمال البحرية، وأقام مستشفى بحريًا ومدرسة بحرية على ظهر إحدى السفن لإعداد الضباط البحريين. كما أرسل البعثات من الضباط البحريين إلى فرنسا وإنجلترا لإتمام علومهم عمليًا على ظهر السفن الحربية الأوروبية.

### ■ مصانع الأسلحة والذخيرة :

بذل محمد على جهوده في إنشاء مصانع للأسلحة في مصر حتى يستغنى عن استيراد السلاح من الخارج، ولا يبقى قوة الدفاع المصرية تحت رحمة الدول الأجنبية، وعلى هذا أقام ترسانة في القلعة لصنع الأسلحة وصب المدافع، ومصنعين للبارود بالحوض المرصود بحى السيدة زينب بالقاهرة، والمقياس بجزيرة الروضة. كما عمل على إقامة القلاع والاستحكامات اللازمة للدفاع عن ثغور البلاد والعاصمة، فأصلح قلعة صلاح الدين، وبنى على مقربة منها قلعة المقطم (قلعة محمد علي)، وقلاع الإسكندرية ورشيد ودمياط.

### ■ القوة العسكرية في عهد خلفاء محمد على :

غير أن ضرب محمد على وفرض معاهدة لندن ١٨٤٠م وفرمان ١٨٤١م وانحسار نفوذ مصر في المنطقة، وتقلص حدودها، كانت له آثاره السلبية على التنظيم العسكري. ففى عهد عباس لم يكن الجيش موضع عناية، بل إنه أدخل عددًا كبيرًا من عناصر الأرناؤود في خدمته ليكونوا خاصة جنده. وكان محمد على قد رفض تجنيدهم في الجيش كما سبقت الإشارة.

ثم عمل سعيد على العناية بالجيش إلى حد ما في إطار الشروط الدولية، فجعل التجنيد إجباريًا للجميع وعلى اختلاف الطبقات ولفترة قصيرة، وكان التجنيد قبل ذلك مقصورًا على الفقراء ولمدة غير محددة، فبدأ الناس يحبون الجندية ولا يعتبرونها نوعًا من التفرقة الاجتماعية. كما اهتم سعيد بالأسطول

إلا أن إنجلترا وكانت تراقب الموقف، أوعزت إلى السلطان العثمانى أن يمنع سعيد من تجديد الأسطول. ولم يتوقف الاهتمام ببناء الجيش كمظهر للقوة الذاتية رغم القيود الدولية المفروضة، فنجد أن إسماعيل يرسل إلى فرنسا بعثة حربية (من خمسة عشر عضواً) من خيرة ضباط الجيش لاقتباس الخبرات اللازمة، وأحضر من فرنسا بعثة حربية فرنسية من الضباط لتنظيم المدارس الحربية المصرية، وقد تولى هؤلاء الضباط نظارة بعض المدارس الحربية فى البداية.

كما اهتم بتجديد الأسطول، فأعاد النشاط إلى ترسانة الإسكندرية، وجدد المدرسة البحرية بالإسكندرية، وأقام أخرى بجوار الترسانة. وإسهاماً فى تثقيف عقول العسكريين، أنشئت صحيفتان للشئون العسكرية واحدة باسم: جريدة أركان حرب الجيش المصري، والأخرى باسم: الجريدة العسكرية المصرية (١٨٧٣م). ولم يقتصر الأمر على النواحي الحربية، بل إن إسماعيل اهتم بالأسطول التجاري، فأنشأ شركة للملاحة التجارية (باسم الشركة العيزية)، قامت بدور أساسى فى تنشيط حركة التجارة الخارجية لمصر، وسهلت مواصلاتها البحرية مع الأقطار الأخرى. غير أن الجيش ضعف بشكل عام فى أواخر عصر إسماعيل بسبب الأزمة المالية، وارتباك شئون الحكومة، حتى وقع تحت سيطرة الانجليز بعد احتلالهم مصر فى ١٨٨٢م.

## ٢- سياسة مصر الخارجية :

لموقع مصر الجغرافى دور مهم فى توجيه سياساتها وعلاقاتها على مر عصور التاريخ، وكذلك الحال بالنسبة لسياسات القوى الدولية تجاهها خلال فترات التاريخ المختلفة، وعلى هذا فإن سياسة مصر الخارجية وعلاقاتها بالقوى المختلفة تتحدد بالموقع والمجال الحيوى عبر المراحل المختلفة.

وقبل أن يتولى محمد على حكم مصر لم يكن من الممكن القول بوجود سياسة خارجية لمصر، ذلك أن مصر كانت تخضع لحكم الدولة العثمانية منذ مطلع القرن السادس عشر (١٥١٧م)، وتعتبر جزءاً من تلك الامبراطورية المترامية فى إطار حكومة إسلامية شاملة وكان السلطان العثمانى هو المتحدث الرسمى باسم الامبراطورية مع العالم الخارجى، وما يبرمه السلطان من اتفاقيات دولية تلتزم بها الولايات التابعة، وعلى هذه الولايات أن تتبع السلطان فى الحرب وفى السلم على السواء.

وعندما تولى محمد على حكم مصر، بدأت محاولات الاستقلال الحقيقية عن الدولة العثمانية، وكانت البداية عندما ذهبت قوات محمد على إلى الجزيرة العربية لخماد الدعوة الوهابية، بناء على طلب السلطان، ثم تبلورت بشكل أوضح عندما حدث الاشتباك مع السلطان فى الشام حيث بدأت النظرة الإقليمية تفرض نفسها على حساب الحكومة الإسلامية الشاملة التى كان يمثلها السلطان العثمانى، وبدأ إدراك أن الرابطة العربية تجمع بلدان وادى النيل والشام والجزيرة العربية فى خصوصية واحدة فى مواجهة الرابطة العثمانية .



ومن ناحية أخرى كانت توسعات محمد على في السودان والجزيرة العربية وحوض البحر المتوسط تقوم بدور الظهير للحكومة المركزية التي أقامها محمد علي.

**والخلاصة ... أنه يمكن القول أن العوامل التي أثرت في سياسات مصر الخارجية منذ أيام محمد علي، وفي العصر الحديث تتلخص في الموقع والمجال الحيوي والرابطة العربية في مواجهة الرابطة العثمانية.**  
**حروب محمد علي :**

يمكن القول أن الحروب التي خاضها محمد علي مكنت مصر من تحقيق الاستقلال عن الدولة العثمانية، ورغم أن هذه الحروب بدأت لحساب السلطان العثماني، إلا أنها انتهت بمواجهة السلطان نفسه، الأمر الذي أشعر القوى الكبرى الأوروبية آنذاك بخطر محمد علي ونظامه على التوازن الدولي، فتحالفوا معاً لمؤازرة السلطان حتى تم إخضاع محمد علي. ويمكن تصنيف حروب محمد علي إلى نوعين :

(أ) حروب تمت استجابة لأوامر السلطان.

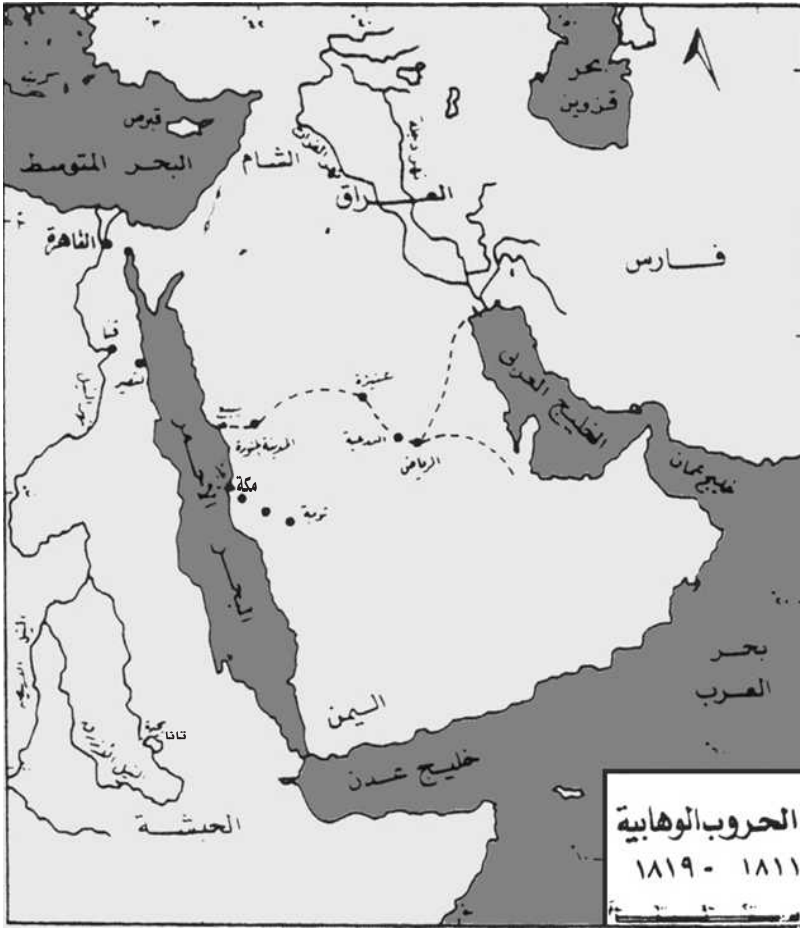
(ب) حروب تمت بإرادة محمد علي.

١- **حروبه في الجزيرة العربية<sup>(\*)</sup>** : وكانت وسيلة لتوطيد مركز محمد علي في مصر ورفع قدره من تابع إلى حاكم مستقل، حيث انتهت بوجود مصرى في الجزيرة العربية عسكرياً وسياسياً، ذلك أن السلطان أسند لمحمد علي مشيخة الحرم المكي، وأسند لابنه إبراهيم ولاية جدة، ومن خلال الوجود المصرى هناك اتسع مجال مصر ليشمل الحجاز ونجد وعسير وجزءاً من اليمن ومن الخليج العربي. ولا شك أن بريطانيا كانت ترقب بعين الخطر توسع محمد علي وما يمثله من خطورة على طريق المواصلات الإمبراطوري، فبادرت بفرض نفوذها وحمايتها على مشيخات الخليج العربي (ساحل عمان)، ابتداء من عشرينيات القرن التاسع عشر حتى انتهت باحتلال عدن في ١٨٣٩م قبيل ضرب محمد علي نهائياً في ١٨٤٠م. وليس من شك أن الوجود المصرى في الجزيرة العربية كان له دور مؤثر في تكوين الرابطة العربية في مواجهة الرابطة العثمانية شكل رقم (٤).

٢- **حرب اليونان ١٨٢١م-١٨٢٨م** : وقد تمت مثل حربه في الجزيرة العربية بناء على طلب السلطان لمواجهة مطالبات اليونانيين بالاستقلال عن الدولة العثمانية، وكانت بلاد اليونان وأوروبا الشرقية - حالياً - جزءاً من الإمبراطورية العثمانية منذ أواخر القرن الخامس عشر.

وقد قام الجيش المصرى بمهمته خير قيام، وكانت النتائج النهائية للحرب في صالح محمد علي لبناء

(\*) تعرف بالحرب الوهابية (١٨١١ - ١٨١٩م) وقد تمت بناء على طلب السلطان العثماني للمساعدة في القضاء علي اتباع دعوة محمد بن عبد الوهاب من آل سعود، وذلك لتهددهم نفوذ الدولة هناك، وقد انتهت بنجاح محمد علي إسقاط الدولة السعودية الأولى.



شكل رقم (٤) الحروب الوهابية

القوة الذاتية لمصر. فقد كسب محمد على ضم جزيرة كريت لولاية مصر، واكتسب الجيش الخبرات الميدانية، وارتفع شأن مصر المتميز فى إطار الدولة حيث تم التفاوض مع محمد على مباشرة للتوصل إلى اتفاقية لإنهاء الحرب (١٨٢٨م)، وهذه النتائج الإيجابية مسئولة إلى حد كبير عن نمو فكرة الانفصال عن الدولة وتحقيق استقلال مصر شكل (٥).

### ٣- التوسع فى السودان (١٨٢٠-

١٨٢٢م) : وهى أول حرب تمت بإرادة محمد على وتعرف بفتح السودان، وكان لهذه الحرب أكثر من هدف تتعلق جميعاً بفكرة

المجال الحيوى لمصر والامتداد الطبيعى لها ناحية الجنوب، ومن هذه الأهداف ما يلي:

■ متابعة الممالك الهاربة من مذبحه القلعة الذين فروا إلى دنقلة بالسودان.

■ اكتشاف مناجم الذهب والماس نظراً لأهمية الذهب كمقوم للسلع والتبادل التجاري.

■ تنمية التجارة وتجنيد السودانيين فى الجيش.

وتأكيداً للقول أن استيلاء محمد على على السودان يخدم فكرة المجال الحيوى الطبيعى لمصر من حيث الامتداد

إلى الجنوب، نجد أن محمد على قام بالإجراءات التالية فى السودان والتي لم يرقم بها فى الجزيرة العربية مثلاً:

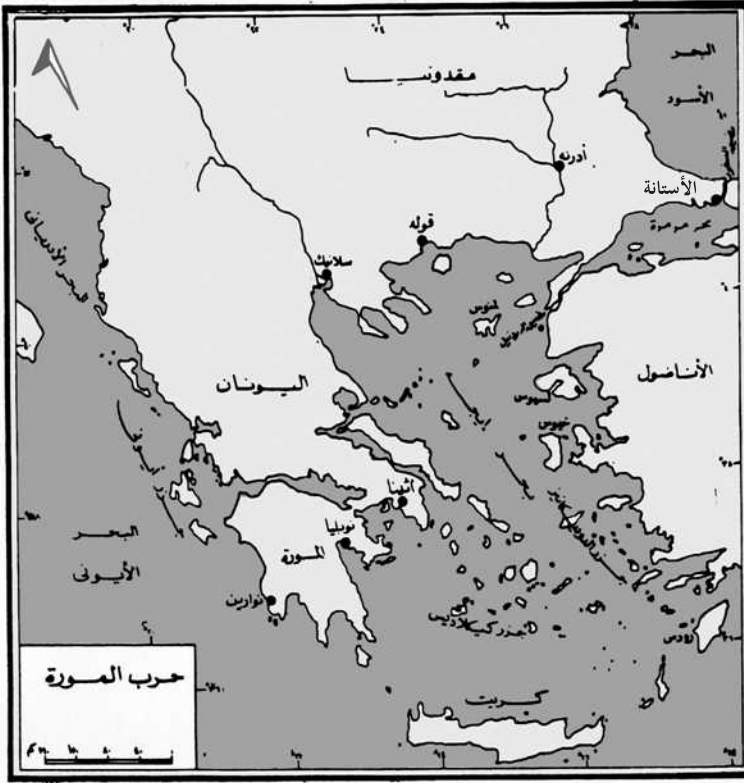
■ أقام نظاماً للحكم والإدارة حيث عين حاكماً عاماً على السودان برتبة حكامدار، يجمع فى يده

السلطة العسكرية والمدنية بتنسيق مع ديوان الداخلية فى مصر.

■ تقسيم السودان إلى مديريات، والمديريات إلى أقسام، على غرار التقسيم الإدارى الذى أقامه

فى مصر، وما يرتبط بذلك من وجود وكيل لمدير المديرية وهيئة معاونة من موظفين وقاض ومفتى

ومجلس أهلى وضبطية.



شكل رقم (٥) حرب المورة

تعويضاً له عن خسائره فى حرب اليونان ( حرب المورة ) ومكافأة له، ذلك أن جزيرة كريت التى أخذها محمد على فى تسويات الحرب لم تكن ترضيه وتمكنه من السيطرة لأنها جزيرة بعيدة طبع أهلها على التمرد.

والحق أن تطلع محمد على لضم الشام كان أسبق من ضم السودان، بل كان سابقاً على حربه فى الجزيرة العربية، ففى عام ١٨١٠م كان يفكر فى مخاطبة السلطان لى يتنازل له عن الشام، مقابل مبلغ من المال، ثم عاودته الفكرة أثناء الحروب الوهابية حين طلب من السلطان أن يعهد إليه بولاية الشام بدعوى أهميتها فى إخضاع الوهابيين لكن السلطان رفض.

وقد أصبحت الفكرة أكثر إلحاحاً بعد استيلاء محمد على على السودان ووجوده فى الجزيرة العربية، وبضم سوريا تقوى الجبهة العربية فى مواجهة الدولة العثمانية.

تلك كانت الدوافع الخافية للحرب فى الشام، أما الأسباب المباشرة المعلنة فكانت تتلخص فى رغبة محمد على فى إرجاع الفلاحين المصريين الذين هربوا من مصر إلى الشام تخلصاً من الضرائب، وفروا من الخدمة العسكرية (نحو ستة آلاف). وقد رفض والى عكا الاستجابة لطلب محمد على فى إرجاع أولئك الفلاحين باعتبار أنهم رعايا عثمانيون يحق لهم الاستقرار فى أى مكان يتبع الدولة العثمانية. وهنا قرر محمد على التوسع فى الأراضى الشامية (أكتوبر ١٨٣١م)،

■ بناء مدن جديدة مثل مدينة الخرطوم ومدينة كسلا ومدينة فامكة على النيل الأزرق.

■ إدخال زراعات مصرية إلى السودان مثل القمح والخضروات وأشجار الفاكهة المختلفة.

وكانت السودان نقطة التعرف على هذا الجزء من أفريقية حيث تم اكتشاف منابع النيل وأواسط إفريقيا، وتمت التوسعات هناك فيما بعد فى عهد إسماعيل.

#### ٤- التوسع فى الشام والأناضول:

كان محمد على قد طلب من السلطان أن يضم الشام إلى مصر تحت حكمه



شكل رقم (٦) حروب محمد على في الشام

وقد حققت القوات العسكرية انتصارات متتالية حيث دخلت عكا (مايو ١٨٣٢م)، ودمشق (يونية ١٨٣٢م)، وحمص (يولية ١٨٣٢م)، حتى تخطت الحدود الشمالية لسوريا ودخلت أراضي الاناضول وتمركزت في أدنه مفتاح الزحف داخل الاناضول، ثم واصلت القوات الزحف في طريق الاسنانة عاصمة السلطنة. ومثلما فعل محمد على في السودان من حيث تنظيمه على خطوط الإدارة المصرية تمشياً مع فكرة المجال الحيوي، فعل الشيء نفسه في الشام التي تمثل بدورها المجال الحيوي الشمالي، فقام محمد على بالإجراءات المناسبة لتوطيد الأمن وفرض النظام

وإقرار سلطة الحكومة المركزية في مصر وإخضاع الأمراء الإقطاعيين ونزع السلاح منهم، وتنشيط التجارة والزراعة، وفرض نظام التجنيد شكل رقم (٦).

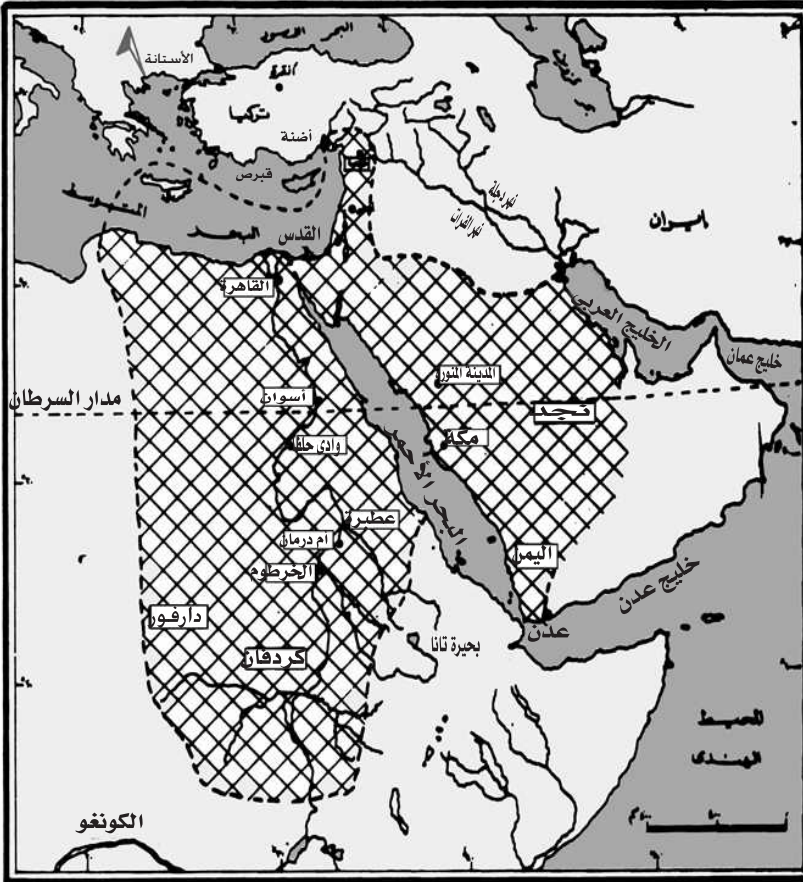
### تدخل الدول الأوروبية :

انتهت حروب محمد على في الشام بتوسيع الدولة المصرية، حيث بسط نفوذه على الشام وأدنه، وتأييد سلطانه على كريت ومعظم الجزيرة العربية والحجاز شكل (٧) بمقتضى اتفاقية كوتاهية «١٨٣٣م»، وعند ذلك اعتزم محمد على إعلان الاستقلال التام عن السلطة العثمانية، وصارح قناصل الدول الأوروبية بما انتوى عليه (١٨٣٤م)، فحذروه من الإقدام على هذه الخطوة، ثم جدد عزمه في عام ١٨٣٨م بسبب دسائس السلطان العثماني ضد حكم محمد على في الشام، لكن الدول الأوروبية لم تشجعه أيضاً.

من ناحية أخرى أثارت انتصارات محمد على وتهديده للسلطان العثماني، الدول الأوروبية، ليس عطفاً على السلطان، وإنما خشية ازدياد نفوذ محمد على وقوته وما تمثله من خطر على التوازن الدولي -ذلك التوازن الذى عاشته أوروبا منذ عام ١٨١٥م بمقتضى تسويات فيينا بعد القضاء على نابليون بونابرت. وكان السلطان العثماني قد رتب الأمر لمواجهة محمد على عسكرياً وإخراجه من سوريا، ففى



أعقاب اتفاقية صلح كوتاهية عقد اتفاقاً سرياً مع روسيا (معاهدة خنكار أسكله سى فى يولية ١٨٣٣م)، وهى عبارة عن معاهدة دفاعية هجومية التزم الطرفان بمقتضاها أن يساعد كل منهما الآخر أمام الخطر الخارجى أو الداخلى.



من ناحية أخرى كانت إنجلترا تشجع السلطان على إخضاع محمد على حتى يمكن تطبيق شروط معاهدة بلطة ليمان التجارية (١٨٣٨م) والتي وافقت عليها فرنسا فى نوفمبر من العام نفسه.

فى تلك الأثناء أخفقت مساعى الصلح بين محمد على والسلطان بسبب موقف إنجلترا المحرض على القتال، فاشتبكت قوات محمد على مع قوات السلطان العثمانى حيث هزم الجيش العثمانى هزيمة ساحقة فى «نزيب» على الحدود التركية السورية شمال حلب (٢٤ يونية

شكل رقم (٧) الدولة المصرية فى عهد محمد على

١٨٣٩م)، بل وقام قائد الأسطول العثمانى بتسليم أسطوله إلى محمد على دون قتال، فازدادت قوة محمد على وتفوقه على الدولة العثمانية برا وبحرا.

أثار انتصار مصر على الدولة العثمانية لدى الدول الأوروبية الكبرى مسألة توازن القوى فى المنطقة (❖) ولم تكن هذه الدول تسمح بتفوق مصر وتوسيع نفوذها الذى شمل بلاد الشام والجزيرة العربية وكريت ومن ثم دخلت فى مفاوضات مع السلطان العثمانى لترض ما تراه من شروط على «محمد على» لحفظ توازن القوى فى المنطقة. وانتهت تلك المفاوضات إلى عقد معاهدة لندن فى (١٥ يولية) ١٨٤٠م وتعرف بتسوية لندن، وأهم شروطها:

١- أن يعطى محمد على وخلفاؤه حكم مصر وراثياً، ويكون لمحمد على مدة حياته فقط حكم جنوب

(❖) الدولة الأوروبية الكبرى آنذاك هي روسيا، وفرنسا، وإنجلترا، والنمسا، وبروسيا.

سوريا (فلسطين) وإخلاء جزيرة كريت والحجاز وأدنة مع إعادة الأسطول العثماني.

٢- إذا لم يقبل هذا القرار فى مدة عشرة أيام، يحرم من حكم ولاية عكا (فلسطين)، فإذا استمر رفضه مدة عشرة أيام أخرى يصبح السلطان فى حل من حرمانه ولاية مصر.

٣- يدفع محمد على جزية سنوية للسلطان.

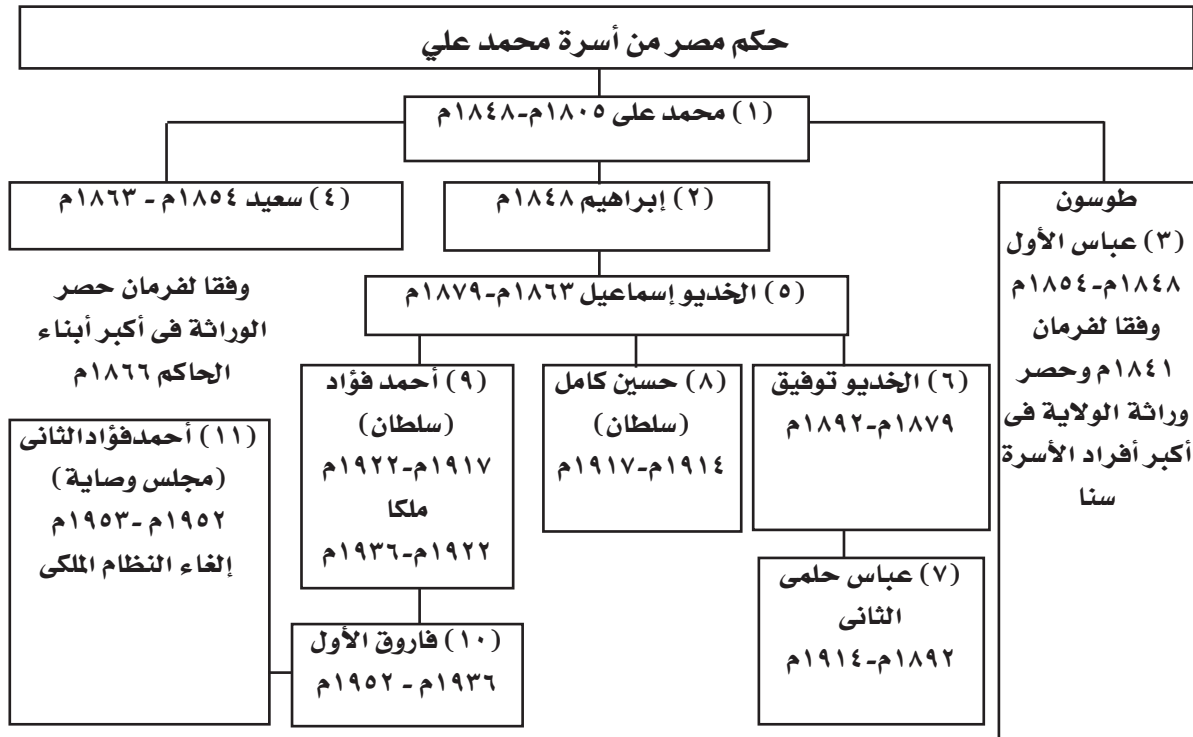
٤- أن يلتزم محمد على بتطبيق كافة المعاهدات التى أبرمتها السلطنة مع الدول الأوروبية وفى مقدمتها معاهدة بلطة ليمان.

٥- أن تعد قوات محمد على البرية والبحرية جزءاً من قوات السلطنة وتكون فى خدمة السلطان.

٦- إذا رفض محمد على هذه الشروط يلجأ الحلفاء الموقعون على المعاهدة إلى استخدام القوة ضده، مع التزامهم بحماية عرش السلطان العثماني.

ولقد وقعت الدول الأوروبية الكبرى هذه المعاهدة فيما عدا فرنسا، حيث تم الاتفاق من وراء ظهرها نظراً للتنافس التقليدى بينها وبين إنجلترا، وبدأت فرنسا فى تحريض محمد على لكى يرفض شروط المعاهدة، إلا أنها سرعان ما تركته وحده فى الميدان.

أما محمد على فقد رفض المعاهدة وتأهب للحرب واستعدت الدول الأوروبية المتحاذية لحصاره، وفى الوقت نفسه قام أهالى سوريا بثورة ضده، وانتهى الأمر بقبول محمد على شروط معاهدة لندن.





ورغم أن معاهدة لندن حرمت مصر من انتصاراتها الخارجية وأبقتها فى حدودها قبل التوسع، إلا أنها جعلت لمصر شخصية دولية، بعد أن كانت مجرد ولاية عثمانية متميزة، فاستكمالاً لمعاهدة لندن (١٨٤٠م) قام السلطان العثماني بإصدار فرمانين فى عام ١٨٤١م (فبراير ويونىة) ربط مصر بعدة قيود كما يلي:

- ١- يتلقى حكام مصر من أبناء محمد على فرمان الولاية من السلطان.
- ٢- التزام مصر بتنفيذ كافة الاتفاقيات التى يبرمها السلطان مع الدول المختلفة.
- ٣- أن تضرب النقود فى مصر باسم السلطان، وتجبى الضرائب باسمه أيضاً، وترسل مصر له ربع إيرادات الحكومة المصرية.
- ٤- لا يزيد عدد الجيش فى وقت السلم على ١٨ ألف جندي، وليس لمصر أن تبني سفناً حربية إلا بإذن السلطان.

ولقد كان من شأن هذا فرمان تأخير استقلال مصر استقلالاً نهائياً عن السلطنة، وكانت فرصة الاستقلال الفعلى مواتية فعلاً بعد انتصارات محمد علي، واستمر وضع مصر الدولى تجاه السلطنة طبقاً لمعاهدة لندن ١٨٤٠م وفرمانى ١٨٤١م إلى أن تولى حكم مصر إسماعيل باشا.

### إسماعيل ومشروع استقلال مصر :

كانت خطة إسماعيل ترمى إلى توسيع نطاق استقلاله فى حكم البلاد، وكسب أكثر ما يمكن من حقوق ومزايا من الحكومة العثمانية، وصولاً إلى الاستقلال التام، لكن كان هذا على حساب الخزينة المصرية، فقد سعى مثلاً إلى التخلص من قيود معاهدة لندن ١٨٤٠م وفرمانى ١٨٤١م من أجل تغيير



نظام وراثته العرش من أيلولته إلى أكبر أفراد الأسرة العلوية سناً، ليكون فى أكبر أنجال إسماعيل نفسه باعتباره حاكماً. وقد صدر بالفعل فرمان بذلك فى (٢٧ مايو ١٨٦٦م)، كلف إسماعيل استضافة السلطان عبدالعزيز لمصر (إبريل ١٨٦٣م). وما صاحب هذه الزيارة من حفاظة وإكراميات وهدايا ملأت سفينة كاملة بالإضافة إلى ستين ألف جنيه للصدر الأعظم فؤاد باشا ليبدل مساعيه الطيبة لدى السلطان لاستصدار فرمانات اللازمة شكل رقم (٨، ٩).

وانتهت مساعى الصدر الأعظم الطيبة إلى رفع الجزية السنوية للحكومة العثمانية والتى تدفعها مصر من أربعمائة ألف جنيه عثمانى إلى سبعمائة وخمسين ألفاً، وتحقيقاً لهذا

شكل رقم (٨) الخديو إسماعيل

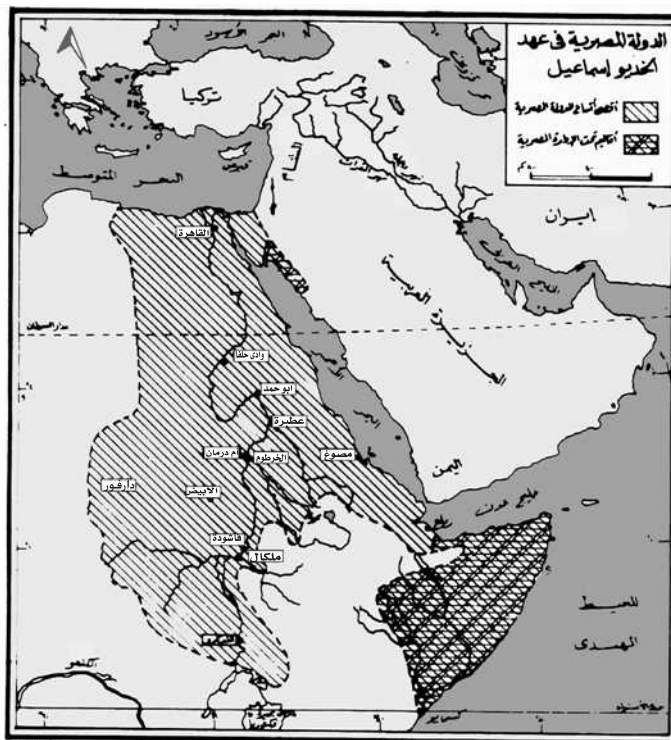


شكل رقم (٩) افتتاح قناة السويس

استدان إسماعيل ثلاثة ملايين جنيهه كانت باكورة الديون الكبيرة التي وقعت فيها مصر بعد ذلك. ولقد تضمن هذا الفرمان زيادة عدد الجيش المصري إلى ثلاثين ألف جندي بدلاً من ثمانية عشر ألفاً (فرمان ١٨٤١م)، وأقر حق مصرفى ضرب النقود، ومنح الرتب المدنية لغاية الرتبة الثانية. ثم توالى حصول إسماعيل على الفرمانات التي حققت له بعض مزايا الاستقلال من ذلك فرمان فى ١٨٦٧م (٨ يونية) الذى حصل بمقتضاه على لقب «خديوي» بدلاً من لقب «والي» وبمقتضى هذا اللقب الجديد تمتع إسماعيل ببعض الاستقلال فى إدارة شئون البلاد الداخلية والمالية وعقد المعاهدات الخاصة بالبريد والجمارك ومرور البضائع والركاب فى داخل البلاد وشئون الضبط للجاليات الأجنبية. ثم صدر فرمان ١٠ سبتمبر ١٨٧٢م وخط شريف فى ٢٥ سبتمبر ١٨٧٢م يخول إسماعيل صراحة حق الاستدانة من الخارج دون الرجوع للدولة العثمانية. ثم صدر ما يعرف بالفرمان الشامل فى ٨ يونية ١٨٧٣م الذى ثبت لمصر حقوقها الكاملة فى الاستقلال، فيما عدا دفع الجزية السنوية وعدم عقد المعاهدات السياسية، وعدا حق التمثيل الدبلوماسي، وعدا صناعة المدرعات الحربية. والحق أن عصر إسماعيل يعد نهاية لفترة انتقالية امتدت منذ ضرب محمد على وتقلص مشروعه بتسوية لندن ١٨٤٠م وفرمان ١٨٤١م، حيث توقفت مشروعات التنمية التي كانت تتم فى إطار نظام الاحتكار، وفتحت أسواق البلاد أمام المنتج الأجنبى وخاصة البريطانى تطبيقاً لاتفاقية بلطة ليمان (١٨٣٨م)، والتي كان محمد على قد رفض تطبيقها، وبدأ رأس المال الأوروبى يدخل مجال الاستثمارات المختلفة، وهذا يفسر توقف أو تجمد التنمية الذاتية للمجتمع المصري.

ومن ناحية أخرى دخل إسماعيل فى سلسلة مشروعات التنمية والتوسع أعادت إلى أذهان أوروبا

على أن توسع إسماعيل حتى الحبشة، شكل (١٠) وبصرف النظر عن أن نتائج الحرب كانت في غير صالحه، جعلت منه مصدر خطر على المصالح الأوروبية التي كانت تتوسع هي الأخرى في شرق أفريقية، فأعاد إلى الأذهان خطر جده محمد علي، وفي الوقت نفسه كانت أزمة الديون المالية تمسك بتلابيب مصر ومن هنا لم يكن من باب المصادفات أن عام ١٨٧٥م الذي شهد هذا التوسع الكبير لمصر في شرق أفريقية، هو العام الذي بدأت فيه الأزمة المالية تتبلور وتأخذ مسارها الذي انتهى بالتدخل الأجنبي في محاولة مخططة ومنظمة لإعاقة نمو مصر ومنع ظهور محمد علي آخر.



شكل رقم (١٠) الدولة المصرية في عهد الخديو إسماعيل

## أسئلة الفصل الثانى

(١) «تطلع محمد علي إلي ضم الشام لمصر منذ عام ١٨١٠م وقد نجح فى تحقيق ذلك عسكرياً

مما أثار تدخل الدول الأوروبية ضده». علي ضوء هذه العبارة وضح ما يلي .....

( أ ) محاولات محمد علي لضم الشام لمصر

(ب) موقف الدول الأوروبية والدولة العثمانية تجاه ذلك

(ج) أهم شروط معاهدة لندن ١٨٤٠م وما موقف محمد علي منها؟

( د ) أهم نتائج معاهدة لندن بالنسبة لمصر

(٢) قارن بين حروب محمد علي فى الجزيرة العربية والسودان . من حيث :

( أ ) أسباب حروبه فى كل منهما .

(ب) نتائج هذه الحروب .

(ج) موقف الدول الأوروبية منها .

(٣) ارتبط التعليم فى عهد محمد علي بأهداف سياسة الاحتكار الاقتصادي وبناء

القوة الذاتية) علي ضوء هذه العبارة وضح ما يلي .....

( أ ) رأيك فى هذا القول؟ ثم دلل علي صحة ما تقول

(ب) هدف محمد علي من إرسال البعثات إلي أوروبا

(ج) دور محمد علي فى إنشاء المدارس مع ذكر الأهداف التي كان يرمي إليها من

وراء ذلك

( د ) المقارنه بين التعليم فى عهد محمد علي وفى عهد إسماعيل حتي عام ١٨٧٩م .

(٤) بم تفسر ..... ؟

( أ ) إصرار محمد علي علي التخلص من الزعامة الشعبية.

( ب ) اهتمام محمد علي بالتعليم في مصر.

( ج ) إرسال محمد علي جيوشه إلى الجزيرة العربية للقضاء علي الحركة الوهابية.

( د ) إلغاء محمد علي لنظام الالتزام والأخذ بنظام الاحتكار.

(٥) «ألغي محمد علي نظام الالتزام وأوجد نظام الاحتكار». علي ضوء هذه العبارة أجب:

( أ ) قارن بين نظام الالتزام ونظام الاحتكار وطبق ذلك علي مجال الزراعة.

( ب ) ما أثر سقوط نظام الاحتكار علي الاقتصاد المصري؟

(٦) «يعتبر مشروع قناة السويس من أهم المشروعات التي ظهرت في مناخ سقوط

نظام الاحتكار ودخول الاستثمارات الأجنبية». علي ضوء هذه العبارة وضح ما يأتي:

( أ ) موقف محمد علي من فكرة شق قناة السويس

( ب ) أهم شروط امتياز حفر قناة السويس التي حصل عليها ديليسبس

( ج ) انقد هذه الشروط ووضح كيف كانت مجحفة بالنسبة لمصر

(٧) اقرأ العبارة الآتية، ثم أجب عن الأسئلة التي تليها:

(منذ خروج الحملة الفرنسية من مصر عام ١٨٠١م، وحتى عام ١٨٠٥م، وهناك صراع

قائم بين قوي متعددة من أجل السيطرة علي مصر).

( أ ) ما هذه القوي؟

( ب ) ما موقف الشعب المصري من هذه القوي؟

( ج ) ما مظاهر الصراع بين هذه القوي؟

( د ) ما الآثار الاقتصادية والاجتماعية للحملة الفرنسية علي مصر؟

## (٨) دتل علي صحة العبارات التالية تاريخياً:

( أ ) اتخذت الدول الأوروبية موقفاً عدائياً من توسعات محمد علي.

(ب) كانت معاهدة لندن ١٨٤٠م كارثة علي مصر.

(ج) تولي محمد علي مصر بناء علي رغبة الزعامة الشعبية.

(٩) «ترتبط السودان بمصر بروابط تاريخية وطبيعية عميقة الجذور» فى

ضوء العبارة السابقة أجب....

( أ ) ما الروابط الطبيعية والتاريخية التي تربط بين البلدين؟

(ب) ما أهداف محمد علي من ضم السودان لمصر؟

(ج) ما جهود محمد علي فى تنظيم السودان والنهوض به؟

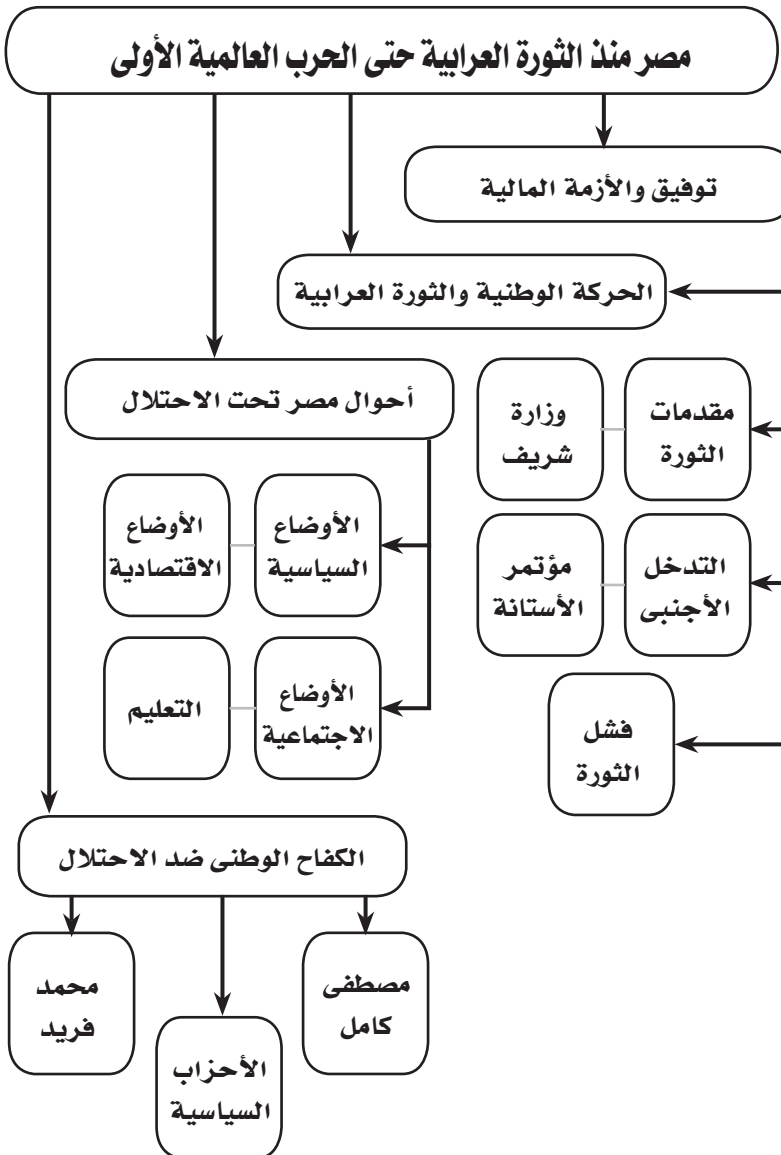
( د ) وضح رأيك فى المقولة التالية :

«أن محمد علي كان علي حق حينما اعتبر مصر والسودان وحدة واحدة».



## الفصل الثالث

### مصر منذ الثورة العربية حتى الحرب العالمية الأولى العالمية الأولى ١٨٨١ م - ١٩١٤ م



#### الأهداف

فى نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:

■ يحلل أسباب الأزمة المالية فى مصر خلال حكم الخديوى إسماعيل .

■ يلخص النتائج المترتبة على الأزمة المالية فى مصر سياسياً واقتصادياً .

■ يعرف أسباب الثورة العربية .

■ يتعرف على الأوضاع فى مصر تحت الاحتلال البريطانى .

■ يوضح جهود الزعامة الوطنية فى مقاومة الاحتلال البريطانى .

■ يفسر أسباب فشل الثورة العربية واحتلال الإنجليز لمصر .

■ يقدر دور الزعامة الوطنية فى مكافحة الاستعمار الإنجليزى .

■ يقارن بين مظاهرة عابدين الأولى ومظاهرة عابدين الثانية من حيث الأسباب والنتائج .

■ يرسم خريطة توضح خط سير الاحتلال الإنجليزى لمصر .

#### القضايا المتضمنة

● حقوق الإنسان .

● الوعى القانونى ومعرفة الحقوق والواجبات .

رأينا كيف أن مصر شهدت تحت حكم محمد على تقدماً فى مجالات الزراعة والصناعة والتجارة فى إطار نظام الاحتكار، كما شهدت نهضة علمية وتعليمية من خلال سياسة البعثات إلى بلدان أوروبا وخاصة فرنسا، كما تحقق قدر كبير من أسس بناء الدولة الحديثة، ورأينا كيف أن سياسات محمد على وسعيه لحماية المجال

الحيوى لمصر انتهت إلى الصدام المباشر بين الطرفين، حيث هددت سياساته المصالح الأوروبية الأمر الذى دفع إنجلترا للتحالف مع السلطان العثمانى لضرب (محمد علي) وتحديد نفوذه، وقد تم ذلك كما رأينا طبقاً لتسوية لندن المشهورة فى ١٨٤٠م.

كما رأينا كيف عمل إسماعيل على التخلص من قيود فرمانى ١٨٤١م وسعى إلى تحقيق استقلال مصر تدريجياً واستعادة قوتها العسكرية، حيث تمكن الجيش المصرى من التوسع جنوباً حتى بلاد الحبشة (١٨٧٥م)، ومن هنا بدأت القوى الأوروبية تدرك خطورة إسماعيل مثلما أدركت من قبل خطورة محمد علي.

والذى حدث أنه فى سبيل تحقيق هذه الأغراض، أنفق إسماعيل أموالاً طائلة للحصول على الأوامر السلطانية اللازمة كما رأينا، ولما كانت خزينة البلاد لا تفى بالأموال المطلوبة، فقد لجأ إلى الاستدانة من البنوك الأجنبية، الأمر الذى جعل مصر مدينة للأجانب، وأكثر من هذا دخلت فى دائرة من الأزمات المالية والسياسية مع القوى الأوروبية انتهت بعزل إسماعيل، وأشعلت الحركة الوطنية المصرية ضد مظاهر التدخل الأجنبي، وانتهى الأمر كما سوف نرى باحتلال إنجلترا لمصر.

### ■ الأوضاع المالية والسياسية :

بدأت الأزمة السياسية مع القوى الأوروبية بسبب الديون التى استدانتها الحكومة المصرية للصرف على استصدار الأوامر السلطانية اللازمة لتحقيق قدر من الاستقلال الذاتى عن الدولة العثمانية. وكذلك على مشروع قناة السويس وحفل افتتاح القناة، وإدخال مظاهر الحضارة الأخرى.

وكان سعيد باشا قد بدأ سياسة الاقتراض فى أواخر أيامه من إنجلترا بفائدة قدرها ٧% (عام ١٨٦٢م)، فضلاً عن الاقتراض من المرابين بسندات يحررها على الخزانة المصرية فيما عرف بالديون السائرة لأنها لم تكن تسدد وإنما تظل قائمة بفوائدها المركبة<sup>(١)</sup>.

ولما تولى إسماعيل الحكم واصل سياسة الاقتراض بشراهة دون سداد الأمر<sup>(٢)</sup> الذى أقلق أصحاب الديون (البنوك الأوروبية والأفراد المرابين)، وجعلهم يلجأون لحكوماتهم للقيام بالإجراءات اللازمة تجاه الحكومة المصرية لاسترداد الديون.

كانت إنجلترا فى مقدمة الدول التى استجابت لضغط الدائنين ورأت فى ذلك فرصة لتحقيق مطامع سياسية قديمة لاحتلال مصر كانت تراودها منذ أيام الحملة الفرنسية (١٧٩٨م)، حملة فريزر (١٨٠٧م)، ومن هنا اتكأت على أصحاب الديون لتتدخل باسمهم فى شئون البلاد لتحقيق الغرض النهائى ألا وهو الاحتلال.

(١) بلغت ديون مصر عند وفاة سعيد ١١,١٦٠,٠٠٠ مليون جنيه.

(٢) بلغت الديون عند عزل إسماعيل ١٢٦,٣٥٤,٣٦٠ مليون جنيه.

ويبدو من سير الحوادث أن الديون المالية على مصر لم تكن هي السبب الحقيقي لتدخل إنجلترا والدول الأخرى، ذلك أن هذه الديون بدأت كما سبقت الإشارة، منذ أواخر حكم سعيد (١٨٦٢م)، ولكن الأسباب الرئيسية للتدخل والذي كان وراء لافتة الديون كانت تكمن في:

١- توسع مصر جهة الجنوب. ٢- قناة السويس.

لأن هذا التوسع كان من شأنه تهديد النفوذ الأوروبي في شرق أفريقيا، وقد اتضح هذا التهديد من حملة إسماعيل على الحبشة (١٨٧٥م) ومما يؤكد ذلك أن عام ١٨٧٥م هو العام نفسه الذي بدأ فيه التدخل الأوروبي في شئون البلاد بحجة البحث عن كيفية تسديد الديون.

وعلى هذا بدأ مسلسل الأزمة المالية، إذ اضطر إسماعيل تحت ضغط الدائنين وبالتنسيق مع حكوماتهم إلى استقدام بعثة كيف (١٨٧٥م) من بريطانيا للمعاونة في حل الأزمة المالية، فدفع هذا فرنسا إلى إرسال خبر باسمها وهو المسيو فييه للمعاونة أيضاً، حتى لا تنفرد إنجلترا بالأمر.

واسترضاء للدائنين طلب إسماعيل منهم وضع النظام الذي يرتضونه، فقدم الجانب الفرنسي مشروع إنشاء صندوق الدين، وتوحيد الديون، فصدر مرسوم بإنشاء الصندوق (في ٢ مايو ١٨٧٦م)، وتحددت مهمته في أن يكون خزانة فرعية للخزانة العامة، تتولى استلام المبالغ المخصصة للديون من المصالح الحكومية مباشرة.

كان الصندوق أول هيئة رسمية أوروبية أنشئت لفرض التدخل الأجنبي في شئون مصر، إذ تولى إدارته مندوبون أجانب تنتدبهم الدولة الدائنة ويعينهم الخديو، وتداعت بعد ذلك مظاهر التدخل، ففي ١١ مايو ١٨٧٦م أصدر الخديو مرسوماً بإنشاء مجلس أعلى للمالية من عشرة أعضاء نصفهم أجانب، وفي ١٨ نوفمبر من العام نفسه أنشئت المراقبة الثنائية على المالية المصرية لاثنتين: انجليزى وفرنسى.

ولما سارت أحوال الحكومة المصرية المالية من سيئ إلى أسوأ وبالرغم من وجود المراقبة الثنائية، اتهمت إدارة المراقبة الخديو إسماعيل بأنه يقيم العقوبات في سبيل انتظام الشئون المالية، واقتراح الرقيبان وأعضاء صندوق الدين تأليف لجنة تحقيق أوروبية لفحص شئون الحكومة المالية، وأذعن إسماعيل وأصدر مرسوماً (٢٧ يناير ١٨٧٨م) بتأليف لجنة أوروبية عرفت باسم لجنة التحقيق العليا للتحقق من العجز في أبواب الإيرادات وأسبابه، وتلى ذلك مرسوم آخر (في ٣٠ مارس ١٨٧٨م) بتعميم اختصاص اللجنة وجعله شاملاً لحالة الحكومة المالية بجميع عناصرها (إيرادات ومصروفات) وقد فرض المرسوم على وزراء الحكومة والموظفين إعطاء اللجنة جميع البيانات المطلوبة رأساً.

### ■ توفيق وازدياد حدة الأزمة :

عندما تولى توفيق الحكم بعد عزل والده إسماعيل (١٨٧٩م)، انتهز السلطان العثماني الفرصة

لتقييد سلطات ومزايا الخديوية التي سبق إقرارها لإسماعيل بمقتضى الفرمان الجامع (١٨٧٣م)، فأصدر فرماناً جديداً (فى ٧ أغسطس ١٨٧٩م) يقضى بما يلي.

- وجوب إبلاغ الباب العالي بنصوص المعاهدات التي تنوى مصر توقيعها.
- تحديد عدد الجيش مرة أخرى وقت السلم بحيث لا يزيد على ١٨ ألف جندي، وكان عدده قد زاد أيام إسماعيل.

● حظر عقد قروض جديدة إلا إذا كان الغرض منها تسوية الديون القائمة، ويكون الأمر باتفاق الدائنين.

غير أن إنجلترا وفرنسا طلبتا عدم سحب الامتيازات الخديوية السابقة، ليس من باب العطف على الخديو، ولكن منعاً لطغيان نفوذ السلطان على الخديو فتتعلطل مشروعاتهما فى مصر. فى تلك الأثناء أبدى قنصلا إنجلترا وفرنسا عدم الاطمئنان لوزارة محمد شريف باشا الذى يتمسك بالدستور، وبتشكيل مجلس للنواب، ذلك أن الحياة النيابية من شأنها تعطيل مصالح الدائنين عندما تناقش الأمور بمعرفة السلطة التشريعية.

وقد التقت تحفظات القنصلين بميول توفيق الاستبدادية والمعادية للدستور، فبادر بالتخلص من وزارة شريف باشا، وألف وزارة برئاسته (١٢ سبتمبر ١٨٧٩م)، رغم أن هذا يتناقض مع نظام تشكيل مجلس الوزراء الذى يقضى بأن يتولى أحد الوزراء رئاسة المجلس (مرسوم لعام ١٨٧٨م). وكان توفيق قد ألف الوزارة بصفة مؤقتة لحين وصول رياض باشا من أوروبا، وكان رياض من أنصار الحكم المطلق ومعادياً للنظام الدستوري، ويخضع للنفوذ الأوروبي، فكان إذن خير أداة للدول الدائنة. أثناء تولى توفيق رئاسة الوزارة أعاد الرقابة الثنائية، وكانت قد توقفت بعد إدخال وزيرين أوروبيين (إنجليزى وفرنسى) لعضوية الوزارة وقامت وزارة رياض باعتماد هذا الإجراء بطبيعة الحال.

وتحقيقاً لإعادة نظام المراقبة الثنائية، قام القنصلان الإنجليزى والفرنسى بوضع مشروع لائحة لتنظيم الرقابة الثنائية، جعلت للرقبيين نفوذاً أكبر من نفوذ وزراء الدولة، إذ أصبح لهما حق حضور جلسات مجلس الوزراء، والاطلاع على بيان الواردات والمصروفات، ورغم أن رأيهما كان استشارياً إلا أنه كان من الناحية العملية نافذ المفعول. لقد كان تنظيم الرقابة الثنائية على ذلك النحو، بداية التبرم والسخط من وزارة رياض باشا، ذلك أن سياسات المراقبة انتهت إلى ما يلي:

- ١- بيع حصّة مصر فى أرباح القناة وقدرها ١٥% لاتحاد المالىين بباريس وفاء للديون كما سبقت الإشارة (فى ١٤ يناير ١٨٨٠م) وكان إسماعيل قد اضطر لبيع أسهم مصر فى القناة قبل ذلك وفاء للديون، فأصبحت مصر لا تملك أى شيء فى قناة السويس.

٢- إلغاء قانون المقابلة (فى ٦ يناير ١٨٨٠م) الذى كان يمكن الحكومة من جمع أكبر قدر من الأموال الضريبية لتسديد الديون، وكان هذا القانون كما سبقت الإشارة، قد بدأ العمل به اختياريًا (١٨٧١م)، ثم أصبح إجباريًا (١٨٧٣م)، وكان له دور ملحوظ فى عملية استقرار الملكية الفردية للأرض الزراعية.

٣- تأليف لجنة دولية فى ٣ مارس ١٨٨٠م من الدول التى لها معظم الديون (فرنسا وانجلترا وألمانيا والنمسا وإيطاليا)، لبحث الحالة المالية وتحديد علاقات كل من الحكومة والدائرة السنوية (أملاك إسماعيل شخصيًا)، وأملاك الدومين (أملاك الأسرة) بالدائنين وطريقة تصفية الديون السائرة، وعرفت باسم لجنة التصفية، وهى التى أصدرت قانون التصفية (فى ١٧ يولية ١٨٨٠م)، أى تصفية الدين - الذى أصبح يعتبر أساس نظام مصر المالى حتى عام ١٩٠٤م، وكانت أهم أحكام هذا القانون ما يلي:

● تحديد نفقات الحكومة السنوية بأقل من نصف الإيرادات، وتخصيص الباقي لحساب الدين العام.

● تخصيص أملاك الدائرة السنوية والدومين لضمان دين الدائرة السنوية التى تم الاقتراض باسمها ووضعها تحت إدارة دولية.

### الحركة الوطنية والثورة العربية :

أدت سياسة التدخل الأجنبى فى شئون البلاد المالية، وخضوع الخديو توفيق للأجانب، إلى إثارة مشاعر الكراهية ضد الأجانب والخديو معاً، ومن ثم الاحتجاج على التدخل الأجنبى.

ولقد حمل لواء المعارضة والاحتجاج صفوة من أعيان المصريين من كبار ملاك الأراضى الزراعية، ومن المتعلمين، وانضم إليهم العسكريون، وكان نفوذ هؤلاء الأعيان قد تعاظم أواخر أيام الخديو إسماعيل من خلال عضويتهم فى مجلس شورى النواب الذى سمح به إسماعيل (١٨٦٦م). ولقد رحب إسماعيل بذلك ليستعين بالأعيان فى مواجهة الضغط السياسى الأنجلو-فرنسي- وموازنة نفوذ العنصر التركى الشركسي، ومن ناحية أخرى لم يعد هؤلاء الأعيان طبقة ريفية فقط، إذ انتقل عدد كبير منهم إلى المدينة، وشارك فى الحياة العامة، ودخلوا تدريجياً فى دائرة العمل السياسى المباشر.

تسببت الأزمة المالية والواقع السياسى فى تدمير أعيان المصريين بشكل عام من سوء نظام الحكم، وأبدوا اعتراضهم على سياسة رياض باشا رئيس الوزراء الذى كان يعارض فى إقامة حياة نيابية، وينحاز للنفوذ الأوروبى، ويضطهد الوطنيين، ويعطل الصحف التى تنتقد تصرفات الحكومة، وأدرك المثقفون أن الإصلاح يأتى بتطبيق الدستور الذى سبق أن وضعه شريف فى أواخر حكم إسماعيل (دستور ١٨٧٩م) وإنشاء مجلس النواب.

وهكذا... وأمام سياسة رياض باشا والخديو توفيق الاستبدادية الخاضعة للنفوذ الأجنبي، تألفت جمعية في حلوان من الناقمين على سياسة رياض اشتهرت باسم «الحزب الوطني» وقد نشرت أول بيان سياسى لها فى ٤ نوفمبر ١٨٧٩م. وعندما زاد تغلغل النفوذ الأوروبى فى الحكومة طالب الحزب فى منتصف ١٨٨١م بما يلي:

- ١- تعاد إلى الحكومة المصرية جميع أملاك الخديو (الدائرة السنية) وأملاك الأسرة (الدومين).
  - ٢- إلغاء النص الخاص بتخصيص إيراد السكك الحديدية لحساب الدين.
  - ٣- توحيد مختلف الديون فى دين واحد بفائدة قدرها ٤% فقط.
  - ٤- تكوين إدارة مراقبة وطنية خاصة مؤقتة بديلة للمراقبة الثنائية الأجنبية، يكون فيها ثلاثة من الأجانب تعينهم الدول الأجنبية وتوافق عليهم الحكومة المصرية.
- ولقد حاول رياض باشا معرفة أفراد هذا الحزب لنفيهم إلى السودان، لكنه لم يستطع. كما تأسست جمعية أخرى فى الاسكندرية عرفت باسم «مصر الفتاة» أصدرت جريدة بالاسم نفسه، حيث طالبت الخديو بالحريات العامة.
- والخلاصة ... أن الديون تسببت فى تعرض البلاد لأزمة اقتصادية كانت مسئولة عن تحريك مشاعر الغضب ضد نظام الحكم، ويمكن تحديد ملامح الأزمة وتداعياتها على النحو التالي:**
- سوء الأحوال الاقتصادية عامة وانهايار الخدمات بسبب تخصيص أكثر من نصف موارد الميزانية لحساب الديون، وكان هذا معناه حرمان الأهالى ثمرة جهودهم.
  - تدمير حائزو الأرض بسبب إلغاء قانون المقابلة، وكانوا قد استدأنا لدفع ستة أمثال الضريبة أملاً فى الإعفاء من نصف الضريبة مستقبلاً وامتلاك الأرض ملكية قانونية.
  - إحالة كثير من الضباط للتقاعد توفيراً للنفقات، دون تدبير وظائف أخرى مدنية لهم، فانضموا إلى جيش الناقمين من الأهالى.

### مقدمات الثورة :

رأينا كيف أدت الأزمة المالية بتداعياتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية إلى نشوء حالة من التذمر العام ضد نظام الحكم بسبب خضوع الخديو والوزارة إلى نفوذ الأجانب، ولقد عم التذمر كل فئات المصريين بحيث كان الموقف يندرج بالثورة.

غير أن مظاهر التذمر كانت أوضح ما تكون بين ضباط الجيش المصريين لأسباب تتعلق بسوء معاملة رؤسائهم الأتراك لهم، وخاصة وزير الحربية عثمان رفقى باشا، وكان سوء المعاملة يتمثل فى قصر الترقية العسكرية على المتخرجين من المدارس الحربية (وفقاً لمرسوم صدر فى ٣١ يولية ١٨٨٠م)، فكان هذا يعنى عدم وجود فرصة لترقى غالبية العسكريين المصريين.



ورغم أن الثورة عادة تنفجر بسبب أمور تبدو بسيطة لا تدعو للانفجار، وهى التى يقال عنها السبب المباشر، أو كما يعبر عنها المثل الدارج : القشة التى قصمت ظهر البعير... إلا أن عوامل السخط والتدمير الكامنة والمتراكمة، تجعل من هذا الأمر البسيط العادى سبباً ملموساً للتجمع والثورة. وهذا ما حدث فى وقائع الثورة العربية، فالمناخ العام السياسى والمالى والاقتصادى يندربالاحتجاج والثورة، وكان العسكريون فى مصر أكثر تأهلاً للقيام بالثورة نظراً لقدرتهم التنظيمية التى يتميزون بها عن المدنيين، وكان لديهم هم الآخرون ما يعانون منه داخل الجيش من تعسف القيادات التركية الشركسية وحرمانهم من تولى أمور القيادة والرتب العالية، ولما كان العسكريون جزءاً لا يتجزأ من المجتمع المصرى، فقد تأثروا أيضاً بالمناخ العام المندربالثورة، وهذا ما أعطى الثورة العربية بقيادة العسكريين طابعاً مدنياً وشعبياً عاماً.

أما السبب المباشر لتدمير وتجمع العسكريين المصريين، فكان يتمثل فى نقل الأميرلاى عبدالعال بك حلمى قائد آلاى طره إلى ديوان الحربية (مقر الوزارة)، وتعيين أحد الشراكسة مكانه، فكان هذا يعد تنزيراً لمرتبته، وعلى أثر ذلك تجمع الضباط المصريون فى منزل أحمد عرابى (١٦ يناير ١٨٨١م) لمناقشة وضعهم داخل الجيش، وأسفر الاجتماع عن تزعم أحمد عرابى لحركة مطالب الضباط، وكتبوا عريضة تطالب رئيس الوزارة بعزل وزير الحربية التركى (عثمان رفقى)، وتعيين مصرى مكانه. ولم يكن من المتوقع أن تستجيب الحكومة لمطلب الضباط بطبيعة الحال، بل تقرر اعتقال زعمائهم وتقديمهم للمحاكمة العسكرية وهم: أحمد عرابى، وعلى فهمى، وعبدالعال حلمى، وأثناء المحاكمة (فى قصر النيل) كان زملاء الضباط الثلاثة قد خرجوا على رأس فرقة العسكرية وهاجموا مقر المحاكمة، فهرب المجلس العسكرى وخرج الضباط الثلاثة إلى ميدان عابدين لمقابلة الخديو، وأمام التجمهر فى عابدين اضطر الخديو إلى عزل عثمان رفقى وتعيين محمود سامى البارودى وزيراً للحربية (فى ١ فبراير ١٨٨١م). ونتيجة لهذه الاستجابة شعر الضباط بقوتهم وبالثقة فى قدرتهم، وبدأوا فى تقديم مطالب فئوية لتأمين وضعهم داخل الجيش وتحسين حياتهم تتلخص فى:

● صرف بدل نقدى عن التغذية والملابس وزيادة المرتبات عامة.

● عدم استقطاع مرتباتهم مدة الأجازات.

● أن يدفع العسكريون نصف أجرة بالسكة الحديدية.

ولقد تمت الاستجابة لمعظم هذه الطلبات، ومع هذا لم يكن الضباط مطمئنين رغم أن الخديو بعد عزله لعثمان رفقى استدعاهم وأفهمهم أنه لم يعد غاضباً مما حدث، ولقد صدق حس الضباط من حيث تخوفهم، إذ بدأ الخديو يعمل على تأليب كتائب الجند ضدهم.

وفى أواخر مايو ١٨٨١م طالب الضباط بزيادة عدد الجيش إلى ثمانية عشر ألف جندي حسب

فرمان ١٨٤١م، وكان قد وصل عملياً إلى اثني عشر ألف جندي فقط، وإنشاء حصون جديدة، وأضافوا إلى مطالبهم العسكرية مطلباً سياسياً لأول مرة، ألا وهو تكوين مجلس نواب تكون الوزارة مسئولة أمامه، عملاً بالنظام النيابي، وقد أثبت هذا المطلب في حد ذاته توحيد حركة الجيش مع الحركة المدنية السياسية العامة ضد نظام الحكم.

وجد الخديو أن نفوذ الضباط أخذ في الازدياد، فبدأ يعمل على تحجيم وضعهم، وتحديد نفوذهم بمختلف الوسائل، من ذلك أنه بدأ يحرض الجنود تحت رئاستهم بكتابة تقارير ضدهم، وبدأت شكوك الضباط تزداد نحو الخديو، وقد تمثل ذلك في رفضهم تنفيذ بعض الأوامر العسكرية، مثل رفضهم الذهاب للسودان لإخماد ثورة المهدي اعتقاداً منهم أن الغرض من ذلك إبعادهم عن مجرى الحوادث في مصر، وامتناعهم أيضاً عن إشراك جنود الفرق العسكرية في حفر الرياح التوفيقى اعتقاداً أيضاً بأن الغرض من ذلك جمع السلاح من أيدي جنودهم.

وتتابعت الحوادث... ففى تلك الأثناء حدث أن صدمت عربية أحد الأوربيين أحد الجنود المصريين بالاسكندرية وقتلته (٢٥ يوليو ١٨٨١م)، وطلب الجند من الخديو التدخل لمعاقبة الجاني، وحملوا القتل إلى سراى الخديو بالمدينة، وقد استاء الخديو من ذلك المسلك، وحوكم المشاركون في هذه المظاهرة وتم نفيهم إلى السودان.

تقدم عبدالعال حلمي بتقرير يتضرر من الأحكام الصادرة على الجند وقام البارودى برفعه إلى رئيس الوزراء، وقد استاء الخديو مرة أخرى من هذا الأسلوب، فقدم البارودى استقالته، فما كان من الخديو إلا أن عين صهره داود باشا يكن وزيراً للحربية، وقام داود باشا بالتشديد على رقابة الضباط والتضييق عليهم ومنعهم من الاجتماعات.

على كل حال أدرك الخديو من سير الحوادث مدى نفوذ الضباط الثلاثة داخل الجيش، وبدأ يعد خطة لتفريق شملهم ونقل كلا منهم لمكان بعيد عن الآخر، وفى الوقت نفسه كان شأن عرابى يزداد بين الضباط وبين المدنيين على السواء، وبدأ يواجه الاتهامات للحكومة من حيث عدم الوفاء بوعودها فى إصلاح حال العسكريين، واتفق عرابى مع زملائه على حشد الجيش لمواجهة الخديو فى ميدان عابدين يوم ٩ سبتمبر ١٨٨١م. وفى اليوم المحدد وفى ميدان عابدين رفع عرابى مطالب الجيش والأمة وهي:

١- عزل رياض باشا رئيس الوزراء.

٢- تشكيل مجلس النواب.

٣- زيادة الجيش إلى ١٨ ألف جندي.

وبناء على نصيحة القنصلين الانجليزى والفرنسى استوعب الخديو الموقف، وقام بعزل رياض باشا

وكلف شريف بتأليف الوزارة.

## وزارة شريف

ألف شريف باشا الوزارة بعد حادث عابدين مباشرة (١٤ سبتمبر ١٨٨١م) وتعتبر بالنسبة له الوزارة الثالثة وبناء على توصية عرابى تقلد البارودى وزارة الحربية ومصطفى فهمى باشا الخارجية.

وعلى الفور بدأ شريف بالإصلاحات المناسبة للجيش وذلك استجابة للمطالب الفئوية التى سبق تقديمها، غير أن شريف كرجل دستورى مدنى لم يكن مرتاحاً لضغط العسكريين عليه والذى تمثل فى توصية عرابى بتعيين البارودى ومصطفى فهمى وبدأ يعمل على رفع الضغط العسكرى عن الحكومة، وذلك بنقل آليات (كتائب) الضباط ١ لثلاثة خارج القاهرة، ولقد وافق عرابى شريطة أن يعلن الخديوى موافقته على إجراء الانتخابات لمجلس النواب.

واستجاب الخديو ونقل عرابى إلى الشرقية وعبدالعال حلمى إلى دمياط، وفى الشرقية بلد عرابى نشط بين الأهالي، وازداد شأنه، ومن ثم خطره، الأمر الذى أخاف الحكومة، فصدر قرار بتعيينه وكيلاً لوزارة الحربية حتى يكون تحت نظر الحكومة ورقابتها فى القاهرة (٤ يناير ١٨٨٢م).

فى تلك الأثناء قدم نحو ألف وستمائة من أعيان البلاد مذكرة بإنشاء مجلس للنواب على غرار مجالس أوروبا، وقد افتتح المجلس بعد الانتخابات يوم ٢٦ ديسمبر ١٨٨١م، وكان يتألف من ذوى العصبية فى الأقاليم من الأعيان، وخلا من التجار أو الصناع أو المتعلمين تعليماً عالياً، إلا إذا كان أصلاً من ذوى العصبية ومن الأعيان، وبالتالي لم يختلف عن مجلس شورى النواب أيام حكم إسماعيل.

## التدخل الأجنبى السافر :

رأت إنجلترا وفرنسا فى تشكيل مجلس النواب ما يمثل خطورة على مصالحهما، لأن قيام نظام برلمانى سوف يجعل من التدخل الأوروبى أمراً صعباً، على حين أن نظام الحكم المطلق المستبد يسهل أمور التدخل، وعلى هذا فقد أرسلت الدولتان مذكرة مشتركة فى ٧ يناير ١٨٨٢م توحى كلماتها بالاستياء من قيام نظام برلمانى فى مصر، وتذكر صراحة أن الأحداث توجب التدخل لحماية عرش الخديو. وقد احتج شريف باشا رسمياً على هذه المذكرة لدى قنصلى الدولتين، واستاء الضباط من لهجة المذكرة واعتقدوا أنها موجهة إليهم.

وتداعت الأحداث... ولما لم تتمكن الدولتان من تحقيق أغراضهما بإلغاء مجلس النواب، طلبتا ألا تتضمن لائحة المجلس حقه فى مناقشة الميزانية وإقرارها، لأنها أمور تتعلق بالديون، وتخرج موقف شريف باشا، وعرض على النواب تأجيل النظر فى الميزانية حتى يفوت الفرصة على التدخل العسكرى للدولتين، غير أن العرابيين تشبثوا بحق المجلس فى إقرار الميزانية باعتبار أن ذلك حق من

حقوق الأمة الممثلة فى المجلس المنتخب، وبدا للعربانيين أن شريف يعمل على إقصائهم من الميدان كعسكريين، ومن ثم بدأوا يفكرون فى إقصائه هو عن رئاسة الوزارة وتولية واحد منهم ألا وهو البارودى، وكان البارودى من ناحيته يسعى لذلك ويشجع العربانيين على التمسك بموقفهم.

وأمام إصرار الطرفين على موقفهما بالنسبة لمناقشة الميزانية، استقال شريف باشا، وتألفت الوزارة برئاسة البارودى واعتبرت وزارة العربانيين، حيث عين عرابى وزيراً للحربية، وبادرت الوزارة بإعلان الدستور (٧ فبراير ١٨٨٢م)، وإقرار حق مجلس النواب فى مناقشة الميزانية، وهنا احتج الرقبان الانجليزى والفرنسى، وطالبا قنصليهما بالتصرف.

من ناحية أخرى كان الموقف العام يزداد سوءاً من حيث تخاذل الخديو توفيق وخضوعه للنفوذ الأجنبي، ففى إبريل ١٨٨٢م وقعت حادثة زادت الموقف توتراً. فقد اكتشفت مؤامرة لاغتيال عرابى والضباط الوطنيين (أربعون ضابطاً) بمعرفة بعض الضباط الشراكسة. وأجرى التحقيق مع المتآمرين حيث حكم عليهم بالنفى المؤبد إلى السودان، وتجريد هم من الرتب العسكرية والنياشين والامتيازات. رفض الخديو التصديق على الحكم بناء على نصيحة القنصلين حتى لا تزداد قوة العربانيين، فأهاج ذلك العربانيين، ثم تم التوصل إلى حل وسط حيث وافق الخديو على نفي المتآمرين خارج مصر دون تحديد الجهة، مع عدم التجريد من الرتب والنياشين (٩ مايو ١٨٨٢م).

ولقد شعر القنصلان أن الحالة تنذر بالثورة وبخلع الخديو خاصة وقد نسب إلى العربانيين أنهم يسعون إلى عزل الخديو توفيق وتعيين الأمير حليم، وبناء على تقارير القنصلين أرسلت إنجلترا وفرنسا قطعاً من الأسطول فى مظاهرة حربية أمام الشواطئ المصرية، بحجة حماية مصالح رعاياهما إذا ما تعرضوا للخطر بسبب الأزمة القائمة (١٩ مايو ١٨٨٢م).

طلبت الدولتان استقالة وزارة البارودى، وخروج عرابى من مصر، وكان تقديم الطلب للعربانيين قد تم بشكل ودى بواسطة سلطان باشا رئيس مجلس النواب، ومن هنا فقد سلطان باشا ثقة زعماء الثورة وعرف بالخائن فيما بعد.

وكان من الطبيعى أن ترفض وزارة البارودى الاستقالة بناء على طلب الأجانب، بل إن هذا الطلب زاد من تماسك العربانيين حيث أقسم الجميع (البارودى مع الضباط) يمين الدفاع عن البلاد والولاء للثورة، وقام الشيخ محمد عبده بمهمة تحليف الضباط اليمين.

لكن الخديو توفيق قبل مذكرة الدولتين، فما كان من الوزارة إلا أن استقالت احتجاجاً (٢٦ مايو ١٨٨٢م)، وقام توفيق بتشكيل الوزارة برئاسة برئاسته، إلا أنه لم يستطع التخلص من عرابى حيث عينه وزيراً للحربية ورئاسة الجيش تحت ضغط الضباط.

بدأت إنجلترا تتجه نحو الانفراد بالعمل بعيداً عن فرنسا، وجاءتها الفرصة عندما انسحبت قطع

من الأسطول الفرنسى وبقيت القطع الانجليزية، وأخذ قائد الأسطول الانجليزى يطالب الحكومة المصرية بعدم إقامة أية تحصينات، كل هذا والخديو لا يحتج، والسلطان العثمانى لا يحرك ساكناً. ومثلما تقوم الثورة لسبب بسيط غير متوقع يعد سبباً مباشراً كما سبقت الإشارة، فإن الحرب أيضاً تقوم متكئة على سبب من هذا النوع، ففى ١١ يونيه ١٨٨٢م وقعت مذبحه بالاسكندرية على أثر شجار بين رجل مالطى من رعايا بريطانيا وبين مكارى مصرى (عربى) حول أجرة الركوب، فما كان من المالطى إلا أن طعن المصرى طعنة قاتلة، وتحول الأمر إلى معارك متبادلة بين الأجانب خاصة والمصريين عامة.

ويبدو أن هذا الحادث الغامض فى تاريخ مصر الحديث كان مدبراً، ذلك أن المالطى أخذ جولة كبيرة بالعربة على غير المعتاد، وتعهد أن يدفع أجرة قليلة لا تتناسب مع طول الجولة، على كل حال لقد اضطربت الأمور واختل الأمن، وبدأ الأجانب يتحصنون داخل المدينة ويتجمعون فى أماكن واحدة، وتألقت وزارة جديدة برئاسة راغب باشا (٢٠ يونيه ١٨٨٢م).

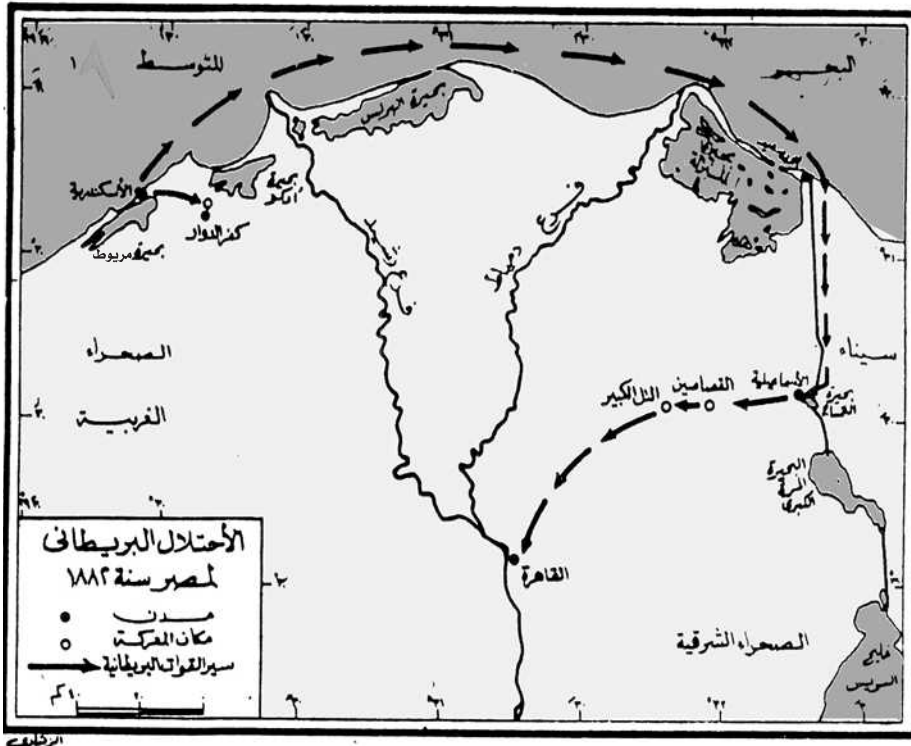
### مؤتمر الأستانة والاحتلال :

أدركت فرنسا أن انجلترا تريد الانفراد بمصر واحتلالها، ومن ثم بادرت بدعوة الدول الكبرى لعقد مؤتمر للنظر فى المسألة المصرية، ووافقت انجلترا وألمانيا وإيطاليا والنمسا، وانعقد المؤتمر بالأستانة عاصمة الدولة العثمانية فى مقر السفارة الإيطالية (٢٥ يونيه ١٨٨٢م). وأبرم المجتمعون فيما بينهم ميثاق نراه تعهدوا بمقتضاه ألا تنفرد إحداها بالعمل تجاه المسألة المصرية، سواء باحتلال جزء من الأراضى أو الحصول على امتياز معين دون أن تتمتع به كافة الدول.

وأثناء المؤتمر أدرك المندوب البريطانى ما ينطوى عليه هذا الميثاق، فأضاف إلى تعهد عدم الانفراد عبارة: «إلا إذا حدث ما يودى إلى ذلك...» وقبل أن يبلغ المجتمعون السلطان العثمانى بقرارهم، كانت انجلترا قد أعدت للأمر عدته، وخلقت الموقف الاضطرابى، وقامت بضرب مدينة الاسكندرية فى يوم ١١ يولية استناداً إلى أن مصر تقوم بتحسين الاسكندرية، وتعترم غلق الميناء وحصار البوارج الانجليزية الراسية فيه، وهكذا ذهب ميثاق النزاهة سدى.

نزلت القوات الإنجليزية الاسكندرية، واضطرب الموقف بشكل عام وتلاحقت الحوادث تجاه هزيمة الجيش المصرى واحتلال انجلترا البلاد، فقد أعلنت الأحكام العرفية وحاصر الجيش قصر الخديو بالاسكندرية، وربط الخديو مصيره بانتصار الانجليز بل إنه كلفهم بالمحافظة على النظام بالاسكندرية وانسحب عرابى مع وحدات من الجيش إلى كفر الدوار لإقامة خط دفاع ثان. شكل (١١).

طلب الخديو من عرابى وهو بكفر الدوار الكف عن الاستعدادات الحربية، وأمره بالحضور إلى قصر رأس التين، غير أن عرابى رفض، ووجه إلى الخديو تهمة الخيانة العظمى، وطلب من الأعيان



شكل رقم (١١) الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢م

والعلماء النظر في شرعية ولايته على البلاد، وعلى هذا تم تشكيل مجلس عرقي لإدارة شئون البلاد بعيداً عن سلطة الخديو.

وإزاء ذلك قرر الخديو عزل عرابي من وزارة الحربية، لأنه لم يتوقف عن التحصينات والاستعدادات الحربية، فقرر المجلس العرقي بقاء عرابي في منصبه، واكتسب عرابي تأييداً شعبياً جارفاً وأطلق عليه «حامى حى الديار المصرية»، واعتبر بقاء الخديو بالاسكندرية بعد احتلال الانجليز لها تواطؤاً معهم، ورد الخديو على ذلك بإصدار منشور يحذر فيه المصريين من الانضمام إلى عرابي باعتباره مسئولاً عما جرى من حوادث.

وبينما الطرفان في هذه المناوشات الكلامية، دخل الانجليز إلى قناة السويس، وقد حاول عرابي قبيل ذلك تعويق الملاحة فيها، إلا أن إدارة الشركة طمأنته بأنه لن يسمح للبوارج الحربية من أى نوع بالدخول في القناة، وكان عرابي قد انتقل بقواته إلى التل الكبير في الشرقية تحسباً لدخول الانجليز من الناحية الشرقية، وأخيراً وقع الصدام بين الجيش البريطاني والجيش المصري حيث انتهى الأمر بهزيمة الجيش المصري، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام الجيش الانجليزي إلى القاهرة حيث دخلها في ١٤ سبتمبر ١٨٨٢م وبرفقتهم الخديو توفيق الذي قام باستعراض «الجيش الانجليزي في ساحة عابدين» وبهذا انتهت الثورة العرابية. شكل رقم (١٢).





شكل رقم (١٢) يوضح معركة التل الكبير

## أسباب فشل الثورة العربية :

يمكن تلخيص الأسباب فيما يلي :

- ١- الانقسام فى صفوف الأمة بين المعسكر المؤيد لعربى من ناحية والمعسكر المؤيد للخديو توفيق والعناصر التركية الشركسية من ناحية أخرى، مما ساعد الإنجليز على الاستفادة من التناقضات بل وتعميق الخلافات والظهور بمظهر حماة السلطة الشرعية.
- ٢- اختلاط هدف التخلص من التدخل الأجنبى الذى حدث بفعل الأزمة المالية وتحدى سلطة الخديو والتهديد بعزله، ذلك أن العناصر التى تريد التخلص من التدخل الأجنبى لا تريد فى الوقت نفسه تحدى سلطة الخديو باعتباره ولى الأمر الشرعي، وكان من شأن هذا الخلط تفتيت وحدة الحركة الوطنية.
- ٣- ظهور عناصر انهزامية فى صفوف الوطنيين كانت ترى الانصياع لرغبات الخديو والانجليز وإيقاف الثورة، ووصل الأمر بهؤلاء إلى الاقتناع بطلب الانجليز مغادرة عربى للبلاد.
- ٤- عدم تكافؤ القوة العسكرية بين الطرفين، وتواطؤ إدارة شركة قناة السويس الأجنبية مع قيادة الجيش الانجليزى وتسهيل دخول الأسطول الانجليزى مياه القناة.
- ٥- معاداة الدول الأوروبية الكبرى لأى ثورات وطنية من شأنها تغيير ميزان القوى وأوضاع الحكم القائمة من الملكيات المستبدة.

## أحوال مصر تحت الاحتلال

### ● من الناحية السياسية :

بعد دخول الجيش الانجليزى مصر فقدت مصر استقلالها الذى حاول كل من محمد على وإسماعيل تحقيقه بمختلف الطرق والوسائل، وفوردخول الانجليز تم حل الجيش المصري، وتشكل جيش جديد تحت إشراف انجليزى، وقام اللورد دافرين سفير إنجلترا بالأستانة بوضع خطوط الإدارة الانجليزية لمصر بعد الاحتلال، عرفت بالقانون الأساسى لعام ١٨٨٣م، وكانت أفكار دافرين تشير بما يلي:

١- ألا تتولى إنجلترا حكم مصر مباشرة، بل تبقى السلطة فى يد الخديو ووزرائه تحت إشراف الإنجليز وكان هذا يعنى وجود سلطتين فى البلاد: سلطة شرعية يمثلها الخديو، وسلطة فعلية يمثلها الاحتلال الانجليزى.

٢- استمرار تبعية مصر للدولة العثمانية منعاً لإثارة السلطان.

٣- العمل على طبع الإدارة المصرية بالطابع الانجليزى، وهو ما عرف بسياسة (الجلنزة).

٤- إلغاء بعض الإدارات ذات الصبغة الدولية فى مصر وفى مقدمتها نظام المراقبة الثنائية، حتى تنفرد إنجلترا بالحكم، وكان هذا سبباً فى عدااء فرنسا لانجلترا الذى استمر حتى تم توقيع وفاق بينهما فى عام ١٩٠٤م.

٥- إلغاء مجلس النواب الذى شكل على غير رغبة إنجلترا وفرنسا كما سبقت الإشارة، وإقامة مجلس صورى عرف بمجلس شورى القوانين، وإلى جواره جمعية عمومية صورية، ومجالس للمديريات تضم الأعيان بصفة أساسية.

وتم تعيين السير ايفلن بارنج (اللورد كرومر فيما بعد) أول معتمد بريطانى فى مصر (١١ سبتمبر ١٨٨٣م)، وقد ظل كرومر رمزاً للوجود الانجليزى فى مصر حتى رحل عنها فى ١٩٠٧م.

### ● الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى عهد الاحتلال الانجليزى :

#### الزراعة :

فى أواخر عصر محمد على ونتيجة لضرب سياسة الاحتكار كما سبقت الإشارة بدأ الاقتصاد المصرى يركز على الزراعة حيث لم تعد الصناعة الحرفية القائمة تقوى على منافسة الإنتاج الأجنبى، وفى عهد الاحتلال الانجليزى وحتى الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) انصرف الاهتمام بدرجة أكثر إلى الزراعة على حساب الصناعة، وذلك لتوفير المادة الخام اللازمة للمصانع الانجليزية، وإتاحة الفرصة لتسويق المنتجات الانجليزية فى السوق المصرية.

وكان من شأن الاهتمام بالزراعة تحسين نظام الري والصرف، واستكمال شق القنوات، وفي هذا الخصوص تم إصلاح القناطر الخيرية، وأنشئ خزان أسوان، وأقيمت عدة قناطر على النيل في أسيوط وإسنا وزفتي، وعلى هذا زادت مساحة الأراضي المزروعة وزاد الإنتاج الزراعي.

كما زادت الزراعة الصيفية وخاصة القطن على حساب الزراعات الشتوية وبخاصة الحبوب، وأدى ذلك إلى عجز مصر عن سد حاجة الاستهلاك المحلي من المواد الغذائية، ومن ثم تعرضها لخطر الاعتماد على محصول واحد وهو القطن. وتحت الاحتلال الانجليزي بدأت الاستثمارات الأجنبية تدخل في مجال الزراعة، فتكونت شركات لشراء الأراضي واستصلاحها ثم بيعها للأهالي بالتقسيط بفوائد مركبة أدت إلى ارتباك حالة الفلاح المالك.

وقد أدى اعتماد الاقتصاد المصري على الزراعة إلى تعاظم دور ملاك الأراضي الزراعية كقوة اجتماعية دخلت في ميدان السياسة منذ عصر إسماعيل، وقد زاد شأنهم في عهد الاحتلال بسبب اهتمام السلطات الانجليزية بالتخصص الزراعي، فيلاحظ تشكل مجالس المديرية منهم، ودخولهم عضوية المجالس النيابية في عهد الاحتلال حيث واتتهم الفرصة للدفاع عن مصالحهم الزراعية من خلال السلطة التشريعية، بل إن وظيفة العمدة وشيخ البلد استقرت في أيديهم، حين اشترط قانون العمدة (١٨٩٦م) مثلاً أن يكون المرشح لشغل الوظيفة ممن يملكون عشرة أفدنة على الأقل.

### الصناعة:

تأثرت الصناعة كثيراً بوجود الاحتلال الانجليزي، وكانت قد تأثرت من قبل عندما سقط نظام الاحتكار، حيث أصبحت السوق المصرية مجالاً لتسويق الإنتاج الصناعي الأوروبي في حماية الامتيازات والمعاهدات التجارية مع مختلف دول أوروبا.

وبالتالي لم تستطع الحكومة المصرية حماية الصناعة المحلية. بل على العكس وضعت الصناعة المحلية في منافسة غير متكافئة بالإجراءات التالية:

١ - فرضت على جميع المنسوجات القطنية ضريبة مقدارها ٨% تعادل الرسوم الجمركية التي كانت تفرض على الواردات من تلك المنسوجات (في إبريل ١٩٠١م) مما أدى إلى كساد صناعة غزل القطن ونسجه.

٢ - فرضت الحكومة على السكر المصنوع في مصر ضريبة استهلاك فارتفع سعره وتساوى مع سعر السكر المستورد، وبالتالي لم تكن هناك فرصة للمنافسة الحقيقية.

- ٣- إن سعر الضريبة على الآلات الأولية اللازمة للصناعة المستوردة كانت تعادل سعر الضريبة على السلع الأجنبية، مما جعل الصناعة الوطنية مثقلة برسوم جمركية أدت إلى ارتفاع تكلفتها، وبالتالي صعوبة تسويقها.
- ٤- فرضت على المصنوعات المصرية المصدرة رسوماً قدرها ٢٥، ١٪، مما أدى إلى ارتفاع سعرها في السوق الخارجية فلا تجد مشترياً.
- ٥- تدهور حال التعليم الصناعي بعد انتهاء نظام الاحتكار، ولم تتبين الحكومة خطورة هذا التدهور إلا في عام ١٩٠٧م عندما أنشئت إدارة للتعليم الفني الصناعي.
- ورغم وفرة رؤوس الأموال في يد المصريين من ملاك الأراضي الزراعية إلا أن هؤلاء الملاك كانوا يفضلون استثمار مدخراتهم في استصلاح الأراضي وفي الزراعة بدلاً من الإنتاج الصناعي المحكوم عليه بمنافسة غير متكافئة ودون حماية حكومية، كما سبقت الإشارة، بل إن الأجانب أحجموا بدورهم عن استثمار أموالهم في الصناعة حتى يفسحوا المجال لتسويق منتجات بلادهم الصناعية في مصر، وانصرف رؤوس الأموال الأجنبية إلى تسليف الحكومة، وتسليف المنتجين الزراعيين، وشراء الأراضي والعقارات، وفي مطلع القرن العشرين بلغ رأس مال الشركات الأجنبية المساهمة في مصر ٤٥ مليوناً من الجنيهات، لم يزد نصيب المستثمر منها في الصناعة على أربعة ملايين فقط.
- وأمام هذه المنافسة غير المتكافئة وعجز الحكومة المصرية عن حماية الصناعات المحلية، لم يعد أمام الحكومة سوى بيع ما تملكه من مغازل القطن ومعامل النسيج، وإغلاق مصانع المدافع والذخيرة وبيع أدواتها، وأصبحت تعتمد في تمويل الجيش بالمهمات والذخيرة اللازمة على الشراء من إنجلترا.
- أما بالنسبة للصناعات الصغيرة غير الحكومية، فقد أصابها التدهور حيث انتشرت حالات الإفلاس بين أصحابها، ولم تعد هناك طائفة تحميهم كما كان الحال في السابق، إذ ألغيت تلك الطوائف في ١٨٩١م، وأصبحت البضائع المستوردة تشكل نسبة كبيرة من استهلاك المصريين، حتى لقد كان اللورد كرومر يفخر في تقريره السنوي عن مصر لعام ١٩٠٥م بقوله: إن المنسوجات الأوروبية حلت محل المنسوجات الأهلية، وإن الدكاكين المحلية أصبحت تباع كل ما هو أوروبي الإنتاج.
- التجارة:**

نتيجة القيود التي فرضت على الإنتاج المحلي وتسويقه، ارتفع شأن الوكالات التجارية الأجنبية، ولم يعد للحكومة من رقابة على الأسواق الداخلية إلا فيما يتعلق بالأمن العام.

وبدأت رؤوس الأموال المتراكمة من التجارة تستثمر في مجال الشركات والبنوك وخاصة ما كان يتعلق بالرهونات، وفي خلال الفترة من ١٩٠٠م-١٩٠٧م أنشئت في مصر أكثر من ١٦٠ شركة وبنكاً تعمل جميعها في دائرة البنوك واستصلاح الأراضي واستغلالها، وتسليف الفلاحين وبلغت نسبة الأجانب في هذه المشروعات ٩٣٪.

وكان أبرز هذه المشروعات الاستثمارية وأخطرها على الاقتصاد المصري، إنشاء البنك الأهلي (٢٥ يونية ١٨٩٨م)، وهو مشروع انجليزي احتكر إصدار الأوراق المالية المصرية وكافة الأعمال المصرفية، مما أدى إلى ارتباط العملة المصرية بالعملة الانجليزية، بحيث كانت أية هزة في العملة الانجليزية تؤثر على العملة المصرية.

وقد نتج عن الاستثمارات الأجنبية في مجال الزراعة من حيث التسليف وشراء الأراضي، وقوع ملاك الأراضي الزراعية صغارهم وكبارهم في قبضة هذه البنوك، والذي حدث أن أولئك الفلاحين كانوا يعجزون لأسباب كثيرة عن تسديد ما عليهم من قروض في موعد السداد، وكان الدائنون من بنوك أو مرابين أجانب يسارعون بالاستيلاء على الأرض وفاء للديون طبقاً لقوانين الامتيازات الأجنبية المعمول بها في العلاقات بين المصريين والأجانب، وقد عرفت مسألة الاستيلاء على الأرض وفاء للديون بالبيع الجبرية أو الوفاية، وقد بلغت حدًا هدد بتسرب الأرض الزراعية في مصر من يد المصريين إلى يد الأجانب حتى اضطرت الحكومة إلى التدخل في نهاية الأمر لوقف هذه البيوع في مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين.

### ● التعليم في عهد الاحتلال :

ولعل أهم مساوئ الاحتلال إهمال التعليم، والضرر عليه بالأموال وجعله بمصروفات عالية بعد أن كان بالمجان، وحصره في فئة قليلة، وقصر أهدافه على مجرد تخريج موظفين للدولة وإخضاعه لمجموعة من النظم والقواعد الصارمة التي ابتدعها المستشار الانجليزي دنلوب، والتي أمانت روح الابتكار، ونشأت الأفراد على الخضوع والاستسلام.

وليس أدل على إهمال الانجليز لشئون التعليم من أنه بعد مضي أربعين عاماً على الاحتلال كانت نسبة الأمية في مصر لا تقل عن ٩٢٪ من البنين، ٩٧٪ من البنات.

على أنه بالرغم من ذلك كله فإنه نتيجة لدعوة مصطفى كامل لإنشاء المدارس الأهلية وحركة نشر التعليم فإن القاعدة الطلابية أصبحت أعرض مما ساعد على أن تلعب دوراً متصاعداً في الحياة السياسية المصرية، وبرز ذلك بوضوح أثناء ثورة ١٩١٩م وما بعدها.

## اليقظة الوطنية

### ● الكفاح الوطنى ضد الاحتلال :

بوقوع مصر تحت الاحتلال البريطانى ونفى بعض زعماء الثورة العربية، واعتقال البعض الآخر، أصبحت السلطة الفعلية فى مصر للمعتمد البريطانى، وبدأت سياسة إخضاع الإدارة فى مصر للعناصر الانجليزية فى كل مصلحة حكومية فى الجيش، والشرطة، والمالية، والأشغال، والحقانية (العدل). ولم تجد هذه السياسة أدنى اعتراض خلال سنوات الاحتلال الأولى أيام حكم الخديو توفيق، خاصة وأن الانجليز هم الذين حموه من الثورة العربية.

فلما تولى عباس حلمى الثانى (٨ يناير ١٨٩٢م) (\*) العرش بعد وفاة والده تطلع إلى مزاولة سلطاته كاملة بعيداً عن سيطرة وتوجيه المعتمد البريطانى. فأوقعه هذا التطلع فى أزمات متتالية مع السلطات البريطانية التى لم تكن تسمح بذلك، وحتى لا تخرج أمور مصر من يدها.

وكانت أبرز هذه الأزمات عندما أقدم الخديو عباس على إقالة مصطفى فهمى من رئاسة الوزارة، وكان معروفاً بخضوعه التام للانجليز، وتعيين حسين فخري باشا وذلك دون استشارة المعتمد البريطانى (يناير ١٨٩٣م). وقد اعترض كرومر على ذلك، وأبرق إلى حكومته فى لندن، وفى النهاية اضطر الخديو إلى المهادنة، وتم التوصل إلى حل يتفق مع كرامته إلى حد ما، وهو الإيعاز إلى حسين فخري بتقديم استقالته وتكليف رياض باشا بالرئاسة.

ولقد وعى الخديو هذا الدرس، ولم يفكر فى المواجهة مع كرومر مرة أخرى إلى أن غادر كرومر البلاد (فى عام ١٩٠٧م). وعلى العكس فقد تراجع عباس عن مواقفه المتشددة تجاه الاحتلال إلى الوفاق مع الإنجليز على حساب الحركة الوطنية.

وعلى حين كانت السلطة الفعلية للانجليز فى مصر، كان السلطان العثمانى يقاسم الخديو السلطة القانونية الاسمية والتى تتمثل فى إصدار فرمانات التولية، وفى الوقت نفسه كان هناك وجود دولى لبعض الإدارات كان من شأنه الإخلال بمبدأ السيادة للدولة، وقد تمثل هذا الوجود فى صندوق الدين وإدارة السكك الحديدية والتلغراف والدائرة السنية والدومين وميناء الاسكندرية فضلاً عن الامتيازات الأجنبية والمحاكم المختلطة.

ولقد وثق الخديو علاقاته بالسلطان العثمانى حتى يستند إليه إذا مادعت الحاجة لمواجهة السيطرة الانجليزية، وحتى لا تتفق الدولة العثمانية مع انجلترا ضده. ومن ناحية أخرى أخذ يتقرب

(\*) اشترط السلطان العثمانى للموافقة على تولية عباس الحكم أن تتخلى مصر عن العقبة (على البحر الأحمر) لتركيا، وكانت فى الأصل تابعة لولاية الحجاز وأعارتها تركيا لمصر فى عهد إسماعيل وذلك لتأمين طريق المحمل والحجاز الذى يأخذ طريق البر، وقد قبل الخديو ذلك ومن ثم صدر فرمان التولية.



إلى الشعب فأفرج عن بعض مسجونى الثورة العربية، وعين بعضهم فى وظائف خارج الجيش، وأعاد إليهم نياشينهم التى جردوا منها وعفا عن عبدالله نديم خطيب الثورة العربية وسمح له بمزاولة نشاطه علناً. وقد كان مختفياً هارباً من السلطات.

ولقد شجعت مواقف عباس حلمى الثانى المتشددة فى البداية ضد الاحتلال، روح المقاومة والمعارضة لدى المصريين، فبدأ مجلس شورى القوانين يهتم بالأمور السياسية وكان ممنوعاً من مناقشتها لأن المجلس فى عرف السياسة الانجليزية كان صورياً فقط. فطالب المجلس بمناقشة الميزانية، وطالب بوضع نظام جديد للضرائب، وطالب بحل مشكلة الديون العقارية، والتوقف عن تعيين الأجانب فى الوظائف العليا.

وحين شعر المصريون بوطنية الخديو، جرت فى عروقهم دماء المقاومة التى كانت قد جفت منذ الاحتلال، فطوال عشر سنوات من الاحتلال (١٨٨٢م-١٨٩٢م) تحت حكم توفيق خمدت الروح الوطنية، ولا يذكر فى هذا الإقياام جمعية سرية «جمعية الانتقام» تهدف إلى تحرير الوطن باغتيال الانجليز لكن ما لبث أن قضى على أفرادها فى وقت قصير (يونىة ١٨٨٣م)، كما تأسست جريدة «العروة الوثقى» على يد جمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده لمهاجمة الاحتلال كما تأسست جريدة «المؤيد» (١٨٨٩م) فى إطار الجامعة الإسلامية.

ومن ناحية أخرى كانت الشخصيات البارزة فى مصر قد تفرقت وخلعت ثوب المقاومة وانشغل بعضها بالوظائف الحكومية، وانصرف البعض إلى الأعمال الخاصة فى المحاماة والزراعة والتجارة بل أن البعض صانع الانجليز.

### ● مصطفى كامل :

رغم توقف الحركة الوطنية سياسياً إلا أن المناخ الثقافى (والفكرى) العام ساعد على نمو الروح الوطنية وبلورة المواقف السياسية فقد انتشرت صحافة الرأى التى كانت تزخر بالمقالات والدراسات من كل نوع، وبدأت سياسة البعثات من أيام إسماعيل تؤتى ثمارها حيث عاد المبعوثون يفرضون وجودهم على ساحة الحياة الفكرية والثقافية وقد تأثروا بطبيعة الحياة الأوروبية التى أطلوا عليها من حيث حرية الرأى فى ظل حياة نيابية دستورية كانوا يتطلعون إليها فى بلادهم المحتلة.

وقد وجد هؤلاء طريقهم إلى الصالونات الفكرية والمنتديات الأدبية التى انتشرت فى مصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر. من ذلك صالون لطيف سليم باشا (١٨٩٣م) الذى كان يحمل أفكار العربيين والمنتدى الأفغانى الذى كان أكثر المنتديات تأثيراً فى الحياة الفكرية والعمل السياسى، وفى أحضانه ظهرت بعض الشخصيات العامة، ومنتدى السيد البكرى وصالون أحمد تيمور باشا للأدب والثقافة والنضال وصالونات السيدات الشهيرات مثل صالون عائشة التيمورية، وصالون نازلى هانم فاضل،

## وصالون الأميرة الكسندرة.

فى هذا المناخ السياسى لمواقف الخديو عباس الوطنية الأولى تجاه الأنجليز قبل أن ينقلب على الوطنيين، وفى هذا المناخ الفكرى الثقافى العام ظهر مصطفى كامل ليقود الوعى المصرى فى طريق اليقظة لمواجهة الاحتلال والمطالبة بالجلاء. تخرج مصطفى كامل فى مدرسة الحقوق المصرية والفرنسية، وقد دخل فى المدرسة لأنها مدرسة الكتابة والخطابة ومعرفة حقوق الأفراد والأمم على حد قوله فى أحد خطاباته وقد تخرج فى المدرسة فى ١٨٩٤ م، ولكنه لم يترافع فى أية قضية مدنية، ووهب نفسه لخدمة قضية استقلال مصر، وقبل أن يتخرج بعام كان قد انضم لصالون لطيف سليم باشا. رأى مصطفى كامل أن ينسق أفكاره مع الخديو عباس ويتفاهم معه بشأن الحركة الوطنية، حتى لا يقع فى مشكلة التناقض والشقاق الذى حدث بين عرابى وتوفيق وكان مصطفى كامل يأخذ على عرابى هذا الموقف.

كما كان يهدف إلى تنسيق الحركة مع السلطان العثمانى نظراً لتبعية مصر لتركيا، وفى هذا الخصوص اقترح على السلطان (١٨٩٧ م) أن يوافق على جلاء الجيش العثمانى عن بلاد اليونان مقابل جلاء الانجليز عن مصر. ورأى أيضاً الاستفادة من اعتراض فرنسا على بقاء انجلترا فى مصر فاتصل بالسياسيين والمنقذين والصحفيين الفرنسيين وعقد معهم علاقات شخصية وفى مقدمتهم مدام جوليت آدم الأديبة السياسية. وسافر أكثر من مرة إلى فرنسا وغيرها من مدن أوروبا يكتب فى صحفها ويخطب فى الاجتماعات العامة من أجل المطالبة بجلاء الانجليز عن مصر.

## ● تراجع الخديو عباس :

فى تلك الأثناء حدث ما جعل الخديو يتراجع عن سياسة التشدد تجاه الاحتلال، والتودد إلى انجلترا، ومن ثم يعادى الحركة الوطنية ونقصد بهذا حادثة فاشودة (١٨٩٨ م) وتتلخص هذه الحادثة فى أن انجلترا وفرنسا وإيطاليا اقتسمت مناطق جنوب السودان وشرق أفريقيا بعد خروج الجيش المصرى من السودان (١٨٨٤ م) فى أعقاب الثورة المهدية<sup>(\*)</sup> وفى إطار السباق الاستعمارى لأفريقيا، وعلى هذا احتلت انجلترا أوغندا ومنطقة البحيرات الاستوائية والجزء الجنوبى من مديرية خط الاستواء المصرية ومديرتى زيلع وبربرة واحتلت إيطاليا مصوع وأريتريا والرأس الأخضر (جرد فوي) واحتلت فرنسا تاجورة وجيبوتي.

غير أن فرنسا اعتزمت صد توغل تيار الاستعمار الإنجليزى فى قلب أفريقيا فأرسلت حملة لاحتلال فاشودة فى أعالي النيل الأبيض قرب التقائه بنهر السوبات (وصلت ١٠ يولية ١٨٩٨ م)، واحتجت انجلترا باسم مصر على احتلال فرنسا لفاشودة باعتبارها أرضاً مصرية، ومن ثم أرسلت حملة

(\*) وجد الانجليز فى الثورة التى قام بها محمد أحمد الملقب بالمهدى فرصة لتحقيق سياستهم فى تفكك الدولة المصرية فى أفريقيا وفى النفاذ إلى قلب أفريقيا حيث ألزمت الحكومة البريطانية مصر بالجلاء عن السودان.

عسكرية هي الأخرى لفاشودة (وصلت في سبتمبر ١٨٩٨م) ولكن انتهى الأمر عند حد المواجهة غير المسلحة وانسحبت القوات الفرنسية من فاشودة بعد اتصالات دبلوماسية بين الدولتين (١١ ديسمبر ١٨٩٨م).

كان الخديو ومعه الوطنيون يعتقدون أن فرنسا أقدمت على احتلال فاشودة لفتح باب المسألة المصرية وإجبار إنجلترا على مناقشة موضوع الجلاء عن مصر فلما تراجعت فرنسا وقفلت قواتها عائدة دون صدام، دب اليأس في النفوس، وكان الخديو عباس أول المنهزمين، وبدأ يعيد ترتيب حساباته السياسية، ويركن إلى أسلوب مسالمة سلطات الاحتلال حتى لقد زار لندن عام ١٩٠٠م. وكانت أول مظاهر المسالمة ما حدث في مطلع العام التالي لحادثة فاشودة (١٩ يناير ١٨٩٩م) (\*) من توقيع اتفاقية الحكم الثنائي للسودان بين مصر وإنجلترا، وكانت إنجلترا قد رتبت للأمر عدته في أعقاب فاشودة حتى تستطيع مواجهة فرنسا أو غيرها من الدول باسمها مباشرة باعتبارها شريكة لمصر في حكم السودان.

وقد انتهت سياسة المهادنة والمسالمة هذه إلى ما عرف بسياسة الوفاق بين عباس وجورست المعتمد البريطاني الذي خلف كرومر (١٩٠٧م-١٩١١م).

أما مصطفى كامل فقد أدرك بعد حادثة فاشودة استحالة الاعتماد على الخديو عباس في مناوئة الإنجليز وتحقيق الجلاء. وعلى حين دب اليأس في نفوس الكثيرين لم ييأس مصطفى كامل وهو صاحب القول المأثور: «لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس»، وبدأ في تكثيف نشاطه من أجل إيقاظ الوعي وتنمية العواطف الوطنية وتبصير الناس بخطورة الاحتلال، وجريمة التعاون معه والاستسلام له. وعلى هذا قام بتأسيس جريدة «اللواء» (١٩٠٠) لتتطرق باسم الجلاء ودعا إلى وضع الدستور، واعتمد أكثر على الدولة العثمانية لمواجهة الإنجليز في إطار حركة الجامعة الإسلامية، وتحقيقاً لذلك أصدر جريدة أسبوعية باسم «العالم الإسلامي» (في عام ١٩٠٥م).

لقد نجح مصطفى كامل بأسلوب المحاماة في تنبيه الضمير العام إلى حقوق مصر في الاستقلال وجلاء القوات الإنجليزية، لكن سياسة المصالح المشتركة الدولية، وسياسة الوفاق بين السلطة الشرعية (الخديو) والسلطة الفعلية (الإنجليز)، أدت إلى تغييب الضمير وتكسير الوعي.

### ● الوفاق الإنجليزي - الفرنسي ١٩٠٤م وتأثيره :

كانت فاشودة مقدمة لسياسة من الوفاق بين إنجلترا وفرنسا بدلاً عن المواجهة المسلحة، والتحالف معاً ضد قوة ألمانيا المتنامية، وكان ملك إنجلترا وراء هذه السياسة، حيث قام بزيارة لباريس (١٩٠٣م)،

(\*) في يناير سنة ١٨٩٩م أملت الحكومة الإنجليزية على مصر اتفاقية السودان التي نصت على أن تكون إدارته مشتركة بين إنجلترا ومصر، وذلك بعد أن تم إسترجاع السودان بواسطة حملة مصر بقيادة كتشنر الإنجليزي سنة ١٨٩٩م.

وانتهت المفاوضات بين الدولتين إلى إبرام ما يعرف بالوفاق الودى فى ٨ إبريل ١٩٠٤م، وقد تم هذا الوفاق فى إطار تحالف انجلترا وروسيا ضد تحالف ألمانيا والنمسا وإيطاليا، وكانت فرنسا تسعى لبسط سيطرتها على مراكش (المغرب) بعد أن احتلت الجزائر من قبل (١٨٣٠م) وتونس (١٨٨١م)، وكانت انجلترا تعارض مد نفوذ فرنسا إلى مراكش مثلما كانت فرنسا تعارض بقاء انجلترا فى مصر.

وعلى هذا جاء الوفاق الودى ليعلن عن نية انجلترا عدم تغيير الحالة السياسية فى مصر، وأن انجلترا تلتزم بأن لا تعرقل عمل فرنسا فى مراكش فى مقابل أن تلتزم فرنسا بعدم مطالبة انجلترا بتحديد موعد للجلاء عن مصر.

وعند ذلك اطمأنت انجلترا لعدم المعارضة الدولية لها واشتدت سلطات الاحتلال فى التضييق على الوطنيين وازدراءهم ومواجهتهم بشدة وقسوة فنجد أن كرومر يطعن المصريين بعدم الكفاية للحكم الذاتي، وعندما وقعت حادثة دنشواى (يونية ١٩٠٦م) كانت الأحكام شديدة وقاسية لا تتناسب مع الحادثة لكن كان المقصود إخماد صوت الوطنيين إلى الأبد<sup>(\*)</sup>.

وقد استغل مصطفى كامل الحادثة فى التنديد بالاحتلال فى كل من مصر وأوروبا وأدركت الحكومة الانجليزية صعوبة ما تتعرض له إدارتها فى مصر، فقامت بسحب كرومر من مصر (إبريل ١٩٠٧م) لتهدة الموقف، غير أن الموقف أدى إلى اشتداد ساعد الحركة الوطنية على عكس ما كان يرمى إليه الاحتلال. وقد أدرك مصطفى كامل ضرورة تنظيم الجهود الوطنية بعد الحادث فأنشأ نادى المدارس العليا، والحزب الوطنى (ديسمبر ١٩٠٧م)، وأصدر من قبل طبعتين انجليزية وفرنسية من جريدة اللواء للقارئ الأوروبي.

### ● محمد فريد ووفاق الخديو والإنجليز :

بعد حادثة دنشواى مات مصطفى كامل (١٠ فبراير ١٩٠٨م) وخلفه فى زعامة الحزب الوطنى محمد فريد. وكانت سياسة الوفاق الإنجليزى - الفرنسى إزاء المسألة المصرية قد نضجت، ومن ناحية أخرى كان الخديو عباس قد آمن بعدم معاداة انجلترا، ولجأ إلى ترتيب أوضاعه مع الاحتلال، وتنكر للحركة الوطنية، وبدأ ذلك بوضوح عندما جاء جورست خلفا لكرومر كمعتمد بريطانى (١٩٠٧م- ١٩١١م). وكان الخديو عباس متفاهماً مع جورست قبل أن يكون معتمداً بريطانياً، وذلك عندما كان جورست مستشاراً مالياً للحكومة المصرية، إذ أنه سمح للخديو أن يشتري أملاك الحكومة فى مريوط

(\*) تتخلص حادثة دنشواى فى قيام ضباط إنجليز برحلة لصيد الحمام فى قرية دنشواى من قرى المنوفية، وهناك صرخ أحد الفلاحين محذراً بعدم إطلاق النار على الحمام حتى لا يحترق جرن القمح، وكان الوقت وقت حصاد المحصول، ولم يعبأ الضباط الذين وصلوا إطلاق الرصاص فأخطأت الحمام، وقتلت امرأة، هاج الأهالى على الضباط وطاردوهم ومات أحدهم من ضربة شمس. لكن الإدارة البريطانية انتقمت أشد الانتقام وأحالت ٥٢ متهما للمحاكمة فضلاً عن محاكمة سبعة غيابياً وانتهت المحاكمة السورية بشنق أربعة ومعاقبة اثنى عشر بالأشغال الشاقة لمدة متفاوتة، وجلد خمسة.

بثمن زهيد (١٩٠٣م)، كما عاونه على الإثراء بوسائل أخرى على حساب الحكومة، مقابل أن يوافق الخديو على منح امتياز خطوط السكك الحديدية لشركة انجليزية (١٩٠٤م) وبعض المصالح الأخرى. وفى إطار سياسة الوفاق اختلفت سياسة جورست عن كرومر من حيث تخفيف الرقابة على تصرفات الخديو، وتوسيع سلطات مجلس النظار، وإطلاق يد المصريين فى إدارة شئون بلادهم إلى حد ما، وتمصير الإدارة تدريجياً، وإيقاف سياسة الجلنزة. وفى الوقت نفسه زاد تباعد الوطنيين عن الخديو، وأصبح العداء صريحاً، وفى ذلك المناخ قاد محمد فريد الحزب الوطنى حيث عمل على توسيع دائرته، بحيث لا تقتصر عضويته على المثقفين من أبناء المدن، بل إنه عمل على ضم النقابات العمالية إلى الحزب، وكان محمد فريد قد أسهم فى تكوين نقابة عمال الصنائع اليدوية (١٩٠٩م). كما عمل على تثقيف عامة الشعب وتعليمهم فى مدارس ليلية. فى تلك الأثناء مات جورست وخلفه كتشنر (١٩١١م). وقد أعاد كتشنر سياسة القبضة الحديدية والحكم المطلق، فعادت سياسة الجلنزة مرة أخرى، وعادت سياسة مطاردة الوطنيين، وحدث أن كتب محمد فريد مقدمة لديوان شعر بعنوان «وطنيتي» للشيخ على الغاياتى فتقررت محاكمته بسبب العبارات الوطنية الحماسية الواردة فى المقدمة. وسجن لمدة ستة شهور، وأخذت السلطات الانجليزية تتعقب نشاطه حتى قررت اعتقاله مرة أخرى فى مطلع عام ١٩١٢م وهنا أثر محمد فريد أن يترك مصر اختياراً (٢٦ مارس ١٩١٢م) ليواصل نضاله ضد الاحتلال البريطانى فى المحافل الأوروبية إلى أن مات فى خريف ١٩١٩م.

### ● الأحزاب السياسية الأخرى :

لم يكن الحزب الوطنى وحده فى ميدان النضال ضد الاحتلال البريطانى وإن كان أعلاها صوتاً وأوضحها موقفاً، ولكن كانت هناك أحزاب أخرى بعضها نشأ فى أحضان الاحتلال وبعضها الآخر نشأ فى أحضان الخديوية. ويعتبر عام ١٩٠٧م عام نشأة الأحزاب السياسية فى مصر، فهناك حزب الإصلاح على المبادئ الدستورية (ومؤسسه الشيخ على يوسف) الذى قام بتأييد الخديو، وحزب الأحرار (محمد بك وحيد) ونشأ فى أحضان الاحتلال، والحزب الدستورى (إدريس بك راغب) الذى يؤيد السلطتين الشرعية والفعلية، وحزب النبلاء (حسن حلمى زاده) الذى كان يعبر عن عودة السيادة للعناصر التركية الشركسية، والحزب المصرى (لويس أخنوخ)، وحزب الأمة (لطفى السيد) الذى كان يعبر عن مصالح كبار الملاك الزراعيين وصاحب شعار مصر للمصريين، ثم أخيراً الحزب الجمهورى (محمد غانم). وكانت كل تلك الأحزاب تناضل ضد الانجليز وتطالب بالجلء والدستور والحياة النيابية الحقيقية، لكن كلا منها بالكيفية التى يرى أنها مناسبة للعصر ولما يعبر عنه من مصالح وقوى سياسية، وقد استمر الحال كذلك بين مد وجزر إلى أن قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) حيث أخذت الأمور مجرى آخر.

## أسئلة الفصل الثالث

(١) «نجح الزعيم مصطفى كامل فى تنبيه الضمير العالمى إلى حقوق مصر فى الاستقلال وجلاء القوات الانجليزية إلا أن سياسة المصالح المشتركة الدولية وغيرها أدى إلى تغييب الضمير وتغلب المصالح الاستعمارية». على ضوء هذه العبارة وضح :

( أ ) كفاح مصطفى كامل ضد الاحتلال.

(ب) موقف الخديو عباس حلمى الثانى من مصطفى كامل والحركة الوطنية

(ج) أثر سياسة الوفاق الودى على مصر والكفاح الوطني.

(٢) «تسببت الأزمة المالية وسوء نظام الحكم فى تدمير المصريين واعتراضهم على سياسة الخديو توفيق ورياض باشا». على ضوء هذه العبارة وضح ما يأتى:

( أ ) السياسة التى اتبعها رياض باشا والخديو تجاه المصريين

(ب) موقف طبقات الشعب المصرى من استبداد الخديو ورياض باشا

(ج) أحوال مصر الاقتصادية فى عهد الخديو توفيق.

(٣) «أدت الأزمة المالية إلى نشوء حالة من التدمير العام ضد نظام الحكم بسبب خضوع الخديو والوزارة لنفوذ الأجانب». على ضوء هذه العبارة وضح .....

( أ ) مظاهر تدمير فئات المصريين ضد نظام الحكم .

(ب) سياسة رياض باشا وشريف باشا تجاه المصريين.

(٤) «كانت سياسة الاقتراض التى بدأها سعيد وزادت فى عهد إسماعيل وبالأعلى مصر» على ضوء هذه العبارة وضح ما يلى .....

( أ ) دور كل منهما فى الاستدانة من الخارج.

(ب) الأسباب التى دفعت كلا منهما إلى اتباع هذه السياسة.

(ج) السبب المباشر وراء التدخل الأوروبى فى مصر.



( د ) مظاهر التدخل الأوروبي في مصر بسبب الديون.

(٥) أصدر السلطان العثماني فرماناً في (٧ أغسطس عام ١٨٧٩) لتقييد سلطات ومزايا الخديو على ضوء هذه العبارة استعرض ما يأتي:

( أ ) أهم أحكام هذا فرمان

( ب ) موقف إنجلترا وفرنسا من هذا فرمان

( ج ) موقف الخديو من هذا فرمان

(٦) لو أنك كنت تعيش في عصر الخديو توفيق وجه رسالة إلى الشخصيات الآتية بحيث لا تزيد كل رسالة على عشرة أسطر:

( أ ) الخديو توفيق. ( ب ) رياض باشا.

( ج ) شريف باشا. ( د ) أحمد عرابي.

(٧) قارن من خلال جدول بين أوضاع التعليم في مصر في عهد محمد علي وأوضاعه تحت الاحتلال الإنجليزي.

أوضاع التعليم تحت الاحتلال الإنجليزي	أوضاع التعليم في عهد محمد علي

(٨) قارن من خلال جدول بين سياسة الخديو توفيق والخديو عباس حلمي الثاني تجاه كل من:

( أ ) الإنجليز. ( ب ) القوى الوطنية.

أوجه المقارنه	سياسة الخديو توفيق	سياسة الخديو عباس
تجاه الإنجليز		
تجاه القوى الوطنية		

(٩) بم تفسر...؟

( أ ) فشل الثورة العربية.

( ب ) وقوع أزمات بين عباس حلمى الثانى والانجليز.

( ج ) تدهور الصناعات المصرية فى ظل الاحتلال الانجليزى.

(١٠) ماذا يحدث إذا.....؟

( أ ) لم يتم عقد الوفاق الودى عام ١٩٠٤م.

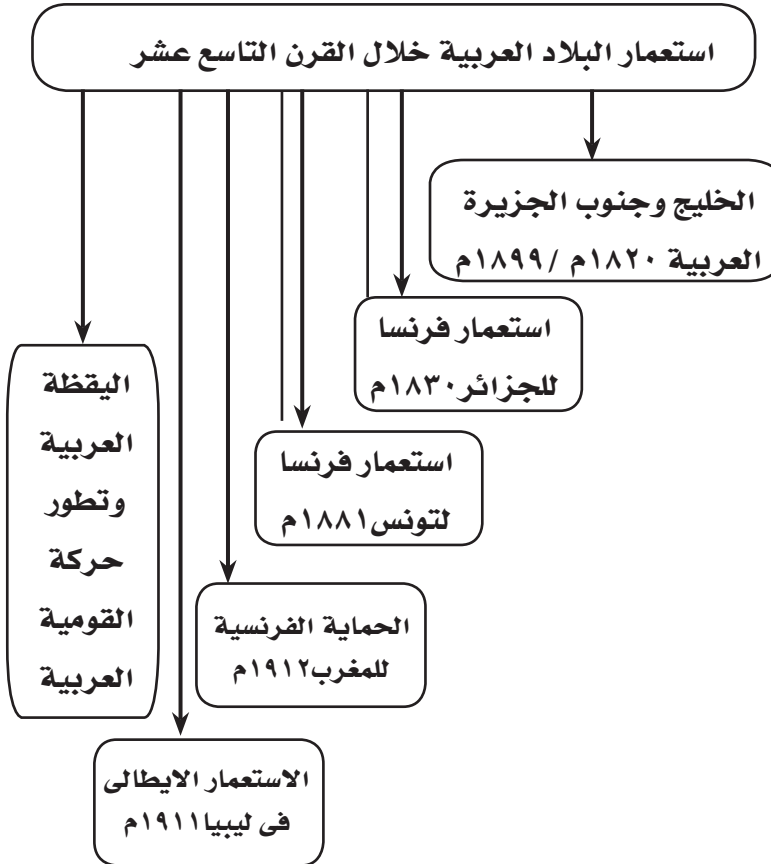
( ب ) لم يغير عباس حلمى موقفه المتشدد تجاه الاحتلال.

✓



## الفصل الرابع

### التوسع الاستعماري في البلاد العربية



عندما خضعت مصر للاحتلال البريطاني في سبتمبر ١٨٨٢م وتلتها السودان في ١٨٨٤م كما سبقت الإشارة في الفصل السابق، كانت هناك بلاد عربية أخرى قد وقعت تحت سيطرة إنجلترا وفرنسا منذ مطلع القرن التاسع عشر بحيث أنه عندما اندلعت الحرب العالمية الأولى في صيف عام ١٩١٤م كانت جميع البلاد العربية من المحيط إلى الخليج في قبضة الاستعمار فيما عدا قلب الجزيرة العربية والحجاز واليمن، وأيضاً بلاد سوريا الكبرى والعراق التي كانت لا تزال ولايات تحت الحكم العثماني المباشر. وعلى هذا سوف نتابع خريطة استعمار البلاد العربية خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى على النحو التالي شكل (١٣) :

#### الأهداف

في نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادراً على أن:

■ يتعرف الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد العربية خلال القرن التاسع عشر.

■ يفسر أسباب التوسع الفرنسي في شمال أفريقيا.

■ يستنتج طرق وأساليب الاستعمار السياسي الأوروبي للشمال الأفريقي.

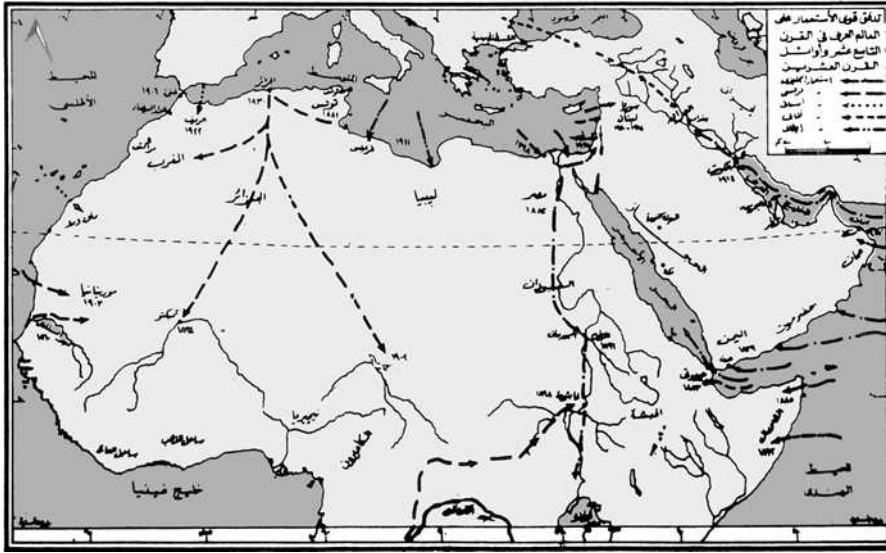
■ يحدد على خريطة الوطن العربي الصماء مناطق التوسع الاستعماري في القرن الـ «١٩».

■ يحلل العوامل التي ساعدت في نجاح إنجلترا على الخليج العربي.

■ يبدي رأيه في السياسة التي انتهجتها فرنسا في بلاد المغرب العربي.

#### القضايا المتضمنة

- حقوق الإنسان
- التسامح والتربية من أجل السلام.
- القانون الدولي الإنساني.



شكل رقم (١٣) تدفق قوى الاستعمار على العالم العربى فى القرن التاسع عشر

### ١- الخليج وجنوب الجزيرة العربية ١٨٢٠م-١٨٩٩م:

كانت الحملة الفرنسية على مصر والشامى أواخر القرن الثامن كما سبقت الإشارة (الفصل الأول) هى التى لفتت أنظار إنجلترا إلى أهمية مصر وبلاد المشرق العربى فأسّرت بعقد معاهدة مع سلطان عمان (فى أكتوبر ١٧٩٨م) تعهد السلطان بمقتضاها بعدم السماح بإنشاء وكالة فرنسية أو هولندية فى بلاده وطرد جميع رعايا فرنسا منها، مع وجود حامية عسكرية بريطانية.

كما أسّرت باحتلال جزيرة بريم فى مدخل البحر الأحمر عند باب المندب (مايو ١٧٩٩م) لقطع الطريق على الفرنسيين إذا ما فكروا فى المرور من البحر الأحمر إلى الهند أهم المستعمرات الإنجليزية آنذاك. وبعد خروج الفرنسيين من مصر (١٨٠١م) تركت إنجلترا هذه الجزيرة وعقدت اتفاقية مع سلطان لحج وعدن فى ١٨٠٢م تقضى ببقاء حامية عسكرية بريطانية هناك لتأمين الطريق إلى الهند.

غير أن إنجلترا التى كانت تراقب الملاحة فى المحيط الهندى وبحر العرب لتأمين مواصلاتها إلى الهند فوجئت بظهور محمد على باشا والى مصر على رأس الخليج من جهة الشمال بعد أن قضى على الدولة السعودية الأولى فى ١٨١٨م، وكانت هذه الدولة قد قامت استناداً على أفكار محمد بن عبد الوهاب (الوهابية)، فأخذت إنجلترا تتشكك فى محمد على وما إذا كانت لديه مشروعات للتوسع فى الخليج مما يهدد مصالحها هناك.

وعلى هذا أقدمت إنجلترا على تدعيم نفوذها على كل إمارات الخليج تحسباً لأى نتائج قد تحدث من وراء وجود محمد على باشا هناك. وفى عام ١٨١٩م وجهت بريطانيا حملة عسكرية لضرب قبيلة

القواسم أكبر قبائل المنطقة بحجة منع نشاط القرصنة في مياه الخليج على المراكب التجارية. وفي العام التالي (يناير ١٨٢٠م) فرضت بريطانيا اتفاقيات على كل شيوخ إمارات الخليج باسم معاهدة الصلح العامة نصت على تحريم القرصنة وتحريم تجارة الرقيق التي تقوم بها سلطنة عمان. وقد تجددت هذه المعاهدة على مدى السنوات التالية بما سمح في النهاية بقيام بريطانيا بدور التحكيم في المنازعات التي تحدث بين الشيوخ.

وأخذت هذه المعاهدات شكل الحماية البريطانية للمنطقة أهمها اتفاقية حماية مع سلطان مسقط (١٨٩١م) ومع أمير الكويت (١٨٩٩م).

وفي أثناء قيام بريطانيا بتأكيد نفوذها بين شيوخ إمارات الخليج كما سبقت الإشارة فوجئت بظهور محمد علي باشا أمامها مرة أخرى ولكن في هذه المرة على مقربة من وجودها في سلطنة لحج. ففي عام ١٨٣٧م وصل محمد علي باشا إلى اليمن باسم السلطان العثماني وهنا خشيت بريطانيا من وجوده فأسرعت باحتلال عدن (يناير ١٨٣٩م).

وكانت الحجة التي أعلنتها بريطانيا هي وجود مؤامرة لاغتيال أحد الخبراء الإنجليز في عدن الذي أوفد في مهمة لرسم خريطة لساحل جنوب الجزيرة العربية بحثاً عن نقاط يمكن استخدامها مراكز لتموين السفن. وعقدت اتفاقية بين الطرفين تعهد فيها سلطان لحج بتأمين الطرق ومراقبة أتباعه ومنعهم من مقاومة الإنجليز.

## ٢- استعمار فرنسا للجزائر ١٨٣٠م:

كانت فرنسا تحتفظ بعلاقات طيبة مع الجزائر نظراً لأنها كانت تستورد القمح من الجزائر بسبب الحصار الاقتصادي الذي كانت بريطانيا تفرضه على فرنسا أثناء معارك الثورة الفرنسية ضد ممالك أوروبا. ولم تكن فرنسا تدفع ثمن هذا القمح فوراً وإنما كانت تأخذه على سبيل الاقتراض وبأمل السداد فيما بعد، أي أنها كانت مدينة للجزائر بمبالغ كبيرة.

ثم بدأ حكام الجزائر يطالبون فرنسا بالسداد ابتداء من عام ١٨٠٠م لكن فرنسا كانت تسوف وتماثل في تسديد ما عليها. ثم تألفت لجنة مالية في باريس خفضت الديون من ٢٤ مليون فرنك إلى سبعة مليون فرنك فقط، وتم إبلاغ حاكم الجزائر (أغسطس ١٨٢٦م) بأن إجراءات السداد سوف تأخذ وقتاً طويلاً.

وفي تلك الأثناء حدثت اشتباكات بين السفن الجزائرية وسفن بابا روما في البحر المتوسط في إطار أعمال القرصنة المتبادلة بين شعوب شاطئ البحر، فاغتنتم فرنسا الفرصة للماطلة في السداد، بل ومطالبة الجزائر بالتعويض عن سفن البابا.

وأسرعت فرنسا بتحريك سفن حربية لحصار شاطئ الجزائر واستمر الحصار أكثر من سنتين



(١٨٢٧م - أوائل ١٨٣٠م) وطالبت الجزائريين بالتوقف عن ممارسة القرصنة البحرية، وإعادة ما أخذ من سفن البابا، والاعتراف لفرنسا بحق الدولة الأولى بالرعاية في الجزائر، والتنازل عن الديون.

وكان من الطبيعي أن يرفض حاكم الجزائر هذه المطالب فما كان من حكومة فرنسا إلا أن أصدرت أوامرها للأسطول الفرنسي الذي يحاصر الجزائر باحتلال البلاد وتم ذلك في يونيو ١٨٣٠م بعد مقاومة شديدة، ولم تتحرك الدولة العثمانية لنصرة الجزائر.

بعد ذلك بعدة سنوات، نظم الأمير عبد القادر الجزائري المقاومة وشكل إدارة عاصمتها (بسكرة)، واضطر الفرنسيون إلى التوصل إلى تفاهم معه أكثر من مرة فعقدوا اتفاقية «دى ميشيل» في ١٨٣٤م، وفيها اعترفوا بالأمير حاكمًا على وسط وغرب الجزائر، ولكن الفرنسيين أعادوا تنظيم أنفسهم وخططهم وشنوا الهجمات على المقاومة، ولكن دون التوصل إلى نتيجة لصالحهم ففضلوا عقد معاهدة (التفنة) TAFNA في ١٨٣٥م، ثم لم يلبثوا أن نقضوها باحتلالهم قسنطينة في ١٨٣٧م.

ونظرًا لأن دعم سلطان مراكش (المغرب) للمقاومة كان عاملاً أساسياً في صمودها عمدت فرنسا إلى قصف طنجة بشدة، وأدى ذلك إلى عدم استمرار مراكش في دعم المقاومة خاصة من حيث حرمان الأمير من استخدام الأراضي المراكشية في عمليات المقاومة، فكان ذلك عاملاً من عوامل ضعف المقاومة فضلاً عن تفوق السلاح الفرنسي، فاضطر الأمير عبد القادر في نهاية الأمر إلى الاستسلام في ١٨٤٧م، ونفى إلى الشام.

لم تلبث أن قامت ثورات متعددة أخمدها الفرنسيون واستمروا في استغلال البلاد، فقاموا بمصادرة الأراضي، ومنح الضياع للفرنسيين، واستولت شركاتهم الاستثمارية على مساحات واسعة لزراعة الكروم لإنتاج الخمر، واستغلوا مناجم الحديد والفوسفات والنحاس والزنك، وأنشأوا العديد من المصانع ومدوا خطوط السكك الحديدية، الأمر الذي جعل الجزائر مورداً هاماً من موارد الخزانة الفرنسية. وشجعت السلطات الفرنسية ليس فقط هجرة الفرنسيين اليهود وغيرهم من الأوروبيين إلى الجزائر، وكانت تمنح الجنسية الفرنسية للأوروبيين واليهود تشجيعاً لهم على البقاء والاستثمار، بل كان الفرنسيون يصادرون الأراضي من أصحابها لصالح (المستوطنين) الذين كانوا يتمتعون بالمواطنة الفرنسية الكاملة، بينما كان المسلمون بالكاد معاملة مواطن من الدرجة الثانية.

### ٣- احتلال فرنسا تونس ١٨٨١م :

كان الاستيلاء على الجزائر جزءاً من مشروع فرنسي كبير لتكوين امبراطورية فرنسية في شمال أفريقيا، ولم تكن الأسرة القرملية في طرابلس ولا بايات تونس على مقدرة للتصدي للاستعمار الفرنسي، كما أن الدولة العثمانية اتخذت مواقف سلبية من الاستعمار الفرنسي للجزائر حتى رأت

الدولة العثمانية أن الأطماع الفرنسية تنطلق إلى ما وراء ذلك، فعملت على إنقاذ تونس وطرابلس باستعادة الحكم المباشر عليهما.

وقد نجح السلطان في ١٨٣٥م في طرد الأسرة القرمنلية من طرابلس وحكم البلاد حكماً مباشراً، وبعث في ١٨٣٦م، بقطع بحرية حربية إلى تونس، إلا أن فرنسا اعترضت على هذه المحاولة مدعية أن لتونس كياناً مستقلاً، ومن ثم فلا يحق للسلطان العثماني التدخل في شئونها، وما كان ذلك إلا تمهيداً لانفراد فرنسا بتونس، وما كان ذلك بهين على فرنسا نظراً لأن تونس كانت محط أطماع دول كبرى أخرى استعمارية مثل إنجلترا وإيطاليا التي انطلقت نحو بناء امبراطورية استعمارية بعد أن حقق الإيطاليون وحدتهم في الفترة بين ١٨٥٩م، ١٨٧٠م، وكان من بين مظاهر التنافس الاستعماري تسابق هذه الدول الثلاث على كسب الأعوان داخل الإدارة العليا التونسية والحصول على أكبر قدر ممكن من الاستثمارات في السوق التونسية.

كانت الإدارة العليا في تونس حينذاك متحمسة للتعاون مع الدول الكبرى من أجل تحديث البلاد سياسياً واقتصادياً وثقافياً وعسكرياً، ولذلك أصدر الباي محمد (١٨٥٥م-١٨٥٩م) عهد الأمان، وبمقتضاه تساوى المواطنون أمام القانون، وأصدر الباي محمد الصادق دستوراً في ١٨٦١م، ونفذت في عهده مشروعات لمد خطوط السكك الحديدية والبرق والموانئ على يد شركات فرنسية وإنجليزية، وكانت كلما حصلت إحدى الدول الأجنبية على امتياز من حكومة تونس حصلت الدول الكبرى على نفس هذا الامتياز، وعن هذا الطريق حصلت فرنسا وإنجلترا وإيطاليا على حق امتلاك الأراضي في تونس، ومثلما حدث في مصر، دفعت تونس إلى شرك القروض الأجنبية حتى أفلست، في وقت تصاعدت فيه المنافسات الدولية حول استعمار الدول الكبرى الأوروبية للبلاد العربية.

فقد حدث أن اختل التوازن الدولي اختلالاً خطيراً من وجهة نظر إنجلترا وفرنسا، عندما هزمت روسيا الدولة العثمانية في ١٨٧٨م وفرضت على الدولة العثمانية معاهدة «سان ستيفانو»، التي أدت إلى ظهور دولة بلغارية أكبر من اللازم، وكانت هذه الدولة البلغارية مخلب قط لروسيا فتعاونوا على الإجهاز على الدولة العثمانية لتصبح تحت التوجيه الروسي، فيصبح التوازن الدولي لصالح روسيا بشكل حاد هو أمر ترفضه الدول الكبرى الأخرى، فأصبحت أوروبا على شفا حرب أوروبية كبرى من أجل مستقبل الدولة العثمانية إلا أن بسمارك - مستشار الرايخ الألماني - دعا الدول الكبرى المتنافسة إلى تسوية مشاكلها على مائدة مؤتمر يعقد في برلين ١٨٧٨م على حساب الرجل المريض «الدولة العثمانية» وخلال مؤتمر برلين اقتنصت إنجلترا قبرص من الدولة العثمانية في مقابل وعد بالدفاع عنها، فلما استشاطت فرنسا غضباً من ذلك «الغدر» البريطاني وافقتها إنجلترا على الانفراد «بتونس» بينما خرجت إيطاليا - الطامعة في تونس - غاضبة فانضمت في ١٨٨٢م، إلى التحالف بين

ألمانيا و«النمسا - المجر» ضد التحالف «الروسي الفرنسي». عمل الفرنسيون على تسخير تونس لخدمة المصالح الفرنسية، بل سعوا إلى مسخ الشخصية العربية الإسلامية لتونس إلا أن هذه الشخصية كانت أقدر على الحفاظ على هويتها فتصدت للفرنسيين وتعلقت بالدعوة إلى الجامعة الإسلامية التي أطلقها جمال الدين الأفغاني، وتبناها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، وتشكلت أحزاب وطنية للنضال والمطالبة بالاستقلال.

#### ٤- الحماية الفرنسية على مراكش «المغرب» ١٩١٢ م :

كانت مراكش منذ مطلع التاريخ الحديث في مواجهة مباشرة مع الدول الأوروبية الاستعمارية وخاصة دولتي (البرتغال وأسبانيا)، وخاضت مراكش معركة مصيرية ضد أسبانيا والبرتغال في (وادي المخازن) في ١٥٧٨م، وأحرز المنصور السعدي انتصاراً مؤزراً أنقذ به شمال أفريقيا، ولكن ظلت سبتة ومليلة تحت السيطرة الأسبانية.

إلا أن مراكش - مثل بقية البلاد الإسلامية - كانت غير مستعدة لتقبل الحقيقة القائلة بأن أوروبا تتطور تطوراً تقدماً بأدوات حضارة من لا يفيد منها ولا يستخدمها يقع فريسة لها.

ودقت الحضارة الأوروبية الحديثة أبواب مراكش وفرضت فرنسا على سلطان المغرب في ١٧٦٧م، معاهدة الامتيازات، ومثلها فعلت الدول الكبرى الأخرى، وعندما اتجهت مراكش إلى التحديث قدمت فرنسا الخبرة والخبرات وأدوات التحديث في المجالات المدنية والعسكرية، واستغلت فرنسا حوادث كانت تقع على الحدود الجزائرية المغربية، وفرضت سيطرتها على مناطق مهمة داخل الأراضي المراكشية عند كولومب بيشار وغيرها، ثم أخذت فرنسا تمهد لقبول الدول الكبرى لانفراد فرنسا بمراكش. وحيث أن إيطاليا كانت أكثر الدول معارضة لفرنسا من جراء المسألة التونسية عمدت فرنسا إلى إرضائها، ونجحت في عقد صفقة معها في ١٩٠٢م بمقتضاها تنفرد فرنسا بمراكش «المغرب» في مقابل انفراد إيطاليا بليبيا (طرابلس - برقة)، وفعلت فرنسا نفس الشيء مع إنجلترا بعقد الوفاق الودي في ١٩٠٤م، وكذلك مع أسبانيا التي حصلت على منطقة (الريف).

أثارت تلك الصفقات ألمانيا إذ كانت تواجه معارضة شديدة من جانب إنجلترا وفرنسا في أكثر من مكان، فقد عقدت إنجلترا اتفاقية مع آل الصباح في الكويت في ١٨٩٩م، منعا للدولة العثمانية، وألمانيا من مد خط حديد برلين - بغداد إلى كاظمة في الكويت، ولقي المشروع العثماني بمد خط حديدي إلى طابا نفس المصير، وها هما دولتا الوفاق الودي - (إنجلترا وفرنسا) توزعان النفوذ دونما معارضة، بل، ومع استبعاد ألمانيا، فأعلن القيصر الألماني وليم الثاني معارضته لتلك الصفقات، وأعلن مساندته لاستقلال مراكش، وطالب بعقد مؤتمر دولي للنظر في المسألة المراكشية، وجاء هذا على هوى السلطان عبد العزيز ووافقت الدول الكبرى على عقد مؤتمر الجزيرة «١٩٠٦م»، ولكن تبين خلاله أن إنجلترا

وقفت بصلاية بجوار فرنسا، بينما لم يكن موقف النمسا من حليفها ألمانيا على نفس المستوى، ووجدت ألمانيا نفسها وحيدة معزولة، وخرجت فرنسا من المؤتمر قوية واجتاحت قواتها البلاد في ١٩٠٧م، وعزل السلطان عبدالعزیز في ١٩٠٨م، وخلفه مولای عبدالحيظ، وبصفة عامة تدهورت مكانة أمير المؤمنين خلال الفترة التالية. حاولت ألمانيا مرة أخرى أن تحد من الانطلاقة الفرنسية في مراكش فأرسلت قطعة بحرية حربية إلى أغادير في ١٩١١م، ولكن واجهت ألمانيا مرة أخرى موقفا صلبا من دولتي الوفاق فاكتفت بتنازل فرنسا لها عن قطعة صغيرة من الكونغو الفرنسية - وبذلك تمكنت فرنسا من إعلان «الحماية على مراكش في ١٩١٢م»، ووطدت أسبانيا سيطرتها على «الريف» وعلى «الصحراء الأسبانية».. أما طنجة - المفتاح الجنوبي لمضيق جبل طارق - فقد اتفقت الدول الكبرى على أن توضع تحت «إدارة دولية»، وكانت إنجلترا ضد أفراد دولة كبرى بطنجة حماية لمستعمراتها في جبل طارق المفتاح الغربي للبحر المتوسط.

وبعد أن وزعت الدول الكبرى نفوذ فرنسا وأسبانيا في «مراكش» قبيل الحرب العالمية الأولى، وأصبحت طنجة دولية أخذت المقاومة الوطنية في الريف «الأسباني» شكلاً عسكرياً عنيفاً بقيادة الأمير محمد عبدالكريم الخطابي في الفترة من ١٩٢٢م-١٩٢٦م، ولكن الدولتين الاستعماريتين فرنسا وأسبانيا تحالفتا ضد الأمير حتى هزم واستسلم، ومنذ ذلك الحين استقر الاستعمار الأسباني في «الريف».

## ٥ - الاستعمار الإيطالي في ليبيا ١٩١١م :

كان التوسع الفرنسي في شمال أفريقيا - خاصة منذ مؤتمر برلين ١٨٧٨م - يثير قلق الدول الكبرى خاصة تلك التي كانت تطمح في نفس المنطقة وخاصة (\*) إيطاليا، فلما سبقت فرنسا إلى استعمار تونس التي كانت تطمح فيها إيطاليا ردت الأخيرة على ذلك بالانضمام في ١٨٨٢م إلى الحلف الألماني النمساوي المعادي لفرنسا، وفي ١٨٨٧م، عقدت معاهدة ضمت إيطاليا وألمانيا والنمسا وبريطانيا وأسبانيا موجهة ضد أي توسع جديد فرنسي في ليبيا (طرابلس) أو مراكش، وأخذت إيطاليا تركز جهدها نحو ليبيا. فمع أن ليبيا كانت تفتقر إلى المغريات الاستعمارية إلا أن إيطاليا كانت ترى في سيطرتها عليها ترضية مؤقتة لها تحفظ كرامتها الدولية، ثم أن طرابلس أصبحت هي المنطقة غير المستعمرة المتبقية من شمال أفريقيا الذي تطل عليه إيطاليا وتكاد تلامسه في بعض المواقع، ثم إن ليبيا يمكن أن تشكل في المستقبل رأس حربة لتوسعات إيطالية في المستقبل.

(\*) كانت إيطاليا بعد أن استكملت وحدتها تسعى إلى بناء أمبروطورية استعمارية، فبدأت بشرق أفريقيا فأقامت مستعمرتين واحدة في إريتريا، والثانية في الصومال وساعدها على ذلك وقوع مصر تحت الاحتلال البريطاني وانسحابها من تلك الجهات.

بعد أن أبعدت فرنسا عن ليبيا عملت إيطاليا على الحصول على موافقة الدول الكبرى الواحدة بعد الأخرى على انفرادها بليبيا، فحصلت فعلاً على موافقة بريطانيا وأسبانيا وعقدت إيطاليا صفقة مع روسيا تقضى بعدم معارضة إيطاليا لروسيا فى التحكم فى المضائق التركية (الدردنيل والبوسفور). وعقدت صفقة فى ١٩٠٢م، مع فرنسا بأن تطلق الأخيرة يدها فى مراكش فى مقابل إطلاق يد إيطاليا فى ليبيا.

خطت إيطاليا لأن تكون صاحبة مصالح فى ليبيا، فأخذت تتغلغل اقتصادياً، وأسست هناك «بنكو-دى روما» وزادت من نشاط بعثاتها التبشيرية الكاثوليكية، وأقامت المدارس الإيطالية الحديثة، حتى إذا ما وجدت إيطاليا فرصة لإعلان الحرب على الدولة العثمانية فى ١٩١١م، كان لدى الإيطاليين العديد من المشروعات فى ليبيا التى يتحدثون عن حقهم فى حمايتها.

وجهت إيطاليا لتركيا إنذاراً فى ١٩١١/٩/٢٨م، وأنزلت قواتها، ولم تلبث أن وطدت القوات الإيطالية نفسها على الساحل فى وجه مقاومة عثمانية ضعيفة، نظراً لأن الحكومة العثمانية كانت قد سحبت جزءاً من قواتها فى ليبيا وأرسلته إلى اليمن لقتال إمامها، وعندما حاولت الدولة العثمانية إقناع الإنجليز بعبور قواتها مصر إلى ليبيا رفض الإنجليز ذلك، وكان من العسير جداً على العثمانيين إرسال قواتهم بطريق البحر نظراً لأن الأسطول الإيطالى كان يحاصر طرابلس ولأن الأسطول الإيطالى أيضاً كان يضغط بشدة على جزر الدوديكانيز التابعة للدولة العثمانية.

كان تفوق الإيطاليين بحرياً وتفوق تسليح قواتهم البرية من العوامل الرئيسية التى أدت إلى سقوط المدن الساحلية الكبرى الواحدة بعد الأخرى (طرابلس، ودرنة، وبنى غازي)، وقد قاومت العشائر العربية الغزاة، ولكن ما كان باستطاعتهم مادياً أو عسكرياً الصمود.

موقف مصر وتأبيدها للشعب الليبى : ورغم ما كانت تعانيه مصر من احتلال انجليزى وظروف صعبة، فقد أثبت الشعب المصرى أنه لا يتوانى عن نجدة أشقائه حتى وهو فى أحلك الظروف، فمن مصر خرجت الأموال إلى المجاهدين فى ليبيا ضد الإيطاليين، وهبت الصحافة المصرية بكل طاقاتها لتؤبى رأى العام العربى والإسلامى والعالمى ضد الغزاة، وتولى عزيز على المصرى قيادة المقاومة الوطنية حتى تولى عنه الأتراك العثمانيون، وقرروا وقف إطلاق النار، وعقدوا مع الإيطاليين صلح أوشى ١٩١٢م، والسبب الرئيسى فى هذا السلوك العثمانى هو أن ثلاث دول بلقانية هي: اليونان وبلغاريا والصرب أعلنت الحرب على الدولة العثمانية للتوسع على حسابها، فأصبح من المتعذر على الدولة العثمانية أن تقاتل فى جبهتين متباعدتين، فعقدت الصلح مع إيطاليا للتفرغ لقتال الدول البلقانية، وبذلك انفرد الإيطاليون بليبيا، وأعلنوها من ممتلكات إيطاليا.

## أسئلة الفصل الرابع

(١) بم تفسر....؟

( أ ) قصف فرنسا لطنجة.

( ب ) استسلام الأمير عبد القادر الجزائري عام ١٨٤٧م.

( ج ) احتلال إنجلترا لجزيرة بريم عام ١٧٩٩م.

( د ) سقوط المدن الساحلية الليبية فى يد إيطاليا.

س٢ : ما النتائج التى ترتبت على...؟

( أ ) عقد سلطان عمان معاهدة عام ١٧٩٨م مع إنجلترا.

( ب ) ظهور محمد على باليمن باسم السلطان العثماني.

( ج ) الحصار الاقتصادي الذى فرضته إنجلترا على فرنسا أثناء معارك الثورة الفرنسية.

( د ) الاشتباكات بين السفن الجزائرية وسفن بابا روما فى البحر المتوسط.

( هـ ) عقد معاهدة سان ستيفانو بين روسيا والدولة العثمانية.

( و ) محاولات فرنسا لمسح الهوية العربية الإسلامية لتونس.

(٣) دلل على صحة العبارات الآتية تاريخيا:

( أ ) اتخذت إنجلترا من تدخل محمد على فى الجزيرة العربية ذريعة لبسط سيطرتها على

إمارات الخليج العربي.

( ب ) عملت فرنسا على استغلال موارد الجزائر بعد احتلالها.

( ج ) كانت الإدارة العليا فى تونس مهمة بتحديث البلاد فى النصف الثانى من القرن التاسع

عشر.

( د ) عملت الدول الكبرى على تسوية مشاكلها فى مؤتمر برلين عام ١٨٧٨م.

( هـ ) خططت إيطاليا لأن تكون صاحبة مصالح فى ليبيا.

(٤) « كانت الحملة الفرنسية على مصر والشام فى أواخر القرن الثامن عشر فاتحة

الاستعمار الأوروبى فى الوطن العربى ». فى ضوء هذه العبارة. وضح:

( أ ) أسلوب إنجلترا فى فرض سيطرتها على الخليج العربي.



- (ب) وسائل فرنسا لفرض سيطرتها على الجزائر.
- (ج) دور الأمير عبد القادر الجزائري في مقاومة الاستعمار الفرنسي.
- (د) نتائج معركة وادي المخازن.
- (هـ) سياسة المساومات الفرنسية الأوروبية في مراكش.
- (٥) «عملت إيطاليا على الحصول على موافقة الدول الكبرى لكي تنفرد باحتلال ليبيا».
- في ضوء هذه العبارة. وضح:
- ( أ ) موقف تركيا من الأطماع الإيطالية في ليبيا.
- (ب) أسباب تطلع إيطاليا إلى احتلال ليبيا.
- (ج) كيف انفردت إيطاليا عن طريق التحالف مع الدول الكبرى بليبيا؟
- (د) دور الشعب المصري في مساندة ليبيا ضد الاحتلال الإيطالي .



## الحرب العالمية الأولى واستقلال البلاد العربية

## الفصل الخامس

### الأهداف

فى نهاية الفصل يكون الطالب قادرا على أن:

■ يتعرف أسباب دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب «ألمانيا والنمسا».

■ يفسر أسباب دخول العرب الحرب العالمية الأولى ضد الدولة العثمانية.

■ يلخص أسباب تفضيل بريطانيا التعامل مع الشريف حسين دون غيره.

■ يوضح الضغوط العسكرية التى واجهها الشريف حسين بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى.

■ يقيم بنود اتفاقية سايكس بيكو ١٩١٦م، يكتب بحثا قصيرا عن أسباب سقوط ملك الحجاز.

■ يتتبع مراحل كفاح الشعوب العربية من أجل الاستقلال.

■ يعطى تعريفا صحيحا لمفهوم «انتداب - استقلال - معاهدة - اتفاقية....».

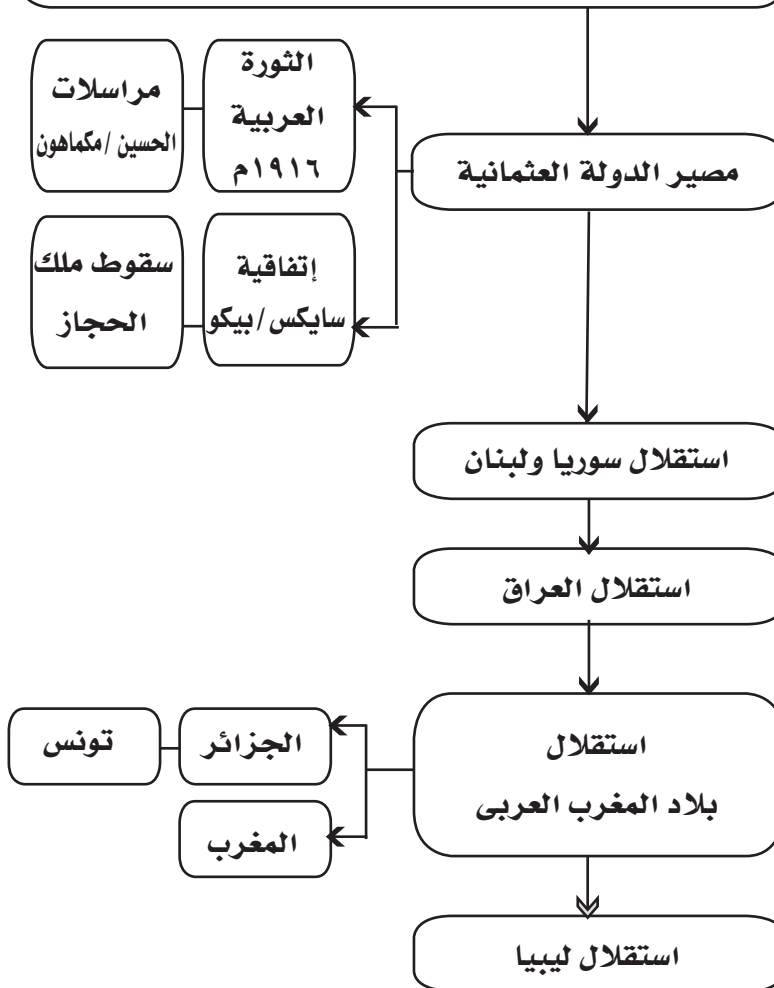
■ يبرهن بالأدلة على دور مصر الرائد فى تحقيق الاستقلال لشعوب شمال أفريقيا.

■ يبدى رأيه فى بنود معاهدة ١٩٣٠م. يلخص النتائج المترتبة على استقلال الدول العربية.

### القضايا المتضمنة

- التسامح والتربية من أجل السلام.
- القانون الدولى الإنسانى.
- العولمة.

### الحرب العالمية الأولى واستقلال البلاد العربية



### مصير الدولة العثمانية :

دخلت الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب (ألمانيا والنمسا) على أمل استرداد ما اقتنصته منها دول الوفاق (إنجلترا وفرنسا)، وإنقاذاً لنفسها ولما تبقى تحت يدها من ولايات عربية من مخططات اقتسام دول الوفاق (إنجلترا / فرنسا) للدولة العثمانية فيما بينهم.

وبينما كانت الحرب لا تزال فى أيامها الأولى قام الأسطول العثمانى - مدعماً بقطعتين حربيتين ألمانييتى الأصل - بقصف ميناء أوديسا وميناء سباستوبل الروسين، معلنة «الجهاد» المقدس فى نوفمبر ١٩١٤م، وقد كان لهذا النداء «الجهاد» صدى قوى بين المسلمين، وكان مزعجاً لانجلترا التى كانت تحكم الهند وجنوب شرق آسيا حوالى ٥٠ مليوناً من المسلمين على الأقل.

أما فى البلاد العربية فقد أثار إعلان الجهاد حماساً، ثم لم يلبث أن ساد الحذر بين زعماء العرب، فقد كانت الأزمة بين العرب والترك لا تزال قائمة، ولم يؤد المؤتمر العربى الأول فى باريس ولا التسوية العربية التركية التى أعقبته إلى نتائج مرضية، ولذلك نما تيار فكرى يدعو إلى التريث فى تأييد فعلى للدولة العثمانية فى الحرب والاتصال بكافة الأطراف المعنية لمعرفة موقفها من المطالب العربية على أن الدور الذى قام به الشريف حسين بن على شريف مكة كان هو أبرز الأدوار العربية خلال الحرب العالمية الأولى.

### الثورة العربية ١٩١٦م :

كان الحسين بن على يعمل على بناء دولة عربية منذ أن أسندت إليه شرافة مكة فى أعقاب انقلاب ١٩٠٨م ضد السلطان العثماني، وقام بنشاط سياسى واسع النطاق نسبياً سواء فى شبه الجزيرة العربية أو خارجها، وقام ابنه الأمير عبد الله بالاتصال بالسيررونالد ستورز السكرتير الشرقى فى إدارة المندوب السامى البريطانى فى القاهرة قبيل نشوب الحرب، لاستشفاف رأى السلطات البريطانية إزاء محاولة الأتراك العثمانيين إقصاء الشريف حسين عن موقعه، فكان طبيعياً أن أبدى الإنجليز تعاطفاً مع الشريف بعد وقوع الحرب ، حيث أخذت تنشط قنوات الاتصال بين شرافة مكة وإدارة المندوب السامى بالقاهرة.

ومنذ البداية ظهرت مشكلة أمام الإنجليز فى التعاون مع العرب، فقد كانت حكومة الهند البريطانية تفضل التفاهم مع عبد العزيز آل سعود فى الرياض بينما كانت حكومة لندن متحمسة للتفاهم مع الشريف، وكان كل من عبد العزيز بن سعود والشريف حسين يرفض نظرية الدولة العثمانية كممثلة للدولة الإسلامية العامة (دولة الخلافة)، وهى نفس النظرية التى كان يتبناها الإنجليز حينذاك، ولكن حكومة لندن وجدت أن الشريف حسين بموقعه فى مكة وحسبه ونسبه هو المؤهل لإعلان ثورة مدوية وإطلاق نداء بالجهاد يضاد به نداء السلطان.

### مراسلات الحسين - مكماهون ١٩١٥م / ١٩١٦م :

أخذ الشريف حسين وهنرى مكماهون - المندوب السامى البريطانى- يتبادلان المراسلات ١٩١٥م/ ١٩١٦م، وكان الشريف فى تلك المراسلات يعبر عن طموحاته، وكذلك عن رأى وطموحات بعض الزعامات العربية السورية.

## وفى إحدى هذه الرسائل حدد الشريف المطالب العربية بما يلي:

- ١ - أن يتولى هو الخلافة الإسلامية بدلاً من الخليفة العثماني.
- ٢ - استقلال البلاد العربية من (مرسين) و (أطنة) شمالاً إلى الحدود العراقية الفارسية والخليج العربى شرقاً والجزيرة العربية وسوريا ، أى إقامة دولة عربية تضم العراق وسوريا وشبه الجزيرة العربية تقريباً.

ولكن الانجليز رفضوا مطلب الخلافة، كما رفضوا طلبه فى أن يكون ملكاً على العرب بحجة أن العديد من مشيخات الجزيرة العربية على علاقات تعاھدية مع بريطانيا، وأن هذه المشيخات وبريطانيا لا توافق على أى تغيير فى وضعهم، وكان عبدالعزيز بن سعود قد عقد اتفاقية دارين مع انجلترا فى ١٩١٥م، وكذلك الإدريسى حاكم عسير وحكام عمان ومشيخات الساحل « الإمارات العربية حالياً » ومن ثم يكون الحجاز فقط - على اعتبار أن اليمن مستقلة - هو المتبقى ليكون تحت سيادة الشريف، أما الشام فقد أشار المندوب السامى إلى أن لفرنسا مصالح فيما هو غرب حماة وحلب وحمص ودمشق، وبما أن الجزء الجنوبى من العراق (البصرة) قد سقط فى يد القوات الإنجليزية حينذاك، فقد استبعده المندوب السامى من المشروع الشريفى، كما أخرج مرسين وأطنه من الدولة العربية المستقلة على أنهما ليستا عربيتين.

وجد الشريف فى الموقف الانجليزى صلابة فى نفس الوقت الذى أسند فيه الأتراك الحكم فى جدة إلى وهيب باشا الذى كان يخطط لإقصاء الشريف لأن الأخير كان يماطل فى الاشتراك الفعلى بقواته إلى جانب القوات العثمانية التى كانت تقاتل بقيادة جمال باشا على الجبهة المصرية، ولقد خسر جمال باشا المعركة وارتد حانقا على العرب، وألقى القبض على زعماء الحركة العربية فى سوريا استناداً إلى وثائق عثر عليها فى القنصلية الفرنسية تدينهم - من وجهة النظر العثمانية - بالتآمر مع أعداء الدولة، وقدم هؤلاء الزعماء العرب إلى المحاكمة وصدرت ضدهم أحكام إعدام بالجملة.

ووجد الشريف حسين أنه إن لم يعلن الثورة فإن الأتراك سينقضون عليه، فأعلن الثورة فى يونيو ١٩١٦م، دون أن يكون قد حصل من الانجليز على اعتراف صريح بحق العرب فى الاستقلال معتمداً على حسن تقييم الانجليز والحلفاء لموقف العرب المناصر للحلفاء فى الحرب، وما كان الانجليز أو الحلفاء ليقوموا وزناً إلا لمصالحهم هم أولاً.

أعلن الشريف الجهاد ضد الأتراك، ونجحت قواته فى تصفية الوجود العسكرى التركى فى الحجاز باستثناء حامية المدينة، وزحفت قواته شمالاً واستولت على العقبة، واتجه الفيلىق العربى بقيادة ابنه الأمير فيصل إلى القدس، ودخل دمشق ثم حمص وحماة وحلب ومنع الأمير القوات العربية من دخول المنطقة التى تمتد لفرنسا فيها مصالح حسب مراسلات المندوب السامى

البريطاني في مصر مع الشريف حسين وطبقاً لاتفاقية سايكس-بيكو السرية بين إنجلترا وفرنسا المتزامنة مع المراسلات في الوقت الذي دفعت فيه القوات الانجليزية القوات العثمانية في العراق أمامها حتى استولت القوات الانجليزية على بغداد، وأصبحت على مقربة من الموصل عندما أعلنت الدولة العثمانية رغبتها في وقف القتال، فعقدت هدنة (مدروس) في نوفمبر ١٩١٨م، وفي أعقابها استولت القوات الانجليزية على الموصل.

### اتفاقية سايكس - بيكو (١٩١٦م) :

وبينما كانت القوات العربية بقيادة الأمير فيصل بن الحسين تحرز انتصارات في سوريا تكشفت مؤامرة واسعة النطاق على العرب، فقد سربت روسيا البلشفية - بعد خروجها من الحرب مهزومة - نصوص اتفاقية ثلاثية عقدتها روسيا القيصرية مع إنجلترا وفرنسا لاقتسام الدولة العثمانية وأعلنت روسيا البلشفية رفضها لهذه المؤامرة فاقترعت المؤامرة على اتفاقية بين إنجلترا وفرنسا، وعرفت باسم اتفاقية سايكس - بيكو، وبمقتضاها قسم الهلال الخصيب (سوريا والعراق) على النحو التالي:

#### ( أ ) تحصل فرنسا علي:

- ١ - جنوب الأناضول بما في ذلك أطنة والإسكندرونه.
- ٢ - سوريا ولبنان حتى شمال العراق بما فيها الموصل.

#### ( ب ) تحصل إنجلترا علي:

- ١ - العراق (ولاية البصرة وبغداد).
- ٢ - أجزاء من جنوب سوريا حتى حدود شبه جزيرة سيناء الشرقية.
- ٣ - حيفا وعكا.

#### ( ج ) إقامة نظام دولي في فلسطين .

#### ( د ) تقسيم المنطقة العربية الصحراوية بين العراق والشام إلى منطقتي نفوذ واحدة بريطانية والثانية فرنسية .

وتنفيذاً لاتفاقية سايكس - بيكو منعت القوات العربية من دخول بيروت كما سبقت الإشارة إليه، وسمحت إنجلترا لفرنسا بإنزال قواتها هناك، وأنزلت العلم العربي المرفوع، ورغم ما بذله الشريف



حسين (ملك الحجاز) لكسب أعضاء مؤتمر الصلح إلى جانب قضية استقلال العرب واجه مواقف أشد تعنتاً هو وإبناه فيصل وعبد الله.

عقد الحلفاء مؤتمراً في سان ريمو في ١٩٢٠م وفيه تقرر إعادة النظر في اتفاقية سايكس - بيكو، بحيث يصبح العراق كله وفلسطين تحت الانتداب الإنجليزي، وسوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.

### سقوط ملك الحجاز :

أما الشريف حسين الذي نجحت قواته في إسقاط الحكم العثماني في سوريا لإعلان الدولة العربية الكبرى واجه ضغطاً عسكرياً كبيراً عليه من جانب عبدالعزيز بن سعود الذي أباد قوات الشريف في أول صدام معه في ١٩١٩م عند تربه، وتابع عبدالعزيز توسعته فأنزل ضربة نهائية بآل الرشيد وضم إليه حائل في ١٩٢١م، ثم استولى على الطائف في ١٩٢٤م وتساقطت من بعد ذلك مدن الحجاز الواحدة بعد الأخرى حتى اضطر الشريف إلى مغادرة الحجاز التي ضمها إليه عبدالعزيز وأطلق على نفسه ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها (يناير ١٩٢٦م).

ثم تطلع عبدالعزيز إلى حسم النزاع حول عسير<sup>(١)</sup> التي كانت تحت حكم الأدارسة ويعمل الإمام يحيى حميد الدين على السيطرة عليها دون آل سعود الذين كانوا يعتبرونها جزءاً من الدولة السعودية، وفشلت محاولات تسوية النزاع بين الطرفين السعودي واليماني حتى وقعت الحرب بينهما وفيها انتصر عبدالعزيز بن سعود، وأصبحت عسير جزءاً من المملكة العربية السعودية بمقتضى معاهدة الطائف السعودية - اليمنية في ١٩٣٤م.

### سوريا ولبنان من الانتداب إلى الاستقلال :

عمد الفرنسيون إلى اقتطاع سهل البقاع وطرابلس وصيدا وبيروت وضموها إلى جبل لبنان ليظهر (لبنان الكبير). بينما قاموا بتمزيق سوريا إلى عدة دويلات صغيرة: حلب، والدروز، والعلوين، ودمشق، وسيطر الفرنسيون على اقتصاديات البلاد فربطوا العملة السورية واللبنانية بالفرنك الفرنسي، وشغل الموظفون الفرنسيون معظم المناصب الرئيسية وغيرها، وأدت السياسة الاستعمارية إلى الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥م التي انطلقت من جبل الدروز بقيادة «سلطان باشا الأطرش» ولم تسيطر فرنسا على البلاد إلا باستخدام وحش لقواتها المسلحة ضد معقل الثوار، على أن هذه الثورة أقرت السلطة الفرنسية الاستعمارية بتعديل سياستها، واتفق الطرفان على قيام (جمعية تأسيسية) وهي التي أعلنت الجمهورية السورية، ولكن وقعت الحركة الوطنية السورية إزاء الفرنسيين على طرفي (١) كانت عسير قد ثارت على الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، ونظراً لأن اليمن كانت ضد الإنجليز، فقد حصلت عسير على (الجديدة) عن طريق الإنجليز.

نقيض، مثلما كان عليه الحال في مصر، فقد كان السوريون مصريين على إقامة دولة سورية مستقلة دستورية برلمانية، أما الفرنسيون فكانوا يصرون أن تظل لهم اليد العليا في توجيه البلاد حتى ولو قامت حكومة وطنية دستورية برلمانية.

ونظرًا لأن أجواء العالم في منتصف الثلاثينيات قد أصبحت مليدة بغيوم حرب عالمية جديدة، اتجهت فرنسا إلى وضع العلاقات الفرنسية السورية على أسس متفق عليها، وفعلاً توصلت الدولتان إلى مشروع معاهدة ١٩٣٦م التي تضع إمكانات سوريا في خدمة الأهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية لفرنسا، وكسب لبنان من وراء الكفاح السوري اعتزام فرنسا توقيع معاهدة مماثلة مع لبنان، ولكن الحكومة الفرنسية في باريس رفضت مشروع المعاهدة، واستمرت فرنسا تحكم سوريا ولبنان بمقتضى صك الانتداب، وعطل الدستور واستبد الفرنسيون بحكم البلاد، بل الأدهى من ذلك أنهم عملوا على فصل لواء الأسكندرونة عن سوريا حتى استولت عليه تركيا في ١٩٣٩م.

ولما وقعت الحرب العالمية الثانية، وضعت فرنسا كلا من سوريا ولبنان في خدمة عجلة الحرب الفرنسية، إلا أن فرنسا سرعان ما سقطت تحت أقدام الجيوش الألمانية وعقد المارشال «بيتان» هدنة مع ألمانيا وعرفت حكومته في وسط وجنوب فرنسا باسم حكومة فيشي وعرفت بميولها نحو ألمانيا بينما رفض الجنرال ديغول الهزيمة، وأصر على استمرار المقاومة، وعرفت حكومته باسم (فرنسا الحرة) وكان يقودها من إنجلترا.

وفي سوريا ولبنان أعلنت القوات الفرنسية فيها ولاءها لحكومة فيشي. نكايه في إنجلترا التي اتهمها الفرنسيون بأنها تخلت عن فرنسا في محنتها، وأنها تسعى إلى طرد الفرنسيين من مستعمراتهم لصالحها.

وقعت عدة تطورات أدت إلى دعم الإنجليز - لحكومة فرنسا الحرة - للسيطرة على سوريا ولبنان - فقد كانت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضد الوجود الإنجليزي هناك، وأبدت ألمانيا النازية استعدادها لتلبية نداء الثورة العراقية عن طريق نزول الطائرات الألمانية في مطارات سوريا ولبنان تمهيداً للقيام بعملياتها العسكرية في العراق، ولذلك أسرع الإنجليز إلى الاستيلاء على سوريا ولبنان في مواجهة مقاومة ضعيفة نظراً للروح - المعنوية المتدهورة بين القوات الفرنسية هناك إذ وجدت نفسها ليس في موقف القتال ضد الإنجليز، وإنما كذلك ضد إخوتهم الفرنسيين.

## استقلال سوريا ولبنان :

لقد دخل الفرنسيون سوريا ولبنان وهم يعتقدون أنهم سيمارسون سلطاتهم الاستعمارية السابقة،

وهذا أمر ترفضه جماهير شعب سوريا ولبنان، وكانت الحكومة الانجليزية بعيدة النظر حين أعلنت أنها تحترم رغبات الشعوب في الاستقلال، فأسهمت بذلك في تقويض الاستعمار الفرنسي في سوريا ولبنان، وأسهمت في الخطوات التي أدت إلى إعلان استقلالهما، فقد تحركت الجماهير مطالبة بالاستقلال، واضطر الفرنسيون إلى التراجع أمام الضغط الوطني فانعقد المجلس النيابي في ١٩٤٣م، واختار شكرى القوتلى رئيساً للجمهورية.

وكشفت حكومة فرنسا في ١٩٤٥م عن حقيقة نواياها الاستعمارية، عندما عملت على الاستحواذ على السلطات في سوريا، فقاومها شعب سوريا فانهاكت عليه طائرات ودبابات فرنسا بالقصف المدمر. فهبت البلاد العربية كلها مؤيدة لاستقلال سوريا، كما وقفت إنجلترا والولايات المتحدة إلى جانب الحركة الوطنية السورية حتى اضطر الفرنسيون إلى الجلاء عن البلاد في ١٧ أبريل ١٩٤٦م. وحدث نفس الشيء تقريباً للبنان، فقد انعقد المجلس النيابي وفاز بشارة الخورى في ١٩٤٣م بمنصب رئيس الدولة، وشكل رياض الصلح وزارة وطنية برئاسته، إلا أن الفرنسيين كانوا يضمرون الإطاحة بالحكم الوطني، فألقوا القبض على بشارة الخورى ورياض الصلح واعتقلوهما في راشيا. فاضطربت البلاد بأسرها وأعلن اللبنانيون تمسكهم بحكومتهم وباستقلالهم الكامل وتضامنت البلاد العربية وعلى رأسها مصر والغالبية العظمى من الدول وعلى رأسها حليفتا فرنسا / إنجلترا والولايات المتحدة، مما اضطر الفرنسيين إلى إطلاق سراح المعتقلين، وعادت أمور الحكم إلى أيدي الوطنيين، وتم جلاء الفرنسيين النهائي عن لبنان في آخر ديسمبر ١٩٤٦م.

لقد تمتع لبنان بثمار الكفاح السورى من أجل الاستقلال، فقد أعلنت الجمهورية اللبنانية وأصدرت دستوراً وشكلت برلماناً، ولكن الأسلوب الطائفى فى الحكم والإدارة ظل هو المسيطر حيث استمر المسيحيون الموارنة يحتكرون منصب رئيس الجمهورية والسنة منصب رئيس الوزراء والشيعية منصب رئيس مجلس النواب، كما وزعت الحقائب الوزارية والمناصب العليا - المدنية والعسكرية - توزيعاً طائفياً بين مختلف تلك الطوائف، وأدى ذلك إلى أن يفتقد لبنان مفهوم الدولة المتجانسة، وأن تضعف الثقة بين مختلف الأطراف، الأمر الذى سيؤدى إلى عواقب وخيمة جداً خاصة منذ سبعينيات القرن العشرين.

## العراق من الانتداب إلى الاستقلال :

أطلق الانجليز خلال عملياتهم العسكرية لطردهم الأتراك العثمانيين من العراق العديد من البيانات التى تؤكد أنهم (أى الانجليز) ما جاءوا إلى العراق إلا لتحريره من الأتراك، وبعد الحرب تكشف للعراقيين أنهم ما جاءوا إلا لاستعمارهم. وكان مصير سوريا دليلاً واضحاً على ما يضره الانجليز للعراق، فقد قامت دولة عربية فى سوريا على رأسها الملك فيصل، ولكن انقض الفرنسيون

عليها وطبقوا مقررات سان ريمون ١٩٢٠م بفرض الانتداب عليها، وفعلاً أعلن الانجليز انتدابهم أيضاً على العراق.

ولقد كان لثورة مصر الكبرى في ١٩١٩م الأثر الكبير في تشجيع الشعوب العربية للثورة على المستعمر، وفعلاً قامت ثورة العشرين (١٩٢٠م) في العراق على نحو ثورة مصر في ١٩١٩م، واضطرت الحكومة الانجليزية إلى التراجع فتشكلت حكومة وطنية مؤقتة برئاسة عبدالرحمن الجيلاني في أكتوبر ١٩٢٠م، ومهدوا السبيل لإسناد عرش العراق إلى فيصل بن الحسين، وتمت البيعة له بإيعاز من السلطات البريطانية، وظلت اليد العليا لبريطانيا، في نفس الوقت الذي ظلت فيه الحركة الوطنية العراقية متمسكة بحق البلاد في الاستقلال.

### معاهدة ١٩٣٠م :

كانت أولى الخطوات التي قامت بها الحركة الوطنية هي تخليص البلاد من (الانتداب) فعقدت معاهدة ١٩٢٢م، ولكنها أبقت لبريطانيا اليد العليا في البلاد، وعقدت من بعد ذلك أكثر من معاهدة، على أن معاهدة يونيو ١٩٣٠م هي أهمها وتنص على ما يلي:

١ - استقلال العراق ابتداء من دخولها عضواً في عصبة الأمم.

٢ - وجود قوات بريطانية في بعض المواقع المحددة.

٣ - حماية خطوط المواصلات البريطانية خاصة الجوية.

وكان طبعياً أن تستمر الحركة الوطنية لتخليص العراق من تلك القيود، ولكن سارت هذه الحركة

ببطء للأسباب التالية :

١ - الصراعات الطائفية التي كانت تقع في العراق من وقت لآخر ومن ذلك حركة الأشوريين

«النساطرة» المسيحيين في ١٩٢٣م.

٢ - التناحر بين الأحزاب على الحكم.

٣ - تدخل العشائر في رفع وزارة وإسقاط أخرى.

أدت كل تلك الاضطرابات الداخلية إلى وقوع انقلاب عسكري بقيادة بكر صدقي في ١٩٣٦م،

ولكن لم يلبث أن قتل، وعادت الأمور إلى ما كانت عليه حتى وقعت الحرب العالمية الثانية، وحاولت

انجلترا أن تقوى من قواتها في العراق، فاعترضت حكومة حكمت سليمان على ذلك وتحمس الضباط

العراقيون لقتال الانجليز على اعتقاد منهم أن ألمانيا ستهد لنجدهم، وأن انجلترا ستخسر الحرب،

بينما كان الأمير عبدالإله - الوصي على عرش العراق - ونوري السعيد (السياسي الكبير) يعتقدان غير

ذلك، وعلى أي حال تحركت قوات انجليزية كبيرة من البصرة ضد الثوار العراقيين، وتحركت قوات من

الأردن ضد العراقيين ونزلت الهزيمة بالقوات العراقية (مايو ١٩٤١م).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عادت الحركة الوطنية إلى قوتها مطالبة بالاستقلال، ودخل رئيس الوزارة صالح جبر في مفاوضات مع الإنجليز أثمرت المعاهدة المعروفة باسم معاهدة بورتسموث، وفيها استمر للإنجليز الحق في الاحتفاظ بقواعد جوية في العراق، فهب الشعب العراقي ضدها حتى أدى إلى فشلها، ولكن كان الثنائي الوصي على العرش ونوري السعيد قادرين على مواجهة الأمور وكانا يعتقدان أن التفاهم مع انجلترا أجدى للعراق من الثورة عليها، فلا غرو أن اتجه العراق في ١٩٥٥م إلى الدخول في حلف بغداد مع انجلترا وإيران وباكستان وتركيا، في الوقت الذي كانت فيه مصر - بزعامة جمال عبدالناصر - ترفع راية التحرر من الاستعمار ومن الدخول في الأحلاف وتبني سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز. فأسهم ذلك في دعم الحركة المعارضة لنظام الحكم في العراق، مما مهد قيام ثورة يوليو ١٩٥٨م التي أنهت النظام الملكي هناك، وأقامت نظاماً جمهورياً.

## استقلال بلاد المغرب العربي :

### أ) استقلال الجزائر :

وعندما وقعت الحرب العالمية الأولى سعت بعض الزعامات الجزائرية مثل الأمير خالد بن الأمير عبدالقادر الجزائري - إلى الإفادة من المبادئ الأربعة عشرة للرئيس ويلسون، وخاصة مبدأ (حق تقرير المصير) - ولكن محاولته هذه فشلت مثلما فشلت مثيلاتها في مصر وتونس. لقد كانت السياسة الاستيطانية والثقافية التي مارستها فرنسا في الجزائر تستهدف القضاء على الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، فكان طبيعياً أن تظهر حركة وطنية إسلامية تعمل على الحفاظ على هويتها عرفت باسم (جماعة علماء الجزائر) في ١٩٢٦م، وترغم هذه الحركة عبدالحميد بن باديس الذي تخرج في جامع الزيتونة، والشيخ بشير الإبراهيم الذي تأثر بالإمام محمد عبده، وبالشيوخ رشيد رضا، ولهذه الحركة الإسلامية الفضل في الحفاظ على الهوية الجزائرية العربية الإسلامية.

ونظراً لأن شريحة كبيرة من مثقفي الجزائر تكونت على الطريقة الفرنسية، فقد بلغ بها الأمر أن دعت إلى الاندماج Assimilation أي أن تكون الجزائر قطعة من فرنسا، وهذا ما كان يريه الفرنسيون، ولكن دون أن يمارس الجزائريون حقوقاً مساوية لحقوق الفرنسيين في الوطن الأم (فرنسا) ولا (المستوطنين) في الجزائر، وكان من دعاة الاندماج عباس فرحات.

وظهر تيار تحرري آخر بزعامة مصالي الحاج الذي شكل جماعة (نجمة شمال أفريقيا) بهدف

تحريرها، وكان شيوعياً في أول الأمر، ثم قوم سبيله فأصبحت اتجاهاته السياسية جزائرية عربية إسلامية، وانتهى به الأمر بالمطالبة باستقلال الجزائر.

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية نما تيار يدعو إلى أن الاستقلال لا يتحقق إلا بالثورة، وتصاعدت هذه المشاعر في أعقاب نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢م، في مصر وتزعّمها تيار القومية العربية وحركة تحرير البلاد العربية من الاستعمار.

ولذلك عندما أعلنت من القاهرة الثورة الجزائرية في نوفمبر ١٩٥٤م، واستمرت بعد ذلك حوالى ثماني سنوات كانت مصر الدولة الرئيسية التي وقفت تدعمها بالمال والسلاح، فضلاً عن وضع إمكانات مصر الإعلامية في خدمتها، فلا غرو أن بلغ الأمر بحكومة جى مولييه في فرنسا أن تقرر أنه لا انتصار لفرنسا على الثورة الجزائرية إلا بإخراج مصر من (معركة استقلال الجزائر) فكان أن شاركت في العدوان الثلاثي على مصر (أكتوبر ١٩٥٦م).

ومن بعد ذلك أخذت فرنسا تعمل على الوصول إلى تفاهم مع الجزائريين تحتفظ بمقتضاه بيدها العليا في البلاد، ومن ذلك مشروع طرحته فرنسا بإقامة اتحاد فيدرالي بين فرنسا والجزائر ١٩٥٧م، وخلال ذلك كانت مصر تدعمها الدول العربية، والعديد من الدول الأخرى - تقوم بنشاط واسع النطاق في المؤتمرات الدولية، وفي الأمم المتحدة مدافعة عن حق شعب الجزائر في الاستقلال حتى لقد نجحت في استصدار قرار من الجمعية العامة بحق الجزائر في الاستقلال سنة ١٩٦٠م.

لقد اهتزت الحكومة الفرنسية أمام تلك الانتصارات الدبلوماسية الدولية، وأمام صلابة المقاومة الجزائرية، فسقطت الجمهورية الرابعة، وتولى شارل ديغول الحكم على أمل إقالة فرنسا من عثرتها مع الحفاظ على الجزائر جزءاً منها، وكان الرجل جريئاً حين وضع الأمر في ١٩٥٩م على وجه من الوجوه الثلاثة التالية :

١ - الاندماج في فرنسا.

٢ - الاستقلال مع الارتباط بفرنسا.

٣ - الاستقلال التام.

وقد أدى ذلك إلى ثورة المستوطنين في الجزائر على حكم ديغول، وساندهم عدد ليس بالقليل من الضباط الفرنسيين المتطرفين، حتى لقد تشكل منهم ما عرف باسم «منظمة الجيش السري» المسؤولة عن إبادة عدة آلاف من المسلمين العزل، وصمد ديغول أمام هؤلاء المتطرفين، كما صمد الجزائريون، ونجحت المفاوضات بين الحكومة الفرنسية والثوار الجزائريين، فاتفق على وقف إطلاق النار ونجحت



المفاوضات التي أدت إلى عقد اتفاقيات إيفيان ١٩٦٢م، وحصلت الجزائر على استقلالها.

## ب) استقلال تونس :

حاول زعماء الحركة الوطنية عرض قضية تونس على مؤتمر الصلح استناداً إلى حق تقرير المصير، فلقوا مثل ما لقيه الوفد المصري من رفض للاستماع إليهم. وخلال الحربين العالميتين تميزت زعامة الحبيب بورقيبة بالجمع بين الثقافتين العربية والفرنسية في عملية تحريك الجماهير، ولكن هزيمة فرنسا في بداية الحرب العالمية الثانية أسهمت في ضعف موقفها إزاء الحركات الوطنية، ولذلك واجهت فرنسا ضجة عالمية في أعقاب قيامها بالقبض على الزعماء الوطنيين الذين كانوا مجتمعين في مؤتمر وطني في ١٩٤٦م، وعرضت القضية التونسية على الأمم المتحدة في ١٩٥٢م، واضطرت فرنسا -تحت ضغط الكفاح الوطني التونسي والدعم العربي والعالمي- إلى إعلان موافقتها على استقلال تونس في ٢٠ مارس ١٩٥٦م، ولكن ظلت محتفظة بقاعدة بنزرت البحرية حتى أخلتها نهائياً في ١٩٦٣م.

## ج) استقلال المغرب «مراكش» :

وعملت فرنسا في المغرب على الإيقاع بين «العرب» و«البربر» مثلما حاولت إنجلترا الإيقاع بين المسلمين والأقباط في مصر، وقد تحركت القوى الوطنية وخاصة «كتلة العمل الوطني» والحزب الوطني» للضغط على السلطات الفرنسية، وشهدت الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية صدامات كبرى بين الوطنيين وسلطات الاستعمار، وكان وقوف السلطان محمد الخامس خلال الحرب العالمية الثانية إلى جانب الحلفاء، وتصاعد الحركة الوطنية رغم تخلي دول الحلفاء عن السلطان من العوامل التي هزت الوجود الفرنسي في المغرب خاصة بعد انتقال علال الفاسي - الزعيم الوطني المغربي - إلى القاهرة، وانضمامه إلى «لجنة تحرير المغرب» فأدى تصاعد الحركة الوطنية إلى تهور الفرنسيين، لذا عزلوا محمد الخامس في ٢٠ أغسطس ١٩٥٣م ونفوه، فنشطت حركة المقاومة مطالبة بعودته وخروج الفرنسيين نهائياً من البلاد، وأصيب الفرنسيون بخيبة أمل كبيرة عندما فشلوا في الإيقاع بين البربر والعرب، عندما أعلن زعيم البربر «الجلالوي» انضمامه إلى الحركة الوطنية مطالباً بعودة السلطان محمد الخامس، وفعلاً عاد السلطان إلى عرشه في ١٩٥٥م، واضطرت فرنسا إلى إلغاء الحماية في مارس ١٩٥٦م، كما ألغت أسبانيا الحماية على منطقة الريف، وألغى النظام الدولي لمنطقة «طنجة» وتحقق استقلال المغرب في ١٩٥٦م.

ولم تبق إلا موريتانيا وجيبوتي في قبضة الفرنسيين <sup>(١)</sup> وقد حصلت الأولى على استقلالها في ١٩٦٠م، والثانية في ١٩٧٧م.

## د) استقلال ليبيا :

كان الغزو الإيطالي لليبيا قد وضع معظم الساحل تحت السيطرة المباشرة الإيطالية بينما كانت السنوسية تتمتع بنفوذ قوى في المناطق الداخلية، وخاصة في إقليم برقة، وفي أعقاب دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى وقع نوع من التنسيق بين قيادات الدولة العثمانية والقيادات السنوسية بحيث تصبح القوات الانجليزية في مصر مضطرة للقتال على جبهتين (جبهة قناة السويس) وجبهة (الحدود المصرية الغربية)، وكانت القوات الإيطالية مشغولة بتطورات القتال في الجبهات الأوروبية، وفعلاً شنت القوات السنوسية هجوماً عبر الحدود المصرية العربية، ولكن تخلف معدات السنوسيين الحربية أدى إلى هزيمتهم أمام القوات البريطانية على أن الحركة الوطنية تصاعدت في ليبيا، وأخذت المناطق الليبية تعمل على التخلص من السيطرة الإيطالية، حتى لقد بايع عرب ليبيا محمد إدريس السنوسي أميراً، على برقة وطرابلس عام ١٩٢٢م.

وترامن ذلك مع تصاعد قوة الفاشست بزعمامة موسوليني حتى امتلكوا ناصية الحكم في إيطاليا، وأعلن موسوليني أنه يسعى إلى إحياء الأمبراطورية الرومانية، وأن البحر المتوسط ما هو إلا بحر إيطالي، وأعلن أنه لا يرى في ليبيا إلا جزءاً لا يتجزأ من الأراضي الإيطالية، وشرع في شن هجمات بكافة الأسلحة ضد المقاومة الوطنية بزعمامة المجاهد عمر المختار، وكان للمذابح والمحاكمات وأحكام الإعدام المتتالية والبطش الذي مارسه القائد الإيطالي جرازيانى إلى جانب التفوق العسكرى الساحق ومحاولات الدول الكبرى كسب صداقة الإيطاليين على حساب حرية الشعوب، كل هذا كان من العوامل التي أدت إلى هزيمة المقاومة الوطنية وسقوط عمر المختار أسيراً ليعدمه الإيطاليون شنقاً علانية أمام بنى بلده في ١٩٣١م، مثلما حدث لفلاحى دنشواى من قبل في مصر.

على كل حال أصبحت إيطاليا في ليبيا وإريتريا والصومال خطراً محدقاً بوادى النيل خاصة بعد سقوط الحبشة في يد إيطاليا في ١٩٣٥م/١٩٣٦م، ولم تلبث أن وقعت الحرب العالمية الثانية، واتخذت إيطاليا من ليبيا قاعدة لغزو مصر. لكن هزيمة دولتى المحور (إيطاليا وألمانيا) خلال الحرب العالمية الثانية أدت إلى تحرير ليبيا من إيطاليا، وأدى موقف مصر الصلب بجوار الحركة الوطنية الليبية إلى إبعاد الانجليز والفرنسيين عن ليبيا، وإلى الحيلولة دون تفكيك ليبيا إلى عدة أجزاء، وإلى حصول ليبيا على الاستقلال في ١٩٥١م.

(١) كان الفرنسيون قد انطلقوا من منطقة نهر السنغال شمالاً، وجعلوا من هذا النهر فاصلاً بين السنغال وموريتانيا في (١٨٢٩م)، ثم ضغطوا على إمارتى (الترازة) و(البركانة) ووضعوهما تحت الحماية الفرنسية (١٩٠٢م) واخضعوا إمارة (إدرار) ومد الفرنسيون، سيطرتهم إلى (تشاد) فأصبحت لفرنسا امبراطورية مترامية الأطراف في شمال وغرب ووسط أفريقيا.

## أسئلة الفصل الخامس

(١) بم تفسر....؟

- ( أ ) دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى.
- ( ب ) إعلان الثورة العربية عام ١٩١٦م.
- ( ج ) تحمس حكومة لندن للتفاهم مع الشريف حسين.
- ( د ) قيام الثورة السورية الكبرى عام ١٩٢٥م.
- ( هـ ) تصاعد الحركة الوطنية في المغرب قبل الحرب العالمية الثانية.
- ( و ) بطء الحركة الوطنية في العراق.
- ( ز ) هزيمة المقاومة الوطنية وسقوط عمر المختار في ليبيا.

(٢) دلل على صحة العبارات الآتية تاريخياً:

- ( أ ) كان الشريف حسين في مراسلاته مع هنري مكماهون يعبر عن طموحاته.
- ( ب ) كان لثورة ١٩١٩م في مصر أثر على ثورة العشرين في العراق.
- ( ج ) أعلن الشريف حسين عن ثورة ١٩١٦م دون أن يحصل من الإنجليز على اعتراف صريح بحق العرب في الاستقلال.

- ( د ) في مؤتمر سان ريمو ١٩٢٠م تقرر إعادة النظر في اتفاقية سايكس- بيكو.
- ( هـ ) جاءت اتفاقية سايكس- بيكو ١٩١٦م مناقضة لمطالب وطموحات الشريف حسين.

(٣) ما النتائج التي ترتبت علي...؟

- ( أ ) اتفاقية سايكس- بيكو.
- ( ب ) معاهدة بورتسموث .

(ج) فرض الانتداب على سوريا ولبنان.

(د) تولية شارل ديغول الحكم في فرنسا وأثره على ثورة الجزائر.

(هـ) مساندة مصر لشعب الجزائر.

(و) سيطرة الأسلوب الطائفي على الحكم والإدارة في لبنان.

(٤) قارن بين كل من:

المعاهدة العراقية الإنجليزية ١٩٣٠م والسورية الفرنسية ١٩٣٦م. من حيث ظروفها وبنودها ونتائجها.

(٥) « أثناء الحرب العالمية الأولى بينما كانت القوات العربية تحرز انتصاراتها في الشام تكشفت مؤامرة واسعة النطاق ضد العرب ».

في ضوء هذه العبارة وضح:

( أ ) اسم المؤامرة التي دبرت ضد العرب.

(ب) أسماء الدول التي اشتركت بها.

(ج) أهم ما نصت عليه هذه الاتفاقية.

( د ) كيف تم لفرنسا تحقيق أطماعها في سوريا ولبنان بعد الحرب العالمية الأولى.

( هـ ) كفاح كل من الشعبين السوري والعراقي منذ عام ١٩٢٠م حتى قيام الحرب العالمية

الثانية ١٩٣٩م.



## مصر بعد الحرب العالمية الاولى

## الفصل السادس

## الأهداف

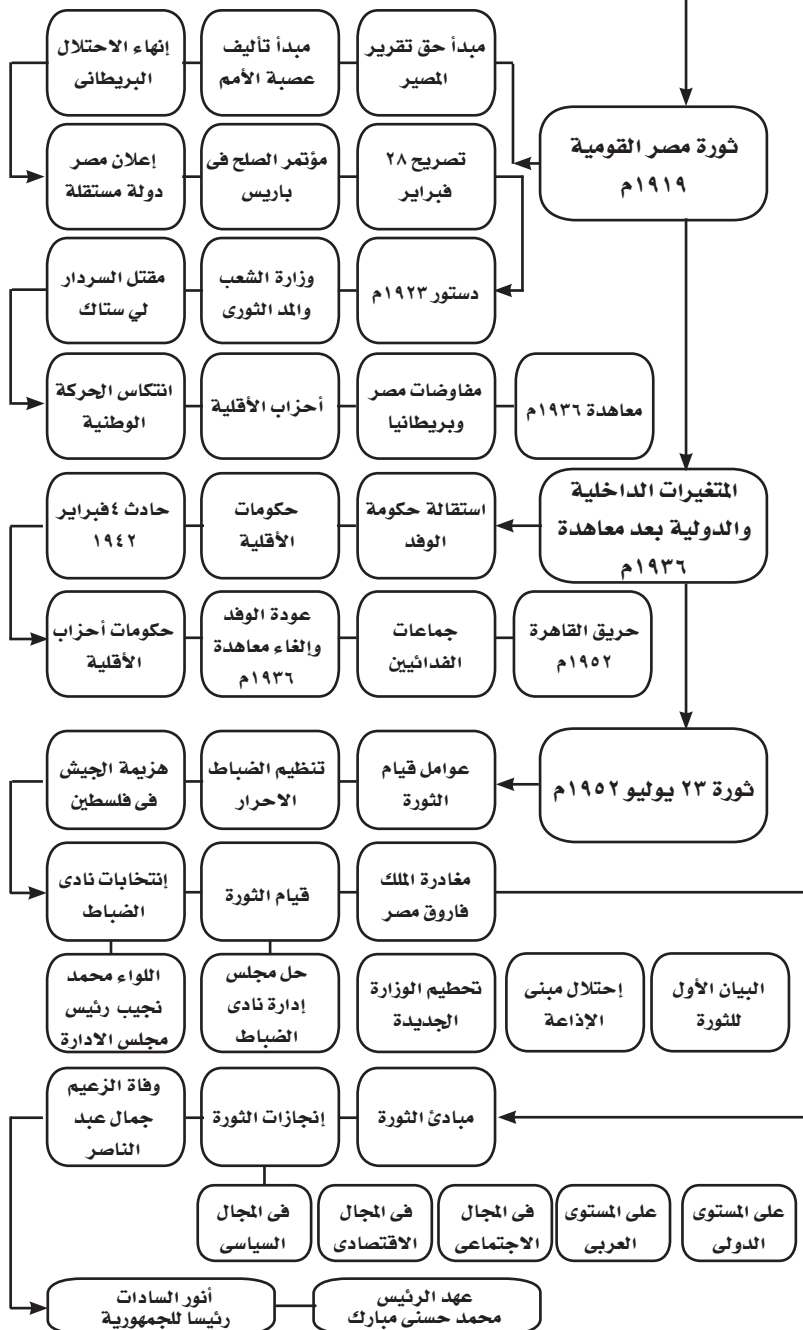
فى نهاية هذا الفصل يكون الطالب قادرا على أن:

- يحدد أسباب ثورة ١٩١٩م والنتائج التى تترتب عليها. يلخص أحداث ثورة ١٩١٩م.
- تحديد الشواهد والأدلة التى تؤكد على تدعيم الوحدة بين عنصرى الأمة.
- يقارن بين مواقف حزب الوفد وأحزاب الأقلية من الملك والإنجليز.
- يشرح دور أحزاب الأقلية فى تنفيذ مخططات الملك والإنجليز فى السيطرة على مصر.
- يفسر أسباب معاهدة ١٩٣٦م وأهم النتائج المترتبة عليها.
- يعرف العوامل والأسباب التى أدت إلى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.
- يلخص أحداث ثورة يوليو ١٩٥٢م.
- يتعرف النتائج السياسية والاقتصادية والاجتماعية المترتبة على ثورة ١٩٥٢م.
- يكتب تقريراً مبسطاً عن النتائج الاجتماعية لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

## القضايا المتضمنة

- العولمة.
- التسامح والتربية من أجل السلام
- حسن استخدام الموارد.

## مصر بعد الحرب العالمية الاولى





## أولاً : ثورة مصر القومية ١٩١٩م :

تعتبر ثورة ١٩١٩م أول ثورة قومية فى تاريخ مصر الحديث، وبداية ظهور الأمة المصرية كأمة موحدة تتكون من مصريين، ومصريين فقط، بدون تفرقة بين مسلمين وأقباط، وتسعى للاستقلال التام عن أية دولة أجنبية. وبالتالي كانت الثورة بداية (الظهور للدولة المدنية الحديثة التى يقوم نظامها السياسى على أساس القومية المصرية وحدها وليس على أساس الدين).

قبل ثورة ١٩١٩م كانت مصر تحت السيادة العثمانية (تركيًا)، وكانت تدين بالولاء للسلطان العثماني، باعتبارها جزءاً من العالم الإسلامي، ولم تكن فكرة الاستقلال الوطنى عن تركيا مطروحة، لأن الشعب المصرى كان يشعر بأنه جزء من العالم الإسلامى الذى يتكون من قوميات عديدة، ولا يشكل قومية منفصلة عنه، وكان يدين بفكرة الجامعة الإسلامية باعتباره شعباً مسلماً. وكانت الحركة الوطنية فى ذلك الحين تستهدف تحرير مصر من الاحتلال البريطانى، ولكنها لا تستهدف الانفصال عن الدولة العثمانية والاستقلال التام عنها، لأن ذلك فى نظر الشعب المصرى كان من شأنه أن يفتت وحدة العالم الإسلامى. وقد قاد الحركة الوطنية بهذا المعنى كل من مصطفى كامل ومحمد فريد، اللذان كانا يدينان بالولاء للسلطان العثماني صاحب السيادة الشرعية على مصر، وكانا يسعيان لإنهاء الاحتلال البريطانى لمصر عن طريق الالتجاء إلى الدول الأوروبية الكبرى لإجبار إنجلترا على الجلاء عن مصر كما سبقت الإشارة. ولكن هذا الوضع أخذ يتغير عندما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م- ١٩١٨م)، ودخلت الدولة العثمانية فى حرب ضد إنجلترا، فقد انتهزت إنجلترا هذه الفرصة لإنهاء السيادة العثمانية على مصر وفرض الحماية البريطانية عليها عام ١٩١٤م، وفى أثناء الحرب استبدت بالشعب المصرى، فقد قامت بتجنيد المصريين قسراً للعمل فى الخطوط الخلفية، وصادرت مواشى الفلاحين وحبوبهم بأبخس الأثمان، واستولت على الأقطان المصرية من كبار الملاك بأثمان منخفضة، وارتفعت أسعار الحبوب الغذائية والمنسوجات والوقود وأجور المواصلات دون أن يصحب ذلك ارتفاع مماثل فى الأجور والمرتبآت، وفى الوقت نفسه فرضت الأحكام العرفية على البلاد، وكممت الصحافة، ومنعت انعقاد الجمعية التشريعية التى تضم ممثلى الشعب، وشعر الشعب المصرى بأنه فى سجن كبير. وفى الوقت نفسه كانت الظروف العالمية تنتهى على نحو يخدم الشعب المصرى فلكى تجذب الولايات المتحدة شعوب العالم للتحالف والحرب معها ضد ألمانيا وتركيا والنمسا، أعلن رئيسها ولسون مبدأ «حق تقرير المصير» أى حق أية أمة فى تقرير مصيرها والحصول على حريتها، كما أعلن مبدأ «تأليف عصبة الأمم» لحل المشكلات التى تنشأ بين الدول سلمياً ودون الحرب.

وقد أعطى هذان المبدآن للشعب المصرى وجميع الشعوب الخاضعة للاستعمار أملاً فى التحرر من

الاستعمار بعد الحرب، واعتقد الجميع أنه يكفى أن تعرض مصر قضيتها على عصبة الأمم.



فلما انتهت الحرب، وهزمت فيها الدولة العثمانية، أدرك الشعب المصرى أنه لم يعد ملتزمًا بقبول السيادة العثمانية، وتطلع إلى الاستقلال التام لأول مرة عن دولة الخلافة، وفى الوقت نفسه سقطت مع سقوط الدولة العثمانية فكرة الجامعة الإسلامية التى كان يدعو إليها السلطان عبد الحميد الثانى، وبرزت فكرة الجامعة المصرية - أى القومية المصرية - إذ شعر المصريون أنهم أمة واحدة مستقلة عن أى كيان سياسى آخر، وبالتالي يجب أن يكونوا دولة مستقلة تدين بالولاء لحاكم مصرى بعد أن كان ولاؤها للحاكم العثماني.

شكل رقم (١٤) الزعيم سعد زغلول

وهكذا تبلورت الحركة الوطنية حول فكرتين أساسيتين:

**الأولى: إنهاء الاحتلال البريطانى لمصر .**

**والثانية إعلان مصر دولة مستقلة ذات سيادة .**

وقد تعلق أمل المصريين فى تحقيق هذين الهدفين الوطنيين على مؤتمر الصلح، الذى كان مقرراً عقده فى باريس فى ٢٨ يونيه ١٩١٩م، للنظر فى تسويات نتائج الحرب لذلك، ومن أجل تحقيق الاستقلال والتخلص من الحماية البريطانية على مصر، قابل وفد من بعض زعماء مصر يتكون من سعد زغلول شكل (١٤) وعبد العزيز فهمى وعلى شعراوي، المندوب السامى البريطانى يوم ١٣ نوفمبر ١٩١٨م، وطلب الموافقة على السفر إلى إنجلترا لمفاوضة الحكومة البريطانية للسماح لهم بالسفر إلى باريس لعرض قضية استقلال مصر على مؤتمر الصلح.

لكن المندوب السامى أبدى دهشته أن ثلاثة يتحدثون عن الشعب المصرى بأسره، وعندئذ قرر سعد زغلول ورفاقه تأليف هيئة تسمى «الوفد المصرى» - إشارة إلى إنها وفد مصر للمطالبة باستقلالها-

كما قرر أن يحصل هذا الوفد المصرى على توكيلات من الأمة المصرية تخوله صفة تمثيله للأمة. وقد سارعت جماهير الشعب إلى توقيع هذه التوكيلات فى حماس وطنى عارم، وبذلك أصبح الوفد المصرى يكون العمود الفقرى للحركة الوطنية فى مصر باعتباره وكيل الأمة. وعندما علمت إنجلترا بالتفاف الشعب المصرى حول الوفد المصرى، قامت باعتقال سعد زغلول وبعض أعضاء الوفد، وفتهم إلى جزيرة مالطة فى ٩ مارس ١٩١٩م متصورة أنها بذلك سوف تطفئ نيران الحركة الوطنية! ولكن الشعب المصرى أثبت خطأ تصورهما، لأن هذا الإعتقال أشعل نيران الثورة.

فسرعان ما اندلعت المظاهرات فى القاهرة على يد الطلبة، وعلى يد المثقفين (الأفندية) والعمال، وتعطلت حركة المواصلات، ودارت الاشتباكات مع رجال البوليس، وانتقلت الثورة إلى مدن الأقاليم وإلى الفلاحين فى القرى الذين قاموا بتقطيع خطوط السكك الحديدية، وقطع خطوط التليفون والتلغراف، ومهاجمة مراكز البوليس ومحطات السكك الحديدية، فانقطعت الصلة بين القاهرة ومدن الأقاليم، واستولى الثوار فى بعض المدن على السلطة، كما حدث فى مدينة زفتى،

وتكونت اللجان الثورية لتنظيم النضال ضد الانجليز. وقد اشترك فى هذه الثورة منذ البداية المسلمون والأقباط على السواء، بهدف الاستقلال التام عن كل من تركيا وإنجلترا. فكان ذلك بداية عصر الاستقلال الوطنى الخالص، وأصبحت مصر بذلك الدولة العربية الوحيدة التى لا تمزق شعبها العصبية الدينية والقومية، بعد أن توحد المسلمون والأقباط، وألف بينهم الدم المسفوح برصاص الانجليز، واتخذوا لهم علما عليه هلال وسطه صليب، وأخذ القساوسة يخطبون على منابر المساجد حتى منبر الجامع الأزهر، وأخذ مشايخ المسلمين يخطبون أمام مذابح الكنائس حتى مذبح الكنيسة المرقسية الكبرى.

كذلك اشتركت فى الثورة المرأة المصرية لأول مرة، مسجلة أخطر تطور اجتماعي، وخرجت المظاهرات النسائية التى بلغ عدد أفراد بعضها ما يزيد على الثلاثمائة، كما اشتركت مع الرجل فى إقامة المتاريس فى الشوارع لإعاقة مرور القوات الانجليزية. وقد واجهت قوات الاحتلال الانجليزى هذه الثورة بالعنف الشديد، ووجهت حملات الانتقام فى الوجه البحرى والصعيد، تقصف المدن والقرى بالقنابل من الطائرات، وتحرق القرى، وترتكب الفظائع فى كل مكان. ولكن ذلك لم يطفئ ثورة الشعب المصرى، وإنما غير فقط أسلوب نضاله! فعندما نجحت القوة المسلحة للانجليز فى إخماد ثورة العنف، لجأ الشعب المصرى إلى المقاومة السلبية! إذ امتنعت قوى الشعب المصرى عن العمل، وبلغ الأمر إضراب الموظفين عن العمل، وظهرت الجمعيات السرية، التى كان منها جمعية اليد السوداء، وجمعية المصرى الحر، وجمعية الانتقام وغيرها.

هنا أدركت الحكومة البريطانية أنها أمام ثورة شعبية شاملة لم يسبق لها مثيل منذ الاحتلال البريطاني في سبتمبر ١٨٨٢م، ولا تجدى فيها عمليات القمع واستخدام العنف، فقررت إحداث تعديل في سياستها، ومواجهة الثورة بالإجراءات الآتية :

١ - التساهل في مسألة الإفراج عن سعد زغلول ورفاقه، والسماح لهم وللوفد بالسفر إلى باريس لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح.

٢ - سد الطريق في وجه الوفد عند وصوله إلى باريس، عن طريق الحصول على اعتراف الدول المجتمعة في مؤتمر الصلح بالحماية البريطانية على مصر، وبذلك تصبح الحماية شرعية.

٣ - الحصول على اعتراف الشعب المصرى نفسه بالحماية عن طريق إرسال لجنة إلى مصر برئاسة اللورد ملنر، لإقناع الشعب المصرى بقبول الحماية.

لذلك عندما ذهب الوفد المصرى برئاسة سعد زغلول إلى باريس، وفوجيء باعتراف مؤتمر الصلح بالحماية، لم يملك اليأس سعد زغلول، ولم يرجع إلى مصر ليعلن فشل الوفد في مهمته أمام مؤتمر الصلح، بل استمر في باريس، يخاطب برلمانات الدول الأوروبية ويناشدهم عدم الاعتراف بإقرار الحماية البريطانية على مصر، ويعطى للشعب المصرى الأمل في إسقاط الحماية البريطانية والحصول على الاستقلال. وفي الوقت نفسه أخذ سعد زغلول وهو في باريس يقود الحركة الوطنية في مصر، من خلال لجنة الوفد المركزية بالقاهرة، التي تألفت عند سفر الوفد إلى باريس، ويعطى تعليماته لسكرتيرها العام عبدالرحمن فهمى عن طريق الخطابات السرية التي كان يرسلها له من باريس، وبفضل ذلك تمكن عبدالرحمن فهمى من تكوين جهاز سرى من الشبان المتحمسين لمقاومة الانجليز، وتنظيم حركة الشعب المصرى ضد الاحتلال،

وتأسيس النقابات العمالية، ومقاومة العناصر المعادية للوفد. وبفضل لجنة الوفد المركزية فشلت خطة بريطانيا في الحصول على اعتراف الشعب المصرى بالحماية البريطانية عن طريق لجنة ملنر، فقد أرسل سعد زغلول تعليماته من باريس إلى عبدالرحمن فهمى لتوعية الشعب المصرى بضرورة مقاطعة اللجنة، لأن التفاوض معها يعنى تنازل الشعب عن وكالته للوفد الذى يعتبر المدافع الوحيد عن القضية الوطنية، وقد استجاب الشعب المصرى لدعوة مقاطعة لجنة ملنر، وأخذ الأفراد من جميع الطبقات - حتى تلاميذ المدارس الصغار - يعلنون عزمهم على مقاطعة اللجنة، واحتجاجهم على قدومها بالمظاهرات العنيفة، وعندئذ أدرك اللورد ملنر أن الشعب المصرى متمسك بالوفد وقائده سعد زغلول، وبالتالي لم يعد مضر أمامه من التفاوض مع سعد زغلول والوفد لحل القضية الوطنية، وكان هذا بداية مرحلة المفاوضات المصرية البريطانية التى مرت بعدة أدوار وانقسمت إلى مرحلتين :

**المرحلة الأولى من يونية ١٩٢٠م إلى أغسطس ١٩٣٦م، وانتهت بتوقيع معاهدة ١٩٣٦م بين مصر وبريطانيا، والمرحلة الثانية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وبدأت في إبريل سنة ١٩٤٦م، وانتهت في أكتوبر سنة ١٩٥١م بإلغاء معاهدة ١٩٣٦م وعودة النضال المسلح ضد إنجلترا.**

وقد بدأت المرحلة الأولى بمفاوضات سعد زغلول - ملنر، وكان هدف مصر منها إلغاء الحماية البريطانية على مصر، واعتراف بريطانيا باستقلال مصر التام الداخلى والخارجي. ولكنها فشلت بسبب إصرار بريطانيا على تحويل الاستقلال لمصر إلى استقلال شكلى عن طريق تولي بريطانيا مهمة حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات، وحرمان مصر من الحق في إقامة علاقات مستقلة مع الدول الأخرى.

لذلك رفض سعد زغلول إبرام معاهدة مع بريطانيا تعطي مصر هذا الاستقلال الصوري. ومن ثم اعتقلت سعد زغلول ونفته إلى جزيرة سيشل بالمحيط الهندي، تمهيداً لإعلان ما عرف باسم تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م. الذى أعلنت فيه : انتهاء الحماية البريطانية على مصر، وتكون مصر دولة مستقلة ذات سيادة مع تحفظات أربعة تضمن الآتي :

١- حق بريطانيا في تأمين مواصلات الإمبراطورية البريطانية في مصر، وذلك لتبرير وجود جيش احتلال انجليزى في مصر.

٢- حقها في الدفاع عن مصر، وذلك لتبرير منع تكوين جيش مصرى قوي.

٣- حقها في حماية المصالح الأجنبية في مصر وحماية الأقليات، وذلك لتبرير تدخلها في الشؤون الداخلية المصرية.

٤- وأخيراً حقها في التصرف في السودان.

لم يحقق هذا التصريح للمصريين أمانهم الوطنية كاملة، ولذلك رفضه الشعب المصري، ولكنه مع ذلك أعطى لمصر حق وضع دستور فيكون أساساً للحكم ورفع لقب حاكم مصر من سلطان إلى ملك، فأصبح السلطان فؤاد يسمى الملك فؤاد الأول منذ ١٥ مارس ١٩٢٢م.

على هذا النحو كان أهم تغيير ترتب على تصريح ٢٨ فبراير هو دخول مصر المرحلة (الليبرالية) (الديموقراطية) وتعنى أن الأمة المصرية أصبحت هي مصدر السلطات. بعد أن كان الحاكم المصرى أو الأجنبى هو مصدر السلطات. فلقد تألفت لجنة لوضع الدستور الجديد لتحقيق هذا الهدف، ومع نجاحها لحد كبير، إلا أن الملك فؤاد تدخل لى ينتزع لنفسه سلطات في الدستور تتيح له التحكم في شئون الحكم رغم إرادة الأمة، فقد أصبح من حقه حل البرلمان دون قيد أو شرط، وإقالة الوزارة مهما حازت ثقة الأمة.

لذلك صدر الدستور في يوم ١٩ إبريل ١٩٢٣م واشتمل على نصوص متعارضة أى نصوص تجعل

الأمة مصدر السلطات ونصوص أخرى تعطل أعمال هذه النصوص، الأمر الذى أثر على نوع الحياة الليبرالية التى شهدتها مصر منذ صدور دستور ١٩٢٣م حتى ثورة يوليو ١٩٥٢. فعلى الرغم من أن الدستور قرر فى المادة ٢٣ أن الأمة هى مصدر السلطات، فإن الملك ظل من الناحية الفعلية هو مصدر السلطات معظم تلك المرحلة الليبرالية. على أن الدستور -مع ذلك- تضمن المبادئ الليبرالية الآتية:

حرية إبداء الرأي، وحرية الصحافة، وحرية الاعتقاد -وهو ما يعنى أن يكون الدين لله والوطن للجميع- وحرية الاجتماع وتكوين الجمعيات والأحزاب، ومساواة جميع المصريين أمام القانون، ومساواتهم فى التمتع بالحقوق المدنية والسياسية، وفيما عليهم من الواجبات، وحرمة المنازل، وحرمة الملكية، فلا ينزع من أحد ملكه إلا للمنفعة العامة بشرط تعويضه، وحظر الرقابة على الصحف. كما أخذ الدستور بمبدأ فصل السلطات الثلاث: التشريعية والتنفيذية والقضائية، فالسلطة التشريعية يتولاها البرلمان الذى يضم ممثلى الشعب المنتخبين، والسلطة التنفيذية يتولاها الملك، ولكنه غير مسئول، وإنما يتولاها بواسطة وزرائه، والوزارة ليست مسئولة أمام الملك وإنما أمام البرلمان.

## وزارة الشعب وارتفاع المد الثورى :

وعلى أثر صدور دستور سنة ١٩٢٣م، جرت انتخابات عامة، لى يختار الشعب ممثليه فى البرلمان. وقد أسفرت عن فوز الوفد برياسة سعد زغلول بأغلبية ساحقة بلغت ٩٠% وألف سعد زغلول أول وزارة شعبية دستورية فى تاريخ مصر فى ٢٨ يناير ١٩٢٤م. وقد نعمت مصر فى عهد هذه الوزارة بأول ثمار الحياة الدستورية، إذ اتجهت إلى ترقية شئون البلاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية، عن طريق فصل العملة المصرية عن العملة البريطانية، وبيع أكبر جزء من أراضى الحكومة لصغار المزارعين، وزيادة ميزانية وزارة المعارف ووضع مشروع قانون التعليم الإلزامى للبنين والبنات. كما قامت الوزارة بصبغ الإدارة المصرية بالصبغة المصرية عن طريق إحلال الموظفين المصريين محل الموظفين الأجانب، وتخليص الحياة الاقتصادية من السيطرة الأجنبية. كما قامت بتشجيع الحركة الوطنية فى السودان، التى تسعى لوحدة مصر والسودان وتحرير وادى النيل من الانجليز. وبسبب هذه السياسة، اشتعلت الحركة الوطنية فى كل من مصر والسودان مما أغضب الحكومة البريطانية التى كانت ترمى لفصل السودان عن مصر. لذلك عندما دخل سعد زغلول فى مفاوضات مع المستر مكدونالد رئيس الحكومة البريطانية، لعقد معاهدة تحقق لمصر الاستقلال التام ولبريطانيا مصالحها -وهى أول مفاوضات فى عهد الحكم الدستورى- فشلت، لإصرار بريطانيا على التدخل فى شئون مصر الداخلية، والسيطرة على سياسة مصر الخارجية، وإصرارها على بقاء القوات البريطانية فى منطقة قناة السويس.

وقد ترتب على هذا الفشل قيام مصريين باغتيال السيرلى ستاك، قائد عام الجيش المصرى (السردار)،



متصورين أنهم يخدمون بهذا الاغتيال مصلحة مصر، ولكنهم ألحقوا بها ضرراً فادحاً، إذ أدى عملهم إلى إسقاط أول حكومة شعبية منتخبة بإرادة الشعب في مصر، وهى وزارة سعد زغلول.

فقد انتهز الإنجليز الفرصة، وقدموا لسعد زغلول إنذاراً شديداً للهجرة، تضمن مطالبة مصر بدفع تعويض نصف مليون جنيه، وسحب الجيش المصرى من السودان، مما يعنى فصل السودان عن مصر من الناحية الفعلية. وأمرت بريطانيا قواتها باحتلال جمارك الاسكندرية، الأمر الذى أرغم سعد زغلول على تقديم استقالة وزارته إلى الملك الذى عهد برئاسة الوزارة إلى أحمد زيور باشا، الذى قبل شروط الإنذار البريطانى.

### انتكاس الحركة الوطنية بعد مقتل السردار:

انتَهز الملك فؤاد فرصة الصدام بين الوفد والانجليز ليحكم البلاد حكماً دكتاتورياً، ومستنداً إلى تأييد الإنجليز. فقد أوعز إلى زيور باشا بحل مجلس النواب الذى انتخب بإرادة الشعب، والتدخل فى الانتخابات العامة التى جرت بعد ذلك. ولكن الشعب المصرى أظهر مساندته للوفد وثقته به، ففاز فى الانتخابات، وعندئذ قام الملك فؤاد بحل مجلس النواب الجديد فى نفس يوم انعقاده، منتهكاً بذلك الدستور. فكان ذلك بداية عبث الملك بالدستور والحياة الدستورية. وقد واجه الشعب المصرى ذلك برفع شعار مطلب الدستور إلى جانب شعار مطلب الاستقلال التام، فقد أدرك أن الحكم الدكتاتورى يعطل طاقاته ويشل حركته فى مواجهة الاحتلال البريطانى، وأن الحكم الدستورى مدخل إلى الاستقلال، إذ لا يستطيع الشعب المصرى إجبار بريطانيا على الاعتراف باستقلال مصر التام، وهو مقهور فى الداخل وخاضع لنظام دكتاتورى يفرضه الملك. ومنذ ذلك الحين أصبح شعار الحركة الوطنية: الاستقلال والدستور. وقد تكاثفت الأحزاب لاستعادة الحكم الدستورى، فعقد النواب والشيوخ اجتماعاً مهماً فى فندق الكونتنتال بالقاهرة يوم ٢١ نوفمبر ١٩٢٥م، أعلنوا فيه بطلان القرار الذى اتخذته الملك بحل مجلس النواب، وأعلنوا تمسكهم بنيابته عن الأمة، وعدم الثقة بالوزارة. وإزاء هذا الاجماع، ونظراً لما تبين للانجليز من تزايد التذمر الشعبى، وعجز الملك عن فرض حكمه الدكتاتورى، أصدرُوا أوامرهـم إليه بعودة الحياة النيابية، ولم يملك سوى الإذعان. فجرت انتخابات عامة فى ٢٢ مايو ١٩٢٦م، حرصت فيها الأحزاب على عدم التنافس منعاً للانقسام، وقد فاز فيها الوفد بالأغلبية، ولكن عندما أراد سعد زغلول تأليف الوزارة، تدخل الانجليز لمنع ذلك، وأرسلوا قطعة حربية إلى الاسكندرية للتهديد بالتدخل بالقوة، فتولى عدلى يكن باشا رئاسة وزارة ائتلافية من الوفد وحزب الأحرار الدستوريين، وانتخب سعد زغلول رئيساً لمجلس النواب، ومصطفى النحاس وويصا واصف وكيلين للمجلس.

ثم توفى سعد زغلول فى يوم ٢٣ أغسطس ١٩٢٧م، وخلفه مصطفى النحاس باشا فى رئاسة الوفد،

فترتب على ذلك انقلاب أحزاب الأقلية على الائتلاف، فانتهزت فرصة تولي مصطفى النحاس رئاسة الوزارة الائتلافية بعد استقالة عبد الخالق ثروت باشا، وتحالفت مع الملك فؤاد لإسقاط وزارة النحاس، وهو ما حدث في ٢٥ يونيو ١٩٢٨م، فقد أقال الملك النحاس باشا من رئاسة الوزارة، وعهد بها إلى محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين، وهو من أحزاب الأقلية، وبذلك انهار الحكم الدستوري. وقد سارع محمد محمود باشا بتعطيل الحياة النيابية «ثلاث سنوات قابلة للتجديد» - أى إلى أجل غير مسمى! وأخذ يحكم البلاد حكماً دكتاتورياً، حتى سميت وزارته بـ «وزارة القبضة الحديدية»، وقام بتعطيل الحريات السياسية التي نص عليها الدستور، وهى حرية الاجتماعات، والمظاهرات، وحرية الرأي، وحرية الصحافة، وأدخل المعارضين السجون، وبذلك أصبحت البلاد أشبه بسجن كبير.

وقد واجه الوفد ذلك بالمقاومة الشديدة، الأمر الذى أدى إلى اشتعال الصراع الحزبى وانشغال الشعب عن الصراع مع إنجلترا بالصراع ضد الحكم الدكتاتورى، وانتهى الأمر بإقالته فى يوم ٢ أكتوبر ١٩٢٩م، وتألقت وزارة محايدة برياسة عدلى يكن باشا، أجرت انتخابات حرة، فاز فيها الوفد بالأغلبية الساحقة، وقام النحاس بتأليف الوزارة فى أول يناير ١٩٣٠م، ولكن هذه الوزارة لم تستمر أكثر من خمسة أشهر و (١٨ يوم)، فسرعان ما أقام الملك فى وجهها العقبات، وأخذ يشل أعمالها. ويمتنع عن التوقيع على المراسيم، مما أجبر مصطفى النحاس باشا على تقديم استقالته، فأسند الملك رئاسة الوزارة لإسماعيل صدقى باشا فى يوم ١٩ يونيو ١٩٣٠م. وفى عهد إسماعيل صدقى باشا، الذى كان يستند إلى ثقة الملك، فرض إسماعيل صدقى على البلاد حكماً دكتاتورياً ثقيلاً، استمر ثلاث سنوات وثلاثة أشهر من ١٩ / ٦ / ١٩٣٠م إلى ١٩٣٣ / ٩ / ٢٧م، وفيه حل البرلمان الوفدي، وأبطل دستور سنة ١٩٢٣م، وأعلن دستوراً جديداً عرف بدستور ١٩٣٠م، يزيد من سلطات الملك، وألف حزباً جديداً برياسته أسماء حزب الشعب.

انتهى حكم إسماعيل صدقى ١٩٣٣م، وخلفه عبدالفتاح يحيى باشا، ولما مرض الملك فؤاد، وأراد الانجليز تعيين مجلس وصاية على العرش أثناء مرضه، اعترض عبدالفتاح يحيى فتدخل الانجليز لإرغامه على الاستقالة، وخلفه توفيق نسيم باشا (١٥ نوفمبر ١٩٣٤م). وفى عهد نسيم باشا، توتر الموقف الدولى بسبب غزو إيطاليا الحبشة (١٩٣٥م) وأخذ يندثر بنشوب حرب عالمية وطلب حزب الوفد إجراء مفاوضات مع بريطانيا بشأن التحفظات الأربعة ولكن الحكومة البريطانية تهربت، وصرح وزير خارجيتها صمويل هور يوم ٩ نوفمبر ١٩٣٥م بأن بريطانيا تفضل التعامل مع مصر بحرية دون قيود وعندئذ اشتعلت البلاد بالثورة، وأخذت تموج بالمظاهرات، وتعطلت وسائل المواصلات، وتألقت

جبهة وطنية تعمل لإعادة دستور ١٩٢٣م وعقد المعاهدة. وعندئذ اضطرت بريطانيا إلى التراجع، فأمرت الملك بإعادة الدستور، ووافقت على الدخول في مفاوضات مع مصر لإبرام معاهدة، بشرط أن يكون الاتفاق مع ممثلى الشعب المصرى بأسره - أى مع جميع الأحزاب - لضمان قبول المعاهدة من جميع الأحزاب المصرية، فلا تتعرض للمزايدات بعد إبرامها.

وبناء على هذه المتغيرات قدم توفيق باشا استقالته إلى الملك، فعهد إلى على ماهر باشا برياسة الوزارة فى ٣٠ يناير ١٩٣٦م، بهدف إجراء انتخابات حرة، وصدر مرسوم ملكى فى ١٣ فبراير ١٩٣٦م بتأليف وفد المفاوضات مع الحكومة البريطانية، لم يشترك فيها الحزب الوطنى، كما صدر مرسومين فى مارس ١٩٣٦م بإجراء الانتخابات العامة لمجلس النواب والشيوخ. وفى ٢ مارس عقدت أول جلسة للمفاوضات بين مصر وبريطانيا، وهى التى انتهت فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦م بإبرام معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا، وعرفت باسم: «معاهدة ١٩٣٦م» التى حققت ما يلي:

- ١ - انتهاء احتلال مصر عسكرياً بواسطة قوات إنجلترا.
- ٢ - انضمام مصر إلى عضوية عصبة الأمم باعتبار مصر دولة مستقلة ذات سيادة.
- ٣ - إلغاء الامتيازات الأجنبية.
- ٤ - تقوية الجيش المصرى إلى الدرجة التى تمكنه من الدفاع عن قناة السويس بمفرده، فإذا وصل إلى هذه القوة، تجلو القوات البريطانية الحليفة من مصر.
- ٥ - سحب جميع الموظفين البريطانيين من الجيش المصرى، وإلغاء إدارة الأمن الأوربية، وخروج العنصر الأوروبى من البوليس، واعتبار مصر هى المسئولة عن حماية الأجانب.
- ٦ - حرية مصر فى عقد المعاهدات السياسية مع الدول الأجنبية، بشرط ألا تتعارض مع المعاهدة.
- ٧ - إرجاع الجيش المصرى إلى السودان، واعتراف بريطانيا بالإدارة المشتركة مع مصر للسودان.

## ثانياً: المتغيرات الداخلية والدولية بعد معاهدة ١٩٣٦م :

على هذا النحو انتهت صفحة من نضال الشعب المصرى من أجل تحقيق الاستقلال. وتحولت العلاقات بين بريطانيا ومصر من علاقات احتلال إلى علاقات تحالف. وفى المرحلة التالية، ظهرت قوى سياسية جديدة فى مصر تمثلت فى جماعة الإخوان المسلمين، وجماعة مصر الفتاة، وقد تحالفتا مع الملك فاروق ضد الوفد، وكانتا تميلان لقوى المحور (ألمانيا وإيطاليا) وكانتا هاتان الجماعتان تمارسان نشاطهما السياسى من خلال ميليشيات (أى فرق شبه عسكرية) ترتدى قمصاناً ملونة (اللون الأصفر لجماعة الإخوان المسلمين واللون الأخضر لجماعة مصر الفتاة)، وقد استخدمتا هذه الميليشيات ضد الوفد

ولخدمة الملك. وفي الوقت نفسه ازداد نفوذ القصر وسيطرته مع اعتلاء الملك فاروق الشاب العرش، وتعيين على ماهر باشا رئيساً للديوان الملكي، وهو ذو ميول محورية، وازدياد نفوذ الخدم الإيطاليين في القصر الملكي على الملك فاروق.

وبفضل هذه العوامل الجديدة تمكن الملك فاروق من إقالة وزارة مصطفى النحاس باشا في ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧م، وأعاد حكومات الأقلية منتهكا بذلك الدستور وأحكامه، فحكمت البلاد منذ ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧م، إلى ٢ فبراير ١٩٤٢م حكومات الأقلية التالية.

١ - حكومة محمد محمود باشا (من ١٩٣٧/١٢/٣٠م إلى ١٩٣٩/٨/١٨م).

٢ - حكومة على ماهر باشا (من ١٩٣٩/٨/١٨م إلى ١٩٤٠/٦/٢٧م).

٣ - حكومة حسن صبرى باشا (من ١٩٤٠/٦/٢٧م إلى ١٩٤٠/١١/١٤م).

٤ - حكومة حسين سرى باشا (من ١٩٤٠/١١/١٥م إلى ١٩٤٢/٢/٢م).

في عهود هذه الحكومات التي لم تأت بناءً على انتخابات عامة واستمدت ثقتها ووجودها من الملك، تغيرت الأوضاع الدولية، وتطورت علاقات مصر ببريطانيا تطوراً خطيراً، فقد نشبت الحرب العالمية الثانية في ٣ سبتمبر ١٩٣٩م، أثناء تولي حكومة على ماهر باشا الحكم، ونشبت خلافات بينه وبين بريطانيا حول طلب بريطانيا بأن تعلن مصر الحرب على دول المحور وهو ما كان يرفضه على ماهر، فتدخلت في يونيو ١٩٤٠م لطرد على ماهر باشا من الحكم. وفي عهد حكومة حسين سرى باشا، وقع صدام بين بريطانيا والملك فاروق بسبب ميوله المحورية، ذلك أنه عندما وصلت قوات المحور إلى الحدود المصرية، بسقوط بنغازي في يد قوات المحور بقيادة الجنرال روميل حرك القصر مظاهرات تهتف «إلى الأمام ياروميل» في يوم ٢ فبراير ١٩٤٢م، الأمر الذي واجهته بريطانيا بالتدخل لإسقاط حكم القصر، وتعيين حكومة برياسة مصطفى النحاس باشا، وقدمت إنذاراً بذلك في يوم ٤ فبراير ١٩٤٢م، فلما رفض الزعماء والملك هذا الإنذار، قامت بريطانيا بتحريك دبابات أحاطت بقصر عابدين، وأرادت خلع الملك فاروق عن العرش، ولكن الملك قبل الإنذار البريطاني في اللحظة الأخيرة، وعرض تكليف مصطفى النحاس باشا رئيس حزب الأغلبية بتأليف الوزارة قبل السفير البريطاني ذلك. وقد تعاونت حكومة الوفد مع بريطانيا لدفع خطر المحور الفاشي. وقدمت مساعدات عسكرية مهمة ساعدت إنجلترا على هزيمة المحور ولكن عندما اقتربت الحرب من نهايتها، خشيت بريطانيا من مطالبة حكومة الوفد لها بجلاء القوات البريطانية عن مصر، ووحدة وادي النيل ثمناً لمساعدتها أثناء الحرب، فسمحت للملك فاروق بإقالة حكومة الوفد، وتعيين حكومة من حكومات الأقلية، حتى ينشغل الشعب بالصراع من أجل الدستور عن الصراع ضد إنجلترا، وهو ما تم في ٨ أكتوبر ١٩٤٤م. ولكن الوفد قبل إقالته كان قد

تمكن من ربط مصر بأمته العربية، عن طريق تأسيس جامعة الدول العربية، التي تجعل مصر في مكان الصدارة منها، وتجعل القاهرة مقراً لها، وهو إنجاز كبير، لأن مشروعات الجامعة العربية قبل ذلك كانت تستبعد مصر من هذه الجامعة، وتحصر الجامعة العربية في إطار سوريا الكبرى والعراق! وفي الفترة التي تلت إقالة حكومة الوفد، استبد الملك فاروق بالحكم، مستعيناً في ذلك بأحزاب الأقلية كما فعل أبوه، فتألفت الحكومات الآتية التي لم تكن تحظى بأى تأييد من الشعب المصري، وهي:

- ١- وزارة أحمد ماهر باشا من ٨ أكتوبر ١٩٤٤م إلى ٢٤ فبراير ١٩٤٥م.
- ٢- وزارة محمود فهمى النقراشى باشا من ٢٤ فبراير ١٩٤٥م إلى ١٥ فبراير ١٩٤٦م.
- ٣- وزارة إسماعيل صدقي باشا من ١٧ فبراير ١٩٤٦م إلى ٩ ديسمبر ١٩٤٦م.
- ٤- وزارة محمود فهمى النقراشى باشا الثانية من ٩ ديسمبر ١٩٤٦م إلى ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م.
- ٥- وزارة إبراهيم عبد الهادي باشا من ٢٨ ديسمبر ١٩٤٨م إلى ٢٥ يوليو ١٩٤٩م.
- ٦- وزارة حسين سرى باشا من ٢٥ يوليو ١٩٤٩م إلى ١٢ يناير ١٩٥٠م.

وفي عهود هذه الوزارات قتل اثنان من رؤساء الوزارات، وهما: أحمد ماهر باشا ومحمود فهمى النقراشى باشا. وقويت حركة الإخوان المسلمين، وكونت فرقاً من الجواله، وتنظيمها السرى الذى قام بعدة تفجيرات فى القاهرة واغتيالات سياسية، وقتلت النقراشى باشا عندما قام بحلها. وبذلك كانت عهود هذه الحكومات عهود عدم استقرار وإرهاب وقد أرادت هذه الحكومات تعديل معاهدة ١٩٣٦م بما يحقق الجلاء للقوات البريطانية من مصر ووحدة وادى النيل، ولكنها فشلت فى ذلك الأمر الذى اضطر النقراشى باشا لعرض قضية مصر على مجلس الأمن (من أغسطس إلى سبتمبر ١٩٤٧م) ولكن مجلس الأمن لم يتخذ قرار فى القضية وتركها معلقة. وفى ١٥ مايو ١٩٤٨م دخلت مصر مع الدول العربية حرب فلسطين دون استعداد عسكري كاف، لطرد اليهود من فلسطين، ولم يكن التعاون بين الجيوش العربية كافياً، فشلت فى إزالة دولة إسرائيل، وانتهت الحرب بهدنة فى ٢٤ فبراير ١٩٤٩م. وأمام تدهور الموقف السياسى على هذا النحو، أجبر الملك فاروق على الموافقة على إجراء انتخابات عامة حرة فى ٣ يناير سنة ١٩٥٠م أسفرت عن فوز الوفد بالأغلبية، وتولى مصطفى النحاس الحكم فى ١٢ يناير ١٩٥٠م فأطلق الحريات التي كانت محبوسة فى عهود حكومات الأقلية، ودخل فى مفاوضات مع الحكومة البريطانية لتعديل معاهدة ١٩٣٦م فى الفترة من مارس ١٩٥٠م إلى أغسطس ١٩٥١م، ولما لم تحقق نجاحاً، أعلن مصطفى النحاس فى أكتوبر ١٩٥١م إلغاء معاهدة ١٩٣٦م، وأطلق الحرية للشعب للنضال المسلح ضد القوات البريطانية فى القناة. وبناء على ذلك أخذت جماعات الفدائيين فى مهاجمة المعسكرات البريطانية، وعمدت الحكومة إلى زيادة عدد جنود بلوكات النظام لمساعدة

الفدائيين، ولما اكتشف الانجليز ذلك قاموا بمحاصرة مبنى محافظة الإسماعيلية لنزع سلاح جنود بلوكات النظام «الجمعة ٢٥ /يناير/ ١٩٥٢م»، ولكن وزير الداخلية فؤاد سراج الدين أمرهم بالمقاومة، الأمر الذى أدى إلى مصرع العشرات منهم، وعندما وصل نبأ ذلك إلى القاهرة، تحركت قوات بلوكات النظام فيها احتجاجاً، وأدى ذلك إلى حريق القاهرة يوم السبت الأسود ٢٦ يناير ١٩٥٢م.

وقد انتهر الملك فاروق الفرصة ليحكم البلاد حكماً دكتاتورياً، فأقال حكومة الوفد، وعهد فى ظل الأحكام العرفية، إلى على ماهر باشا بتولى الوزارة، ولكن وزارته استقالت فى أول مارس، وتلتها وزارة برياسة أحمد نجيب الهاللى باشا، وعمدت إلى حل مجلس النواب الوفدي، ولكن الهاللى باشا اضطر إلى تقديم استقالته يوم ٢٨ يونيه ١٩٥٢م - أى بعد أربعة أشهر، وخلفه حسين سرى باشا يوم ٢ يوليه ١٩٥٢م، ولكن وزارته لم تستمر أكثر من ١٨ يوماً فقط، ليعود الهاللى باشا لرياسة الوزارة فى ٢٢ يوليه ١٩٥٢م، ولكن فى اليوم التالي، أى فى يوم ٢٣ يوليو قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م.

### ثالثاً: ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م:

#### العوامل التى أدت إلى قيام الثورة :

١ - كان تحرير مصر من الاحتلال البريطانى هو الهدف الرئيسى الذى تركزت عليه أفكار الضباط الوطنيين الشبان بعد أن أثبتت لهم الأحداث أن معاهدة ١٩٣٦م لم تؤد إلى استقلال حقيقى للبلاد حيث ظل جيش الاحتلال مرابطاً على الأراضى المصرية متحدياً كرامة المصريين. والمندوب السامى البريطانى الذى كان يدير سياسة مصر ويتحكم فى إرادتها منذ بدء الاحتلال البريطانى لمصر فى سبتمبر ١٨٨٢م استمرت سيطرته على زمام الحكم برغم تغيير لقبه ليصبح السفير البريطانى.

وعلى الرغم من أن قيادة الجيش المصرى قد تمصرت عقب إبرام المعاهدة وتخلص الجيش من قائده الانجليزى وكل معاونيه من الضباط الانجليز فإن السياسة البريطانية لم تقبل التخلي عن قبضتها الحديدية على الجيش المصرى فأرسلت بعثتها العسكرية لتعمل فى الظاهر على تطوير الجيش وتحديثه بينما كان واجبها الحقيقى المكلف به من رئاستها هو العمل على استمرار ضعف هذا الجيش وتخلفه والحيولة دون تقدمه ونهوضه حتى لا تتاح له الفرصة ليرقى إلى مستوى الجيوش الحديثة القوية ويصبح خطراً على جيش الاحتلال البريطانى.

٢ - كانت حرب فلسطين عام ١٩٤٨م من أكبر العوامل التى أدت إلى إثارة السخط والغضب فى نفوس الضباط المصريين الشبان فقد أدركوا بأنفسهم فى ساحات القتال مقدار الجرم الذى ارتكبه النظام الحاكم فى مصر. وعلى رأسه الملك فاروق عندما أرسلوا جيش مصر إلى الحرب دون تدريب



واستعداد وبلا أسلحة أو ذخائر أو معدات كافية لكي يلقي هذه الهزيمة الشائنة.

وكانت العبارة التي قالها البطل الشهيد العقيد أحمد عبدالعزيز قبل استشهاده تتمثل أمامهم بحروف من نورهى «أن ميدان الجهاد الحقيقى فى مصر». أصدق تعبيراً لنفسية الجيش المصري.

٣ - كان الوضع السياسى فى مصر فى الجزء الأخير من العهد الملكى قد بلغ أقصى درجات الفساد والانحلال إذ كانت البلاد ترزح تحت ذل وبطش الاحتلال البريطانى ودكتاتورية الملك وانحلال نظام حكمه وفساد الأحزاب التى كان الصراع بينها محتتماً من أجل الوصول إلى مقاعد الحكم.

٤ - كانت حاشية الملك وصمة عار على جبين حكمه فقد اختار أفرادها من قوم أساءوا والنصح وأساءوا التصرف ودأبوا على استغلال نفوذهم كوسيلة للثراء غير المشروع وللسيطرة على الشركات ودوائر المال كما استفحل نفوذهم فى الوزارات والمصالح والدواوين حتى غدا نفوذهم أقوى من نفوذ الوزراء.

٥ - انحدرت سمعة الملك فاروق فى مصر حين ترامت إلى الناس أنباء نزواته بسبب ما كان يرتكبه من فضائح أثناء رحلاته إلى أوروبا.

٦ - كانت الأسلحة الفاسدة من الأسباب الرئيسية للثورة فعندما أخذت النيابة العامة فى التحقيق فى قضية الأسلحة الفاسدة أثبت التحقيق اشتراك بعض رجال حاشية الملك فاروق فى صفقات السلاح.

٧ - كان سوء توزيع ملكية الأراضى الزراعية قد شكل ظاهرة الإقطاع الخطيرة فى مصر قبل الثورة وأدى إلى خلل واضح فى توزيع الأرض الزراعية فى الوقت الذى كان يملك فيه ١٢ ألف فرد فقط ثلث الأراضى الزراعية فى مصر نجد أن حوالى ثلاثة ملايين فرد يملكون ثلثى هذه الأراضى الزراعية كما أن ٢٧ فرداً من الأسرة المالكة وحدهم كانوا يمتلكون ١٤٣ ألف فدان. وأصبحت الأغلبية من الفلاحين من المعدمين واضطروا إلى العمل كمستأجرين صغار أو عمال زراعيين يعانون الفقر والحاجة.

لم يكن للعمال حقوق تحميهم من إستبداد وتحكم أصحاب الأعمال فلا قانون للمعاشات ولا تأمينات اجتماعية أو تعويضات محددة فى حالة الإصابة ولذلك كان كبار الرأسماليين يبتزون عرق العمال ويستغلون جهدهم دون وجود أى قوانين ل حمايتهم.

### تنظيم الضباط الأحرار :

تعرض الجيش المصرى منذ بداية الأربعينات لعدد من المؤثرات السياسية جعلت ضباطه الوطنيين خاصة الشبان يتجهون إلى العمل السياسى ونظراً لأن قوانين الجيش وتقاليده ولوائحه تمنع اشتغال أفراد الجيش بالسياسة لذا فقد اتخذ العمل السياسى فى هذه الفترة الطابع السرى حتى لا يقع العسكريون الذين يمارسونه تحت طائلة القانون. وكان تحرير مصر من الاحتلال البريطانى هو الهدف

الأساسى الذى تركزت عليه أفكار الضباط الوطنيين بعد أن أثبتت لهم الأحداث أن المعاهدة التى عقدت بين مصر وبريطانيا فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٦م لم تؤد إلى استقلال حقيقى للبلاد.

ثم وقع حادث ٤ فبراير عام ١٩٤٢م الذى حاصرت خلاله الدبابات البريطانية قصر عابدين والذى أجبر فيه السفير البريطانى الملك فاروق على أن يعهد إلى مصطفى النحاس زعيم الوفد بتشكيل الوزارة. ولكن حادث ٤ فبراير كان عدواناً مشيناً بلا شك على استقلال مصر وشعر ضباط الجيش أن كرامتهم قد أهينت فعدوا عدة اجتماعات بنادى الضباط بالزمالك لبحث الموقف.

ولذا بدأت ميولهم تتجه إلى الجماعات الجديدة التى أخذت وقتئذ تبرز على مسرح السياسة المصرية وهى جماعة الأخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة والجماعات اليسارية.

وأدت هزيمة الجيش فى فلسطين وانكشاف فضائح النظام الملكى إلى خلق رابطة فكرية مشتركة بين عدد كبير من الضباط الوطنيين الشبان من اتجاهات سياسية مختلفة وكانت هذه الرابطة الوطنية الفكرية هى الأساس الذى بنى عليه البكباشى جمال عبدالناصر تنظيم الضباط الأحرار الذى كونه فى سبتمبر عام ١٩٤٩م عقب عودة الجيش المصرى من فلسطين إلى أرض الوطن والذى استطاع عبدالناصر فى سنوات قلائل أن يضم إليه الطليعة الوطنية الواعية من ضباط الجيش الذين آمنوا بأن خطورة المستعمر لا تكمن فى جيوشه الحاشدة أو حرايه المشرعة وإنما أولئك العملاء الذين ارتبطت مصالحهم ببقائه وعلى رأسهم ذلك الملك وكانت خطة عبدالناصر وزملائه من الضباط الأحرار أن ينزعوا عن الجيش ولاءه للملك ليصبح عن جدارة جيش الشعب



شكل رقم (١٥)  
اللواء محمد نجيب أول رئيس للجمهورية

وكان تعبير عبدالناصر أصدق وصف لما حدث بعد ذلك حين قال عبارته المأثورة: «كنا نحن الشبح الذى يورق به الطاغية أحلام الشعب، وقد آن لهذا الشبح أن يتحول إلى الطاغية فبدد أحلامه هو».

### انتخابات نادى الضباط :

لفتت معركة انتخابات نادى ضباط الجيش الرأى العام فى مصر سواء داخل الجيش أو خارجه وكان الجميع يتتبعون أنباءها باهتمام شديد فقد أحسوا أنها بمثابة صراع سافر بين الضباط الوطنيين الشبان وبين عملاء السراى من قادة الجيش وعلى رأسهم اللواء حسين سرى عامر مدير سلاح الحدود وقتئذ وكان الملك فاروق قد أبعاد

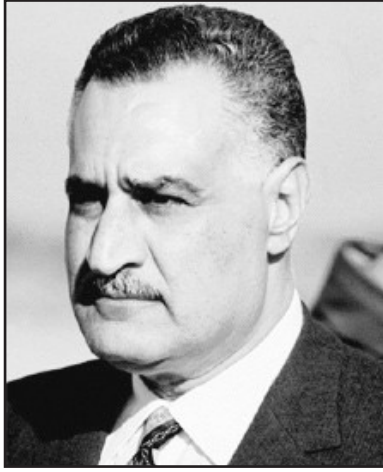
اللواء محمد نجيب الذى كان يتولى ذلك المنصب كى يتولاه صنيعته حسين سرى . وكان ترشيح اللواء محمد نجيب شكل ( ١٥ ) الذى أصبح مديراً لسلح المشاة لرئاسة مجلس إدارة النادى قد تم بالاتفاق بينه وبين لجنة قيادة تنظيم الضباط الأحرار التى قررت خوض معركة الانتخابات كوسيلة لاختبار مدى قوة التنظيم وتأثيره على الرأى العام بين الضباط . واستغل التنظيم اسم محمد نجيب أحسن استغلال فوضع اسمه على رأس قائمة مرشحي الضباط الأحرار ، وهى القائمة التى تم توزيعها فجأة على أعضاء الجمعية العمومية للضباط فى الاجتماع الذى عقد بعد ظهر يوم ٣١ ديسمبر ١٩٥١م بقاعة السينما بالعباسية وكانت الجمعية العمومية التى تمثل جميع ضباط الجيش قد دعت للانعقاد لمناقشة التعديلات المقترحة فى قانون النادى وحضر الاجتماع ٤٥٥ ضابطاً .

وعندما أعلنت نتيجة الانتخابات عند منتصف الليل شهدت الدقائق الأولى من عام ١٩٥٢ أول انتصار يحققه الضباط الأحرار فقد فاز اللواء محمد نجيب برئاسة مجلس الإدارة بأغلبية ضخمة . على اللوائىات الثلاثة الذين كانوا ينافسونه كما فازت قائمة الضباط الأحرار فوزاً ساحقاً . وبسبب إصرار الملك على ضرورة تمثيل سلاح الحدود بعضو فى مجلس الإدارة عقد اجتماع مساء يوم ١٦ يونيو فى حديقة نادى الضباط بالزمالك وكان اجتماعاً مشهوداً اعتبره بعض المؤرخين أخطر اجتماع عسكري منذ الثورة العربية ،

فإن ما قيل وما حدث فى ذلك الاجتماع أفصح بما لا يدع مجالاً للشك أن الملك فقد سيطرته على الجيش وأن الجيش أسقط ولاءه للملك ، فقد رفضت الجمعية العمومية غير العادية بالاجتماع الاقتراح الذى عرض عليه بتمثيل سلاح الحدود فى مجلس إدارة النادى وبذا خرجت الثورة العارمة من ضباط الجيش ضد الملك من إطار السرية إلى حيز العلانية .

## قيام الثورة :

- ١- كانت النية معقودة لدى لجنة التنظيم على القيام بالثورة عام ١٩٥٥م حتى يستكمل تنظيم (الضباط الأحرار) بنائه داخل مختلف الأسلحة والوحدات وهى مسألة لم تكن سهلة فى وجود أجهزة متعددة للأمن مثل المخابرات الحربية والبوليس السياسى وأجهزة الملك الخاصة بالأمن كما أن أجهزة المخابرات البريطانية والأمريكية لم تكف عن نشاطها فى تلك الآونة بحثاً عن الضباط الأحرار .
- ٢- عقب حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢م اتجه تفكير لجنة قيادة التنظيم إلى التعجيل بموعد الثورة ليأتى مبكراً ثلاث سنوات عن مياعده واختير شهر نوفمبر ١٩٥٢م موعداً للقيام بالثورة .
- ٣- أجبرت حالة الفوضى والتخبط والاضطراب التى سادت فى الفترة التى أعقبت حريق



شكل (١٦)  
الرئيس الراحل جمال عبدالناصر

القاهرة وحتى قيام الثورة والتي لم تتجاوز ستة أشهر (من ٢٧ يناير إلى ٢٢ يوليو ١٩٥٢م) الملك فاروق إلى تشكيل أربع وزارات متتالية دون إنتخابات كان رؤساؤها ووزراؤها كلهم من غير المنتمين إلى أحزاب.

٤- عجل الملك فاروق بتقديم موعد الثورة حين أصدر الفريق محمد حيدر القائد العام للقوات المسلحة إرضاء للملك قراراً بحل مجلس إدارة نادى الضباط فى ١٦ يوليو ١٩٥٢م. فبادرت لجنة القيادة برئاسة عبدالناصر إلى عقد ثلاثة اجتماعات متتالية أيام ١٧، ١٨، ١٩ يوليو لبحث الموقف خاصة وقد علم الضباط الأحرار أن أجهزة الملك تمكنت من كشف أسماء ١٢

ضابطاً من بينهم معظم أعضاء لجنة القيادة نفسها ، وأن الغرض من تعيين إسماعيل بك شيرين وزيراً للحربية هو التكيل بهؤلاء الضباط بشتى الوسائل من طرد من الخدمة أو اعتقال أو تشريد.

ولهذا جرت محاولة لتكون الثورة ليلة ٢٢ يوليو ليتم تحطيم الوزارة الجديدة (وزارة نجيب الهاللى ٢٢/ ٢٣ يوليو) بما فيها وزير الحربية قبل أداء اليمين الدستورية ولما تعذر ذلك تحدثت ليلة ٢٣ يوليو لتكون موعداً لقيام الثورة.

٥- وخلال عقد اجتماع لجنة القيادة برئاسة جمال عبدالناصر فى الساعة الثالثة من بعد ظهر الثلاثاء ٢٢ يوليو ٥٢ تمت مناقشة المرحلة الأولى من الخطة ، والتي كانت تستهدف فى جلستها السيطرة على القوات المسلحة ، وكان تنفيذها يبدأ فى الساعة الواحدة من صباح يوم ٢٣ يوليو وكان على الوحدات المشتركة فى الثورة التحرك من معسكراتها تحت قيادة الضباط الأحرار لإغلاق جميع مداخل القاهرة الشرقية والشمالية التى تؤدى إلى مناطق المعسكرات وإلى رئاسة الجيش بكوبرى القبة ، وكان من ضمن الخطة احتلال دار الإذاعة بمكاتبها بشارع الشرفين وباستديوهات بشارع علوى لكى يلقي البيان الأول للثورة منها فى الساعة السابعة من صباح ٢٣ يوليو وفى الوقت الذى تجرى فيه وحدات الأسلحة المقاتلة لتنفيذ مهامها حددت مجموعات صغيرة من الضباط للقيام بعمليات اعتقال كبار قادة الجيش والطيران فى بيوتهم لضمان عدم توجههم إلى وحداتهم ومنعهم من إصدار أى أوامر لتحريك قوات عسكرية يمكن أن تتصدى للثورة.

٦- وفى الساعة السابعة والنصف من صباح يوم ٢٣ يوليو ٥٢ أذاع السادات (البيان الأول للثورة) من دار الإذاعة المصرية وكان نصه كما يلي:

«من اللواء أركان حرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصرى اجتازت مصر فترة عصيبة من تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون فى هزيمتنا فى حرب فلسطين.

وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمره إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى أصبح مصر بلا جيش يحميها، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا فى داخل الجيش رجال نثق فى قدرتهم وفى خلقهم وفى وطنيتهم ولا بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم فى الوقت المناسب وإنى أؤكد للشعب المصرى أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن فى ظل الدستور مجرداً من أية غاية وانتهاز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس فى صالح مصر وأن أى عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن فى الحال. وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاوناً مع البوليس، وإنى أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولاً عنهم».

«والله ولى التوفيق».

ولم يكذب إذاع البيان الأول للثورة باسم اللواء محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة حتى سارعت جميع الوحدات العسكرية فى القاهرة وفى المناطق الخارجية بإعلان انضمامها إلى ثورة الجيش بعد أن نعى الضباط الشبان المنتمون للضباط الأحرار وزملائهم المؤيدون للثورة القادة القدامى عن قياداتهم وتولوا هم زمام القيادة وأصبح الجيش كله تحت السيطرة التامة لقيادة الثورة التى كان يمثلها اللواء محمد نجيب أمام الجيش وأمام الشعب، وقد حظيت ثورة الجيش منذ الساعات الأولى بتأييد شعبى جارف لم يسبق له مثيل فقد التفت الجماهير حول أجهزة الراديو يستمعون إلى البيان الأول للثورة وقد غمرتهم الحماسة والفرحة وفى الساعة التاسعة صباحاً خرج من مبنى رئاسة الجيش اللواء محمد نجيب فى عربة مكشوفة يتقدمها ويتبعها عدد من عربات الجيش المليئة بالضباط والجنود ومن حوله الدراجات النارية وعندما اخترق الموكب شوارع وسط العاصمة قابلته الجماهير المحتشدة بالتصفيق والتهتاف فى الوقت الذى أخذت فيه الإذاعة المصرية تعيد إذاعة البيان الأول للثورة فى فترات منتظمة بعد أن تم لها تسجيله.

## كيف غادر الملك فاروق أرض مصر إلى الأبد ؟



شكل رقم (١٧) الملك فاروق

عقب تقديم نجيب الهاللى استقالة وزارته كلف الملك السابق فاروق / بعد ظهر يوم ٢٣ يوليو السياسى المخضرم على ماهر رسمياً بتشكيل الوزارة استجابة لمطلب قيادة الثورة، وفى مساء اليوم نفسه عقد أخطر اجتماع بمقر القيادة بكوبرى القبة برئاسة اللواء محمد نجيب وحضور معظم قادة الثورة وتقرر فى هذا الاجتماع عزل الملك فاروق وإرسال بعض الوحدات العسكرية من الأسلحة المقاتلة المختلفة إلى الاسكندرية لتعزيز الحامية العسكرية بها استعداداً لعملية عزل الملك، حيث قدم إلى فاروق وثيقة التنازل عن العرش فوقع الأمر الملكى الذى كان نصه كما يلي :

«أمر ملكى رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢م نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان - لما كنا نتطلب الخير دائماً لأمتنا ونبتغى سعادتها ورقبها ولما كنا نرغب رغبة أكيدة فى تجنب البلاد المصاعب التى تواجهها فى هذه الظروف الدقيقة ونزولاً على إرادة الشعب قررنا النزول عن العرش لولى عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه».

صدر بقصر رأس التين فى ٤ من ذى القعدة سنة ١٣٧١هـ (٢٦ يوليو ١٩٥٢م). وكانت الباخرة المحروسة التى حملت الملك شكل (١٧) وأسرتة قد تحركت إلى عرض البحر - ومع غروب شمس ٢٦ يوليو غرب حكم آخر حاكم من أسرة محمد على إلى الأبد.

### مبادئ الثورة :

حددت الثورة المبادئ الستة التى تعتمز تحقيقها وهى :

- ١ - القضاء على الاستعمار وأعوانه.
- ٢ - القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم.
- ٣ - القضاء على الإقطاع.
- ٤ - إقامة عدالة اجتماعية.
- ٥ - إقامة جيش وطنى قوى.
- ٦ - إقامة حياة ديموقراطية سليمة.



## إنجازات الثورة :

عملت الثورة منذ قيامها على تحقيق كثير من الانجازات فى مختلف المجالات ومن أهم هذه الانجازات.

### ■ فى المجال السياسى :

- ١ - إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية فى ١٨ يونيو ١٩٥٣م وتعيين اللواء محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر.
- ٢ - إلغاء دستور عام ١٩٢٣م يوم ١٠ ديسمبر ١٩٥٢م.
- ٣ - حل جميع الأحزاب السياسية ومصادرة جميع أموالها لصالح الشعب يوم ١٧ يناير ١٩٥٣م.
- ٤ - توقيع اتفاقية الجلاء عن مصر فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م وتقرر فيها جلاء القوات البريطانية عن الأراضى المصرية خلال عشرين شهراً من توقيع الاتفاقية وقد تم جلاء آخر فوج من القوات البريطانية عن أرض مصر يوم ١٣ يونيو ١٩٥٦م.
- وهكذا رحل الانجليز عن مصر بعد احتلال دام أربعة وسبعين عاماً وفى ١٨ يونيو ١٩٥٦م رفع جمال عبدالناصر العلم المصرى على مبنى البحرية فى بورسعيد وأصبح لمصر عيدان فى ١٨ يونيو عيد الجمهورية التى أعلنت فى ١٨ يونيو ١٩٥٣م وعيد الجلاء الذى تم فى ١٨ يونيو ١٩٥٦م.
- ٥ - تأميم الشركة العالمية لقناة السويس فى يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦م أعلن الرئيس جمال عبدالناصر القرار الجمهورى الذى يقضى بتأميم الشركة العالمية لقناة السويس وانتقال جميع ما لها من أموال وحقوق وما عليها من التزامات إلى الدولة.

### ■ فى المجال الاقتصادى :

- ١ - الزراعة : عملت الثورة على النهوض بالزراعة واستصلاح الأراضى الصحراوية فى مديرية التحرير والوادى الجديد كما اهتمت ببناء السد العالى الذى تم انجازه سنة ١٩٧٠م والذى أنقذ مصر من أخطار الفيضانات العالية التى كانت تغرق مساحات كبيرة من الأراضى ومن مخاطر الجفاف فى حالة قلة الأمطار عند منابع النيل.
- ٢ - الصناعة : وجهت الثورة جهودها إلى التوسع فى الانتاج الصناعى وأخذت فى العمل على إنشاء المشروعات الصناعية التى تزيد من الانتاج القومى وكان أهمها :

- أ - توليد الكهرباء من خزان أسوان.
- ب- التوسع فى استخراج البترول وإقامة منشآت تكريره.
- ج- إقامة مصنع الحديد والصلب فى حلوان ومصنع الأسمدة فى أسوان.
- د- إنشاء المصانع الحربية لتمديد القوات المسلحة المصرية والعربية بالأسلحة والذخائر والعتاد الحربي.
- هـ- تدعيم التعليم الصناعى وإنشاء العديد من مراكز التدريب المهني.
- و- إقامة صناعات جديدة والتوسع فى الصناعات القائمة.

**٣- التجارة:** وجهت الثورة تجارة مصر الخارجية إلى كافة بلاد العالم وقامت بتمصير البنوك وشركات التأمين ووكالات الاستيراد والتصدير كما قامت بفتح أسواق خارجية للمنتجات المصرية. وقد تولت العناصر المصرية من رجال الاقتصاد والمال إدارة البنوك والشركات والمؤسسات بعد تمصيرها.

### ■ فى المجال الاجتماعى :

١- كان المبدأ الثالث من مبادئ الثورة هو القضاء على الإقطاع وفى سبيل تحقيق ذلك أصدرت الثورة فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢م قانون الإصلاح الزراعى الأول الذى نص على أنه لا يجوز لأى شخص أن يمتلك من الأراضى الزراعية أكثر من ٢٠٠ فدان وله فوق ذلك أن يتصرف إلى أولاده فى مساحة أخرى لا تزيد على ١٠٠ فدان ونص القانون على توزيع الأراضى المستولى عليها على صغار الفلاحين بحيث يكون لكل منهم ملكية صغيرة لا تقل عن فدانين ولا تزيد على خمسة أفدنة ثم صدرت عدة قوانين أخرى انتهت بتحديد الملكية الزراعية للفرد بخمسين فداناً فقط.

٢- كان المبدأ الرابع من مبادئ الثورة هو إقامة العدالة الاجتماعية وفى سبيل تحقيق ذلك قامت الثورة بتعميم مجانية التعليم فى كل المراحل التعليمية بما فيه التعليم الجامعى وإصدار قوانين التأمينات الاجتماعية والمعاشات للموظفين والعمال وحددت الثورة ساعات العمل بسبع ساعات يومياً وأشركت العمال فى مجالس إدارة الشركات والمصانع وخصصت لهم نسبة من أرباح الشركات واهتمت الثورة بالمرأة فمنحتها حقها فى الترشيح والانتخابات.

### ■ فى المجال العربى :

أخذت الثورة على عاتقها منذ قيامها مساندة الشعوب العربية على التحرر من الاستعمار فساعدت السودان وبلدان المغرب وخاصة الجزائر وإمارات الخليج العربى وجنوب اليمن على نيل استقلالها من

الاستعمار الأجنبي كما وقفت إلى جانب ثورة العراق وثورة اليمن وأيدت بقوة ولا تزال تؤيد الشعب الفلسطيني في استرداد حقوقه المشروعة في فلسطين.

## ■ في المجال الدولي:

كان أهم المبادئ والأسس التي سارت عليها الثورة في المجال الدولي ما يأتي:

- ١- محاربة الاستعمار بكل صوره وأشكاله ومساعدة الشعوب في آسيا وإفريقيا على التحرر منه.
  - ٢- رفض الانضمام إلى الأحلاف العسكرية الأجنبية التي كانت بعض الدول الغربية تسعى إلى تكوينها وجر مصر والدول العربية إليها وقد حاولت بريطانيا والولايات المتحدة ضم مصر إلى حلف بغداد الذي تم توقيعه في ٢٤ فبراير ١٩٥٥م ببغداد بين العراق وتركيا ولم تلبث بريطانيا أن انضمت إليه في أبريل ١٩٥٥م ثم انضمت إليه باكستان وإيران ولكن الرئيس عبدالناصر قاوم بشدة كل المحاولات الفاشلة لبريطانيا والولايات المتحدة لضم مصر أو أية دولة عربية أخرى إلى هذا الحلف.
  - ٣- تبني سياسة الحياد الإيجابي وعدم الانحياز إلى أي من الكتلتين سواء الشرقية أو الغربية وقد تجلى ذلك في دور مصر في مؤتمر باندونج الذي عقد بأندونيسيا في إبريل ١٩٥٥م واشتركت فيه ٢٩ دولة كانت تمثل أكثر من نصف سكان العالم.
- وفي سبتمبر ١٩٧٠م فقدت مصر والأمة العربية بطلاً قومياً قضى حياته مجاهداً من أجل وطنه وأمتة وحقق لها الكثير من الانجازات الداخلية والقومية وهو الزعيم الراحل جمال عبدالناصر، وقد حمل عبء الكفاح المصري بعده أحد أعضاء رجال مجلس قيادة ثورة ٢٣ يوليو، وهو محمد أنور السادات الذي قام بإصدار الدستور الدائم ١٩٧١م وتوحيد الجبهة الداخلية وإعداد الجيش للحرب وتوحيد الصف العربي مما دفعه إلى إصدار قرار بدء حرب أكتوبر ١٩٧٣م

## أسئلة الفصل السادس

(١) بهم تفسر...؟

- ( أ ) عدم طرح المصريين لفكرة الاستقلال الوطنى عن تركيا قبل ثورة ١٩١٩م.
- ( ب ) إعلان الرئيس ولسون مبدأ حق تقرير المصير.
- ( ج ) اعتبار ثورة ١٩١٩م ثورة شعبية.
- ( د ) فشل مفاوضات سعد - مكدونالد.
- ( هـ ) فشل مفاوضات سعد - ملنر .

(٢) ما النتائج التى ترتبت علي...؟

- ( أ ) صدور تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م.
- ( ب ) اغتيال السير «لى ستاك».
- ( ج ) تولي محمد محمود الوزارة بعد إقالة النحاس باشا.
- ( د ) صدور تصريح صمويل هور.

(٣) أيد بالأدلة صحة العبارات الآتية:

- ( أ ) نعمت مصر بثمار الحياة الدستورية فى ظل وزارة سعد زغلول عام ١٩٢٤م.
- ( ب ) مرت المفاوضات المصرية البريطانية بعدة أدوار.
- ( ج ) لم يحقق تصريح ٢٨ فبراير الاستقلال التام لمصر.
- ( د ) فرض إسماعيل صدقى على البلاد حكماً دكتاتورياً.
- ( هـ ) احتوى دستور ١٩٢٣م على نصوص متعارضة.

(٤) «تعتبر ثورة ١٩١٩م أول ثورة قومية فى تاريخ مصر الحديث وبداية ظهور الأمة المصرية كأمة موحدة». فى ضوء هذه العبارة وضح:

- ( أ ) السياسة التى اتبعتها بريطانيا فى مصر بعد فرض الحماية.
- ( ب ) الإجراءات التى اتبعتها إنجلترا لمواجهة ثورة ١٩١٩م بعد فشل سياسة العنف.
- ( ج ) حققت معاهدة ١٩٣٦م امتيازات لمصر. دلل تاريخياً.
- ( د ) سياسة بريطانيا لمواجهة ثورة ١٩١٩م عقب اشتعالها.

(٥) ضع علامة (✓) أو علامة (x) أمام ما يناسبها من العبارات التالية مع ذكر السبب :

- ( أ ) كان الهدف الأساسي من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م هو تحرير مصر من الاحتلال العثماني.  
 (ب) حرب فلسطين ١٩٤٨م أكبر العوامل التي أدت إلى إثارة السخط والغضب في نفوس الضباط المصريين.  
 (ج) لم يكن لأحزاب الأقلية أي وجود على الساحة السياسية لمصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.  
 ( د ) تميزت ملكية الأراضي الزراعية قبل الثورة بسوء التوزيع.  
 (هـ) تميز العمل السياسي للضباط الوطنيين بالعلانية.

(٦) بم تفسر .....؟

- ( أ ) تعتبر حادثة ٤ فبراير ١٩٢٤م عدواناً صارخاً على استقلال مصر.  
 (ب) انحدار سمعة الملك فاروق في مصر والخارج.  
 (ج) تميز الوضع السياسي في مصر قبل الثورة بالفساد والانحلال.  
 ( د ) تدهور الأوضاع السياسية في مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م.

(٧) ما النتائج التي ترتبت علي ... ؟

- ( أ ) قيام ثورة ٢٣ يوليو في المجال الاقتصادي والاجتماعي.  
 (ب) توقيع اتفاقية الجلاء في ١٩ أكتوبر ١٩٥٤م.







## أولاً : تطور حركة القومية العربية :

سياسة الاستعمار الأوروبي في الوطن العربي فيما بين الحربين (١٩١٨م/١٩٣٩م) :

١- قسم الاستعمار الوطن العربي إلى أجزاء منفصلة، وأقام الحواجز الجمركية بين هذه الأجزاء ففضى على حرية الانتقال، وحرية الاتصال بين العرب.

٢- وأثار الاستعمار النعرات المحلية للقضاء على فكرة الوحدة والقومية العربية، فأثار النزعة الفرعونية في مصر، والنزعة الفينيقية في لبنان، وسمى العرب بأسماء مختلفة في الأجزاء المختلفة، فهم عراقيون وسوريون ولبنانيون وفلسطينيون وسودانيون.

٣- خلق الجنسيات المتعددة من الجنسية العربية الواحدة، بل وعمل الاستعمار أحياناً على إخراج بعض الشعوب العربية عن إطار القومية، فعمل على فرنسة الجزائر، وادعى أنها جزء من الوطن الفرنسي، وشجع الجزائريين على اكتساب الجنسية الفرنسية عن طريق التلويح بالامتيازات الاجتماعية والطبقية.

٤- أثار الاستعمار روح العداة الطائفي بين الأديان والمذاهب في الوطن العربي، فعمل على التفريق بين الدروز والموارنة في لبنان، وبين المسلمين والأقباط في مصر، وبين الشيعة والسنيين في العراق، وبين الزيدية والسنية في اليمن والمحميات، وسخر الاستعمار علماءه لإثبات بعض القضايا العنصرية رغبة في التفرقة، فالبربر ليسوا عرباً، ولكنهم من الوندال الأوروبيين أو من الرومان، واللبنانيون من نسل الصليبيين الإفرنج.

٥- عمل الاستعمار على تعدد النظم السياسية والحكومية والاقتصادية، وتعدد القوانين في الأقطار العربية، فسوريا ولبنان تتبعان النظام الجمهوري، والعراق ومصر والأردن تتبع النظام الملكي، وفلسطين فتحت لهجرة الصهيونيين واتخذت الخطوات لجعلها وطناً قومياً لهم.

٦- سخر الاستعمار التعليم لإضعاف الثقافة العربية فحيث ساد الاستعمار الانجليزي، أبعد العرب عن تيار الفكر الحديث، وحيث ساد الاستعمار الفرنسي ضعفت اللغة العربية، وأصبحت اللغة الفرنسية هي لغة التعليم، ونسى العرب لغتهم، وحيث ساد الاستعمار الإيطالي، كما في ليبيا فرضت اللغة الإيطالية والثقافة الإيطالية.

٧- كما خلق الاستعمار أسراً ذات أطماع في الحكم وألهاها بعروش وهمية، وبذلك أوجد مصالح أسرية وعصبية سببت نوعاً من التفكك في وحدة العرب، وشجعت النزعات العصبية والتنافس المحلي.

٨- انشغل كل شعب عربي فوق هذا كله بصراعه مع القوة الاستعمارية التي فرضت سيطرتها عليه، فانشغل المصريون بمقاومة الاحتلال البريطاني، وانشغل العراقيون بالنضال ضد الانتداب البريطاني،

وانشغل الفلسطينيون بالنضال ضد الصهيونية والانتداب الانجليزي، وانشغل السوريون واللبنانيون بمقاومة الانتداب الفرنسي، وانشغل أهل المغرب بمقاومة فرنسا وإيطاليا، وبذلك تفككت الوحدة العربية، وانشغل العرب عن حركة التكتل العربى وفكرة القومية العربية إلى النضال مع الدخلاء. وهكذا عمل الاستعمار على تفتيت الوطن العربى مادياً إلى أجزاء منفصلة، وأدى ذلك كله إلى إضعاف القومية العربية والتباعد بين الشعوب العربية ولكن إلى حين.

والواقع أنه لا خوف على القومية العربية ما دامت هناك اللغة العربية تربط بين أقطار العرب، وما دام هناك التاريخ العربى يربط بين وجدانهم وبين مصيرهم، وما دامت - هناك الثقافة العربية تربط بين عواطفهم وأمزجتهم.

حقيقة خف تيار القومية العربية بفعل الاستعمار بعد الحرب العالمية الأولى، ولكن كل هذه العوامل استطاعت أن تتلمس من الظروف التى حدثت أيضاً بحكم حتمية التاريخ فرصاً لإحياء فكرة القومية العربية، والمحافظة عليها. فتقدم وسائل المواصلات من سيارات وطائرات، وتقدم وسائل الاتصال الفكرى كالطباعة والصحافة والإذاعة أدت إلى مزيد من التجاوب بين العرب، والمحنة المشتركة بالاستعمار والقتال ضده كان من عوامل التقارب بين العرب أيضاً وإبراز مصالحهم المشتركة وأهدافهم الواحدة ومصيرهم الواحد. وتقدم مناهج التعليم ووسائله وتعميمه فى جميع البلاد العربية فى الفترة ما بين الحربين كان لها أثر بالغ فى شحذ الشعور العربى من غير شك.

وكانت نتيجة هذه العوامل أن عاد إلى العرب شعورهم بأهمية القومية العربية، ووجوب إحيائها وتقويتها، واقتنعت كل دولة عربية بأن سياسة الاهتمام بمشاكلها الخاصة لا تجدى، وأنها أقوى بشقيقاتها العربيات منها بنفسها، مهما بلغت من قوة.

وعلى أساس هذه المفاهيم بدأت القومية العربية تبرز ابتداء من العقد الرابع من القرن العشرين، وبدأت تحدث أثرها فى التقارب بين الشعوب العربية.

## أشكال التقارب بين الشعوب العربية فيما بين الحربين وتكوين جامعة الدول العربية؛

اتخذ التقارب أولاً شكل تصفية الخلافات التى كانت موجودة بين الدول العربية كمصر والسعودية، أو بين الأسرات الحاكمة كالأسرتين السعودية والهاشمية.

١- فى سنة ١٩٣٤م عقدت معاهدة الطائف التى أنهت العدوان بين السعودية واليمن، ونص فيها على تنمية وحدة الأمة العربية، وتحقيق التعاون بين الطرفين.

٢- فى سنة ١٩٣٦م عقدت معاهدة إخاء وتحالف بين العراق والسعودية نص فيها على تبادل

البعثات الثقافية والعسكرية، وبذلك وضع حد للعداء الموروث بين الأسرة الهاشمية والأسرة السعودية، وفى سنة ١٩٣٧م انضمت اليمن إلى تلك المعاهدة، ونص على أن تكون المعاهدة مفتوحة لمن يريد أن ينضم إليها من الدول العربية الأخرى.

٣- وفى مايو سنة ١٩٣٦م عقدت المعاهدة بين مصر والسعودية، وفيها سويت الخلافات بين البلدين، وقد كانت خلافات بين الأسر الحاكمة حينئذ أيضاً إذ كانت جذورها ترجع إلى الحرب بين محمد على باشا والوهابيين.

٤- فى سنة ١٩٣٧م انعقد المؤتمر الفلسطينى العربى العام فى بلودان، وضم وفوداً من جميع الأقطار العربية لتنسيق الجهود فى مكافحة الصهيونية.

٥- فى سنة ١٩٣٩م انعقد بلندن مؤتمر المائدة المستديرة لبحث مشكلة فلسطين، وضم ممثلين لكل الدول العربية المستقلة.

٦- حدث من ناحية أخرى تقارب بين الشعوب العربية، فانعقد المؤتمر الطبى العربى سنة ١٩٣٧م، ثم والى انعقاده سنوياً بعد ذلك تقريباً، كما انعقدت سلسلة أخرى من المؤتمرات، مثل مؤتمر المحامين العرب (١٩٤٤م)، ومؤتمر المهندسين العرب (١٩٤٥م).

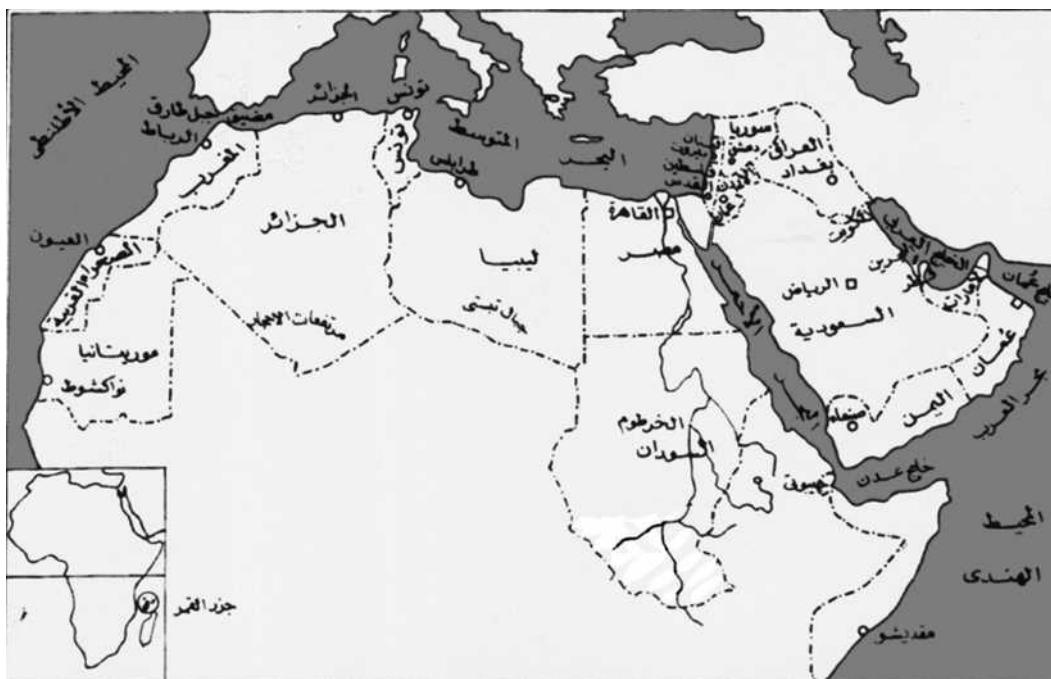
## ثانياً: مصر وإنشاء جامعة الدول العربية : مصر والوحدة العربية :

ولدت فكرة إنشاء جامعة الدول العربية كشكل من أشكال الاتحاد العربى فى مصر، وليس هذا بغريب على موقف مصر من البلاد العربية، إذ وقفت مصر باستمرار إلى جانب الشعوب العربية فى كفاحها لنيل استقلالها حتى إذا قامت الحرب العالمية الثانية رأت بريطانيا أن من مصلحتها قيام نوع من الوحدة العربية.

أولاً : إرضاء للعرب وضماناً لمساعدتهم لها فى محنة الحرب الدائرة.

ثانياً : تكتيلاً للدول العربية وراء مصالح الاستعمار على أساس أن الدول العربية كلها كانت مناطق نفوذه، ومن السهل توجيه أى نظرة عربية نحو هذه المصالح، حيث أظهرت الحرب الأهمية البالغة للمنطقة العربية اقتصادياً بسبب البترول الذى تزخر به أرضها، وأهمية قناة السويس البالغة لنقل هذا البترول بالإضافة لأهميتها الاستراتيجية الأخرى.

ومن جانب آخر كانت الحرب مناسبة أخرى لنمو الحركات الوطنية فى البلاد العربية، فلقد وجدت الشعوب العربية فرصتها فى هذه الحرب للتخلص من سيطرة الدول الاستعمارية التى أكرهتها على حرب لم تكن لها فيها ناقة ولا جمل، وجاء ذلك مصحوباً بتبنيه عربى إلى المخاطر التى تهدد



الدولة	تاريخ إنضمامها	الدولة	تاريخ إنضمامها	الدولة	تاريخ إنضمامها
مصر	٢٢ مارس ١٩٤٥	ليبيا	يناير ١٩٥٢	البحرين	٢٩/سبتمبر ١٩٧١
العراق	٢٢ مارس ١٩٤٥	السودان	١٩ فبراير ١٩٥٦	عمان	٢٦ نوفمبر ١٩٧٣
سوريا	٢٢ مارس ١٩٤٥	المغرب	١/سبتمبر ١٩٥٨	موريتانيا	٢٦ نوفمبر ١٩٧٣
لبنان	٢٢ مارس ١٩٤٥	تونس	٢/سبتمبر ١٩٥٨	الصومال	١٤ فبراير ١٩٧٤
السعودية	٢٢ مارس ١٩٤٥	الكويت	٢٠ يوليو ١٩٦١	جيبوتي	١/يوليو ١٩٧٧
الأردن	٢٢ مارس ١٩٤٥	الجزائر	١٦ أغسطس ١٩٦٢	فلسطين	١٩٧٦
اليمن	٢٢ مارس ١٩٤٥	الإمارات	٦/سبتمبر ١٩٧١	جزر القمر	١٩٩٣
اليمن الشعبية	١٢ ديسمبر ١٩٦٧	قطر	١١/سبتمبر ١٩٧١		

شكل (١٨) دول جامعة الدول العربية

المنطقة والشعوب العربية بسبب الهجرة الجماعية الصهيونية التي سمحت بها الحكومة البريطانية إلى فلسطين، ولذا تزايد اهتمام التفكير العربى بضرورة (جمع الصفوف) لمواجهة الخطر الصهيونى وللتخلص من السيطرة الأجنبية.

ولذلك فقد سعت الدول الاستعمارية الغربية، وبالذات بريطانيا إلى محاولة التخفيف من حدة العداء العربى لها، واستمالة الدول العربية، فأعلنت - وبينما كانت الحرب العالمية الثانية على أشدها - عن ترحيبها بأى عمل فى اتجاه الوحدة العربية، وجاء هذا الإعلان على لسان وزير خارجيتها (المستر إيدن) فى ٢٩ مايو سنة ١٩٤١م عندما أدلى بتصريح قال فيه :

إن كثيرين من مفكرى العرب يرجون للشعوب العربية درجة من الوحدة أكبر مما يوجد بها الآن... ويبدو أنه من الطبيعى ومن الحق وجوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية بل والروابط السياسية أيضا، وحكومة صاحب الجلالة من ناحيتها ستؤيد أية خطة تلقى من العرب موافقة عامة.

وأبدى العرب فتورا نحو هذا التوجيه البريطانى وعرفوا أهدافه والحرب على أشدها. فأصدر وزير خارجية بريطانيا إعلانا ثانياً فى فبراير ١٩٤٣م جاء فيه : «إن حكومة صاحب الجلالة - كما أوضحت من قبل - تؤيد كل حركة يقوم بها العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية والثقافية والسياسية بينهم، ومن الجلى أن الخطوة الأولى لتحقيق أى مشروع يجب أن تأتى من جانب العرب أنفسهم».

واستجابت مصر فأخذت على عاتقها دعوة الحكومات العربية إلى إجراء مباحثات ومشاورات فى الموضوع، وذلك بعد أن ألقى مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية بيانا فى مجلس الشيوخ المصرى فى مارس ١٩٤٣م قال فيه : «إننى معنى من قديم بأحوال الأمة، والمعاونة على تحقيق آمالها فى الحرية والاستقلال، وقد خطت خطوات واسعة صادفها التوفيق، ومنذ أعلن مستر إيدن تصريحه فكرت طويلاً ورأيت أن الطريقة المثلى التى يمكن بها التوصل إلى غاية مرضية هى أن تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية، وانتهيت من دراستى إلى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات فى هذا السبيل فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمى إليه من آمال كل على حده، ثم تبذل الجهود للتوفيق بين آرائها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ثم تدعوهم بعد ذلك إلى مصر معاً فى اجتماع ودى لهذا الغرض حتى تبدأ السعى للوحدة العربية بجهة متحدة بالفعل، فإذا تم التفاهم أو كاد وجب أن يعقد مؤتمر لإكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه من القرارات محققاً للأغراض التى تنشدها الأمة العربية».



## المشاورات التمهيدية أو مباحثات الوحدة العربية :

وبناء على ذلك بدأت المباحثات الثنائية فى القاهرة بين رئيس الحكومة المصرية (مصطفى النحاس باشا) وبين رؤساء الحكومات العربية الأخرى فى المشرق العربى للتباحث وتبادل وجهات النظر حول كيفية قيام «وحدة عربية» أو (اتحاد بين الدول العربية).

## بروتوكول الإسكندرية :

وعندما انتهت المشاورات التمهيدية دعت حكومة مصر إلى عقد لجنة تحضيرية للمؤتمر العربى العام تضم ممثلى الدول العربية التى اشتركت فى تلك المشاورات، وبدأت اللجنة اجتماعها بالإسكندرية فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤م، وقد أقر اجتماع الإسكندرية ما عرف باسم بروتوكول الإسكندرية فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤م على النحو التالى :

١- تؤلف جامعة الدول العربية من الدول العربية المستقلة التى تقبل الانضمام إليها، ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى مجلس جامعة الدول العربية تمثل فيه الدول المشتركة فى الجامعة على قدم المساواة، وتكون مهمته مراعاة تنفيذ ما تبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات، وعقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة وللنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها شكل رقم (١٨).

٢- ويضيف البروتوكول : «وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها».

٣- كما نص البروتوكول أيضاً على أنه لا يجوز على كل حال الالتجاء إلى استعمال القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة، كما لا يجوز اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية.

٤- وأخيراً الاعتراف بسيادة واستقلال الدول المنضمة إلى الجامعة بحدودها القائمة فعلاً.

وفى مارس ١٩٤٥م استأنفت اللجنة اجتماعاتها فى القاهرة، وعدلت الاتفاق فكان ميثاق جامعة الدول العربية، وصدر فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥م، ووقعته سبع دول عربية هى مصر، والمملكة العربية السعودية، وسورية، ولبنان، والأردن، والعراق، واليمن، وترك الباب مفتوحاً لانضمام كل دولة عربية تنال استقلالها فيما بعد، وفعلاً انضمت إلى الجامعة العربية : ليبيا، والسودان، وتونس والمغرب، عندما حققت كل منها استقلالها وتبعها باقى البلاد العربية فيما بعد.

وقد صارت القاهرة مقراً لمجلس الجامعة وأجهزتها، واختير عبدالرحمن عزام باشا أول أمين عام للجامعة العربية.

## مظاهر ضعف ميثاق جامعة الدول العربية :

وقد جاء الميثاق أضعف من بروتوكول الإسكندرية فى تأكيد الروابط بين الدول الأعضاء بسبب كثرة التحفظات التى أبدتها معظم المندوبين، ويبدو أن ذلك يرجع إلى عاملين :

**أولاً : الاستعمار :** فقد كان لدى الدول الاستعمارية مخطط محدد لمدى ما يسمح به من وحدة بين العرب.

**ثانياً :** المنافسات الأسرية والاعتبارات الإقليمية والطائفية التى حرص عليها الملوك والأسر الحاكمة فى ذلك الوقت، مما أضعف إرادة العرب، ولم ينتبه العرب إلى أهمية الفرصة التى ضاعت عليهم حينئذ إلا عندما وقعت كارثة فلسطين بعد سنوات.

ولهذين العاملين أتى ميثاق جامعة الدول العربية ضعيفاً، فكانت الجامعة اتحاد حكومات لا اتحاد شعوب، ولذلك نص فى الميثاق على أن تكون القرارات بالإجماع حتى تكون ملزمة لجميع الدول المشتركة فى الجامعة، أما ما يتقرر بالأغلبية فلا يسرى إلا على الدول التى تقبله، ولقد كان هذا أول الضعف فى كيان الجامعة، إذ عطل كثيراً من قرارات مجلسها.

ومع ذلك فقد نص الميثاق على أشياء كانت أساساً طيباً للتعاون، فقد جاء فيه أن الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول العربية المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها، وصيانة استقلالها وسيادتها، والنظر بصورة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها. وكذلك من أغراضها تعاون هذه الدول بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها فى الشئون الاقتصادية وشئون المواصلات والثقافة والشئون الاجتماعية والصحية.

ونص الميثاق على أن لدول الجامعة العربية الرغبة فيما بينها فى تعاون أوثق مما نص عليه فى الميثاق أن تعقد فيما بينها من الاتفاقيات ما تشاء كما نص الميثاق ، على أنه لا يجوز اللجوء إلى القوة لفض المنازعات التى تقوم بين دولتين أو أكثر من أعضاء الجامعة ، وكأن الميثاق أبرم بين دول أجنبية لا دول بدأت مشاوراتها بالرغبة فى إقامة وحدة فيما بينها. وبالرغم مما يبدو فى ميثاق الجامعة من ضعف إلا أنها كانت مظهرًا للتعاون بين العرب على كل حال، وقد أسهمت بنصيب مشكور فى القضايا العربية ، كاستقلال سوريا ولبنان ، واستقلال ليبيا ، والمغرب العربى خصوصاً الجزائر. وكان نجاح الجامعة فى غير ميدان السياسة أعظم، فقد حققت نتائج ملحوظة فى مجالات التعاون الثقافى والاقتصادى والصحى والاجتماعى. وظهر نقص ميثاق الجامعة واضحاً فى محنة فلسطين، فقد أخفقت فيه الجامعة إخفاقاً ذريعاً، فقد عجزت الجامعة بحكم ميثاقها عن إنشاء قوة عسكرية تقوم بالعمليات الحربية التى كان يقتضيها الموقف، ومكنت الثغرات الموجودة فى الميثاق بعض حكام العرب من الخضوع

لضغط الدول الغربية ولقد أظهرت هذه المحنة مدى التفكك السياسى فى الجبهة العربية أثناء حرب سنة ١٩٤٨م لتحرير فلسطين.

### ميثاق الضمان الجماعى سنة ١٩٥٠م :

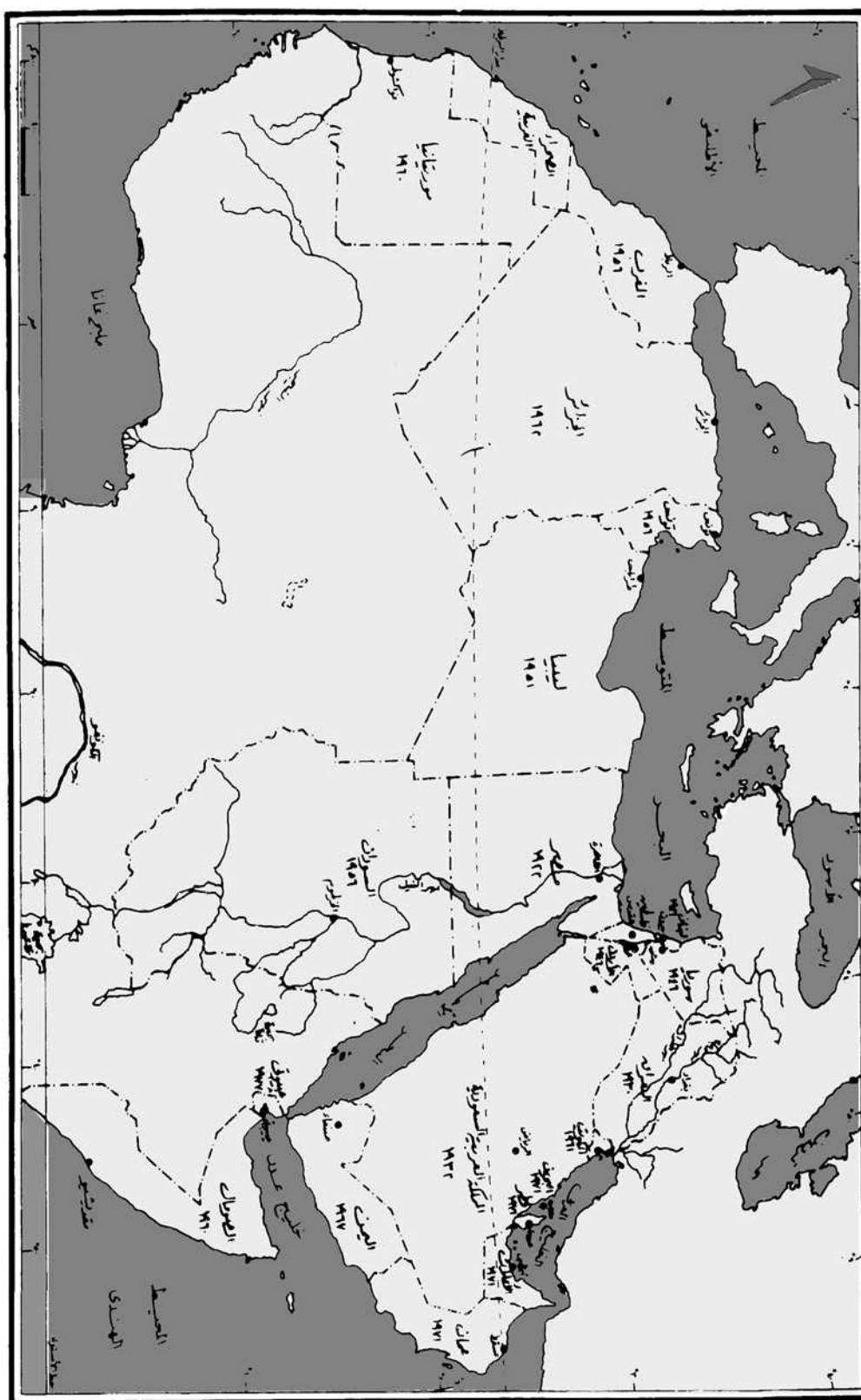
ونتيجة لذلك حاولت جامعة الدول العربية أن تقيم وحدة عسكرية بين الدول المشتركة فيها، فعقدت ميثاقاً للضمان الجماعى (معاهدة الدفاع المشترك فى ١٧ يونية سنة ١٩٥٠م)، وانضمت إليه بعض الدول ولم تنضم دول عربية أخرى.

وقد نصت المادة الثانية من هذه المعاهدة على أن الدول المتعاقدة تعتبر كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها اعتداء عليها جميعاً، ولذلك فإنها عملاً بحق الدفاع الشرعى - الفردى والجماعى- عن كيانها تلزم بأن تبادر إلى معونة الدولة المعتدى عليها، بأن تتخذ على الفور-منفردة أو مجتمعة- جميع التدابير لرد الاعتداء وإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما. وهذه الأحكام - كما ترى- أحكام ذهبىة فى توثيق التعاون السياسى والعسكرى بين الدول العربية مذهباً بعيداً، وهى لوفضت حقاً لأحالت حلم العرب فى الاتحاد إلى حقيقة ملموسة، ولكن شيئاً من هذه الأحكام لم ينفذ، إذ سرعان ما وضع الانقسام بين الحكومات التى تتألف منها الجامعة، مما جعل مصر تستعيز عن ذلك بمعاهدات ثنائية ترمى إلى توثيق التعاون السياسى والعسكرى والاقتصادى والثقافى بينها وبين الدول العربية الراغبة فى ذلك. ورغم كل هذه السلبيات السابق ذكرها، فقد اتسع نشاط الجامعة وزاد عدد أعضائها، فلقد تكونت لجامعة الدول العربية عدد من اللجان والهيئات والمجالس المتخصصة فى كثير من المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وإذا كانت الجامعة غداة تكوينها قد ضمت سبع دول فقط، فإنها الآن أصبحت تضم اثنتين وعشرين عضواً آخرها جزر القمر عام ١٩٩٣م.

### ثالثاً : دور مصر فى استقلال البلاد العربية :

وقد كان لمصر دور رئيسى فى استقلال الشعوب العربية، وفى التحاقها بالجامعة العربية سواء كان ذلك قبل ثورة يوليو ١٩٥٢م، أو بعد قيام الثورة المصرية، فلقد ناصرت مصر على المستوى الشعبى والرسمى كل حركات التحرر فى المشرق العربى أو المغرب العربى، فأيدت استقلال سورية ولبنان، كما أيدت عروبة فلسطين فى الأمم المتحدة، كما قامت بدور بارز فى جامعة الدول العربية عند عرض قضايا التحرر من الاستعمار فى شمال أفريقيا، وساعدت فى استقلال ليبيا وتوحيدها.

وبعد قيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢م دعمت حركات التحرر ضد الاستعمار البريطانى فى الخليج العربى والجنوب العربى، كما أيدت بالمال والسلاح ثورة الجزائر ضد الاستعمار الفرنسى حتى نالت استقلالها ١٩٦٢م، وكذلك كان موقف مصر من حركات التحرر من الاستعمار فى باقى البلاد العربية، ولا أدل على



(شكل رقم (١٩) يوضح استقلال دول الوطن العربي .

ذلك من موقف مصر من منح السودانين حق تقرير مصيرهم وتحريرهم من السيطرة البريطانية، وذلك عندما عقدت حكومة الثورة ١٩٥٣م اتفاقية السودان مع الحكومة البريطانية، التى أسدت إلى السودان حقوقا جليلة فقد أخذت بيده إلى طريق الحرية والاستقلال الذى أعلن سنة ١٩٥٦م بعد جلاء القوات الأجنبية<sup>(١)</sup>، راجع الخريطة شكل رقم (١٩) لتتعرف متى حصلت كل دولة عربية على استقلالها.

## رابعاً: الصراع الإسرائيلى العربى:

### ١- تطور القضية الفلسطينية منذ القرن (١٩) حتى قيام دولة إسرائيل:

مقدمة : فلسطين عربية، هذه هى الحقيقة التاريخية، وهى حقيقة سعت الصهيونية بالتعاون مع الدول الكبرى إلى محوها تماماً للقول بأن إسرائيل حقيقة تاريخية، ولكن الفرق بين المقولتين أن الثانية تقوم ضد حق الإنسان فى وطنه الذى يقيم فيه هو وأجداده منذ آلاف السنين، وتدعو إلى فتح أبواب (فلسطين) ثم (إسرائيل) أمام هجرة اليهود من أوروبا وآسيا وأفريقيا ومن أى مكان إلى (فلسطين إسرائيل).

ولقد كان اليهود مشتتين فى بلاد العالم يتطلعون فى نفس الوقت إلى العودة إلى فلسطين يوماً وهو أمل ظل عالقاً بهم منذ السبى البابلي، وبعد أكثر من ألف عام تجددت الآمال، ولكن بأسلوب القرن التاسع عشر والعشرين.

لقد كانت النهضة الفكرية التى انطلقت فى أوروبا قد رفعت معها المستوى الفكرى لليهود، كما أن الانطلاقة الاقتصادية الكبرى التى شملت معظم أوروبا أعطت فرصة واسعة لليهود لاستثمار مهاراتهم الاقتصادية فى تكوين ثروات كبيرة، وحيث أن النظرية القومية كانت هى السائدة فى التاريخ الحديث فقد كان لليهود - وهم غالباً ما يعيشون فى (جيتو) خاص بهم - يعملون على الحفاظ على مقوماتهم اليهودية الخاصة فى مواجهة نمو المشاعر القومية لدى الشعوب التى يعيشون بين ظهرانيها. الأمر الذى صعد من العداوة التى كانت بين اليهود من جهة والشعوب الأوروبية المسيحية من جهة أخرى.

ومنذ مطلع القرن التاسع عشر والمفكرون اليهود يلتمسون أية وسيلة لتهجير اليهود إلى فلسطين على اعتبار أنها أرض الميعاد والأرض التى وعد الله بها شعب الله المختار، وأنها هى الأرض التى ستجمع شعب اليهود المشتتين منذ العصور القديمة بين مختلف شعوب العالم. وفى عام ١٨٩٧م عقد المؤتمر اليهودى الأول لبحث المسألة اليهودية وفيه : تحددت فكرة (إقامة وطن قومى لليهود) ، ثم تحددت فلسطين فى مؤتمر عام ١٩٠٥م لتكون الوطن القومى لليهود تحت شعار العودة لفلسطين ، ذلك كان بداية الحركة

(١) عرضنا هذا الموضوع بإيجاز شديد وعلى المدرس توجيه الطلاب إلى المزيد من التفاصيل فى هذا الموضوع بالرجوع إلى الكتب السابقة فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر والموجودة بمكتبة المدرسة، وذلك كنشاط ذاتى مستقل للطلاب.

الصهيونية (العودة إلى فلسطين)، وأنشئت المنظمة الصهيونية العالمية والصندوق الصهيوني لتمويل عمليات الهجرة وشراء الأراضي للمهاجرين اليهود إلى فلسطين.

### تصريح بلفور :

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى نظرًا لارتباط مصالح بريطانيا بمصالح الحركة الصهيونية، أصبحت بريطانيا مستعدة لتأييد اليهود فى إنشاء وطن قومي، ومن هنا صدر الأمر البريطاني المعروف بتصريح بلفور فى صورة خطاب موجه إلى رئيس الطائفة اليهودية فى بريطانيا فى ٢ نوفمبر ١٩١٧م كما يلي:

عزيزى اللورد روتشيلد ... أعبركم عن بالغ سرورى إذ أنقل إليكم باسم حكومة صاحب الجلالة التصريح التالى بالعطف على الأمنى اليهودية الصهيونية، وهو التصريح الذى عرض على مجلس الوزراء ونال موافقته. إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود فى فلسطين، وستبذل أقصى مساعيها لتيسير تحقيق هذا الهدف، على أن يكون مفهومًا أن شيئًا لن يعمل قد يكون من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف الحالية غير اليهودية فى فلسطين. ولا بالحقوق ولا بالوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى أى بلد آخر. أكون ممتنًا إذا أحطتم المنظمات الصهيونية علمًا بهذا التصريح.

المخلص .. آرثر جيمس بلفور

فمع أن الولايات المتحدة دخلت الحرب فعلاً فى إبريل ١٩١٧م، وتهاوت حكومة القيصر فى روسيا أمام ثورة أكتوبر ١٩١٧م حتى خرجت روسيا من الحرب ظلت الأهمية القصوى لدى الانجليز لكسب اليهود لصالح المعركة التى تخوضها ولصالح الامبراطورية البريطانية بعد انتهاء الحرب. ويجدر بنا أن نحلل ذلك التصريح الذى يعتبر من الأمور الرئيسية التى أدت إلى قيام إسرائيل فى ١٩٤٨م.

١- نص التصريح على أن تأسيس الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، ومن ثم ليس كل فلسطين يصبح وطنًا قومياً للصهيونيين.

٢- لم يشر النص إلى عرب فلسطين بل صراحة يكاد يغفل وجودهم اللهم إلا عندما تحدث النص على (طوائف غير يهودية) ومن ثم كان الانجليز يضمرون منذ البداية استبعاد حقيقة قائمة حينذاك وهى (عرب فلسطين) و(عروبتها). مع أن تعداد فلسطين كان على النحو التالى فى ١٩١٨م (٦٤٤ ألف نسمة من العرب)، و (٥٦ ألف نسمة من اليهود) أى حوالى ٨% من تعداد السكان.

٣- إن بريطانيا منحت إقليمًا لا تملكه إلى طائفة لا تملكه دون استشارة أهل وأصحاب البلاد الذين كانوا يشكلون الأغلبية المطلقة لسكانه، بل وعاملت بريطانيا العرب -بمقتضى النص- على اعتبار أنهم مجرد طائفة ما.



فبعد إنهاء الحرب توالى المذكرات العربية والصهيونية على المسئولين من دول الحلفاء وعلى مؤتمر الصلح، فقد طالب فيصل بن الحسين فى مذكرته فى ٢٩ / ١ / ١٩١٩م باستقلال كل العرب ومنهم عرب فلسطين، بينما طالبت مذكرة الصهيونيين فى ٣ / ٢ / ١٩١٩م بالاعتراف بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين، وحقهم فى إقامة وطن قومى لهم هناك على النحو التالى :

١ - وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى.

٢ - العمل على تطبيق نص تصريح بلفور.

٣ - إقامة مجلس تمثيلى لليهود فلسطين.

فاتفقت فرنسا وانجلترا على أن تكون فلسطين تحت الانتداب الانجليزى، وأن تلتزم الحكومة البريطانية بتنفيذ تصريح بلفور دون أية إشارة إلى العرب صراحة مع أنهم كانوا يشكلون أغلبية سكان فلسطين، وبذلك تكون عصبه الأمم -التي أقرت نظام الانتداب قد تخلت عن واحد من أهم أهدافها ألا وهو مساعدة الشعوب على أن تحكم نفسها بنفسها، وسارت فى طريق إبادة عرب فلسطين وتهويدها.

### سياسة الانتداب البريطانى فى فلسطين :

عين هربرت صمويل مندوباً سامياً بريطانيا، وشكل إدارة عليا ذات طابع صهيونى، وصدرت القوانين التى تنقل الأراضى المملوكة للدولة إلى اليهود والقوانين التى تسهل انتقال الأراضى بالشراء أو بالتنازل من أيدى العرب إلى اليهود، وكانت رءوس الأموال الصهيونية مستعدة لتغطية طلبات أى بائع حتى ولو كانت الأسعار مرتفعة، فالهم هو الاستحواذ على الأرض.

وقد أصدرت الحكومة الإنجليزية (الكتاب الأبيض) الأول فى ١٩٢٢م محددة فيه سياستها التى ستنتهجها فى فلسطين وكانت على النحو التالى :

١ - إن حكومة جلالة الملك لا تتصور أن فلسطين كلها ستصبح يهودية مثل أن إنجلترا إنجليزية وكان هذا من باب التهمية.

٢ - إن تصريح بلفور غير قابل للتغيير، وأنه يعنى أن وطناً قومياً لليهود يؤسس فى فلسطين.

٣ - من الضرورى زيادة عدد الطائفة اليهودية بالمهاجرة.

٤ - العمل على الارتقاء بفلسطين حتى تصبح مؤهلة كمركز للشعب اليهودي.

رفض العرب هذا الكتاب الأبيض الذى افتات بكل وضوح وقصد إغفال حقوق الإنسان بالنسبة لعرب فلسطين. وأخذت حكومة الانتداب فى تنفيذ ما ورد فى الكتاب الأبيض من حيث فتح باب الهجرة أمام اليهود، وانتقال الأراضى إلى أيدى اليهود حتى ولو كان ذلك باستصدار قوانين نزع الملكية والتركيز

على التحاق الشباب بالأراضي الزراعية والأعمال الحقلية وتحميل العربى بأعباء ضريبية ثقيلة تجعله يبيع أرضه. وكان من بين الصدمات الكبرى الأولى بين العرب واليهود فى ١٩٢٩م نتيجة لتعدى اليهود على حق العرب فى (حائط البراق) الذى يضم (حائط المبكى) أحد مقدسات اليهود وهو ملتصق بالمسجد الأقصى، ولم تتوقف الصدمات الدموية إلا بعد تدخل القوات الانجليزية ، والحقيقة أنها تدخلت ضد العرب حتى سيطرت على الموقف، ولم تعامل اليهود إلا معاملة رقيقة.

### الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٠م :

وفى ١٩٣٠م أصدرت بريطانيا كتابها الأبيض الثانى وتضمن:

- ١- التأكيد على تنفيذ وتطبيق تصريح بلفور.
  - ٢- رفض إقامة حكومة دستورية ديمقراطية على اعتبار أن ذلك يتنافى مع هدفها فى تكوين فلسطين اليهودية، واقرحت الحكومة البريطانية تشكيل مجلس تشريعى من العرب واليهود.
  - ٣- أوصت الحكومة البريطانية بفرض قيود على الهجرة اليهودية، ولكن دون أن تضع الوسائل اللازمة لتنفيذ هذه التوصية.
  - ٤- انتقد الكتاب الأبيض تسلل أعداد ليست بالقليلة من اليهود إلى فلسطين بطرق غير مشروعة، ولكن لم تضع الحكومة الاجراءات اللازمة لتنفيذها لمنع هذا التسلل.
- ومع أن الكتاب الأبيض كان يعوزه الحسم فى القضايا التى أثارها، ومع أنه كان من المتعذر تنفيذ ما جاء فيه إلا بقرارات أخرى من الحكومة البريطانية، فقد اعتبره الصهيونيون تخلياً من جانب بريطانيا عن القيام بما التزمت به نحو إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وظلوا وراء الحكومة البريطانية حتى أصدرت بيانات سحب فيها كل ما وجد فيه الصهيونيون مساساً بمخططهم نحو فلسطين لليهود فقط.
- لقد أخذت جموع اليهود تتدفق على فلسطين بسبب اضطهاد هتلر ونظام حكمه النازى لليهود، وكانت فلسطين هى الجهة المفضلة لدى اليهود الألمان، وخاصة أن الحكومة الانجليزية والوكالة اليهودية كانت تمد يد المساعدة بكل كثافة إلى المهاجرين لكى يستقروا فى فلسطين بشكل انتاجي. بل وقد أكد البرلمان الانجليزى أن تمليك فلسطين لليهود ما هو إلا سياسة راسخة بريطانية.
- أدت تلك التطورات إلى تشكيل اللجنة العربية العليا فى ١٩٣٥م للدفاع عن حقوق عرب فلسطين، وقدمت الزعامات العربية فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥م مذكرة طالبت فيها بما يلي:
- ١- تشكيل حكومة نيابية.
  - ٢- إيقاف الهجرة اليهودية الشرعية منها وغير الشرعية.

٣- إصدار بطاقة شخصية لمواطني فلسطين حتى لا يدعيها من لا حق له فيها.

٤- منع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود وسن قانون الأفدنة الخمسة على نسق قانون مماثل

صدر في مصر يبقيا بعيداً عن النزاع أو المصادرة في كل الأحوال.

### الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦ م :

ولكن تمسكت الحكومة الانجليزية بموقفها، فأدى ذلك إلى اندلاع الثورة العربية الكبرى في فلسطين في ١٩٣٦ م، واستمرت حتى ١٩٣٩ م. وقد استخدمت حكومة الانتداب أشد أنواع البطش من قصف بالطائرات، وهدم بيوت المجاهدين، وتطبيق العقاب الجماعي على القرى، ومع ذلك استمرت الثورة واقتربت نذر الحرب العالمية الثانية، فلجأت الحكومة البريطانية إلى ملوك العراق والسعودية والأردن لكي ينصحوا الثوار بالتوقف عن الثورة والتباحث مع لجنة بيل (Peel) الانجليزية التي أرسلتها الحكومة الإنجليزية إلى فلسطين.

توقف القتال وتباحث زعماء عرب فلسطين مع اللجنة، ولكن تحيزت اللجنة إلى جانب اليهود، ولكنها أصدرت أول مشروع لتقسيم فلسطين إلى دولة عربية وأخرى يهودية، وقد وافق اليهود على التقسيم على اعتبار أنه سيعطيهم فرصة العمل بكل حرية على أرض تابعة لهم تبعية مباشرة لتكون نواة (إسرائيل). أما العرب فقد رفضوه على اعتبار أن أى اقتطاع لأية بقعة من فلسطين يعتبر عدواناً لا مثيل له على حقوق شعب يعيش على أرضه، وخاصة أن ما خصص لليهود كان أحسن ما في فلسطين من أرض، وتساءلوا أهكذا يتحول اللاجئ اليهودي إلى مالك، وصاحب الأرض العربي مطروداً من أرضه ليعيش في دولة عربية فقيرة محرومة من مقومات الدولة، (انظر خريطة التقسيم)، ولذلك عاد عرب فلسطين إلى الثورة المسلحة (شكل رقم ٢٠) يوضح مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧ م).

أفزعته فكرة التقسيم عرب فلسطين فعادوا إلى الثورة فلجأت الحكومة البريطانية إلى محاولة جمع الطرفين العربى والصهيونى للتوصل إلى حل مقبول، وكانت بريطانيا فعلاً تريد التوصل إلى حل حيث أن غيوم الحرب العالمية الثانية كانت قد تلبدت، ولكن عجز المجتمعون حول المائدة المستديرة عن التوصل إلى اتفاق، فأصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ م وقد جاء فيه :

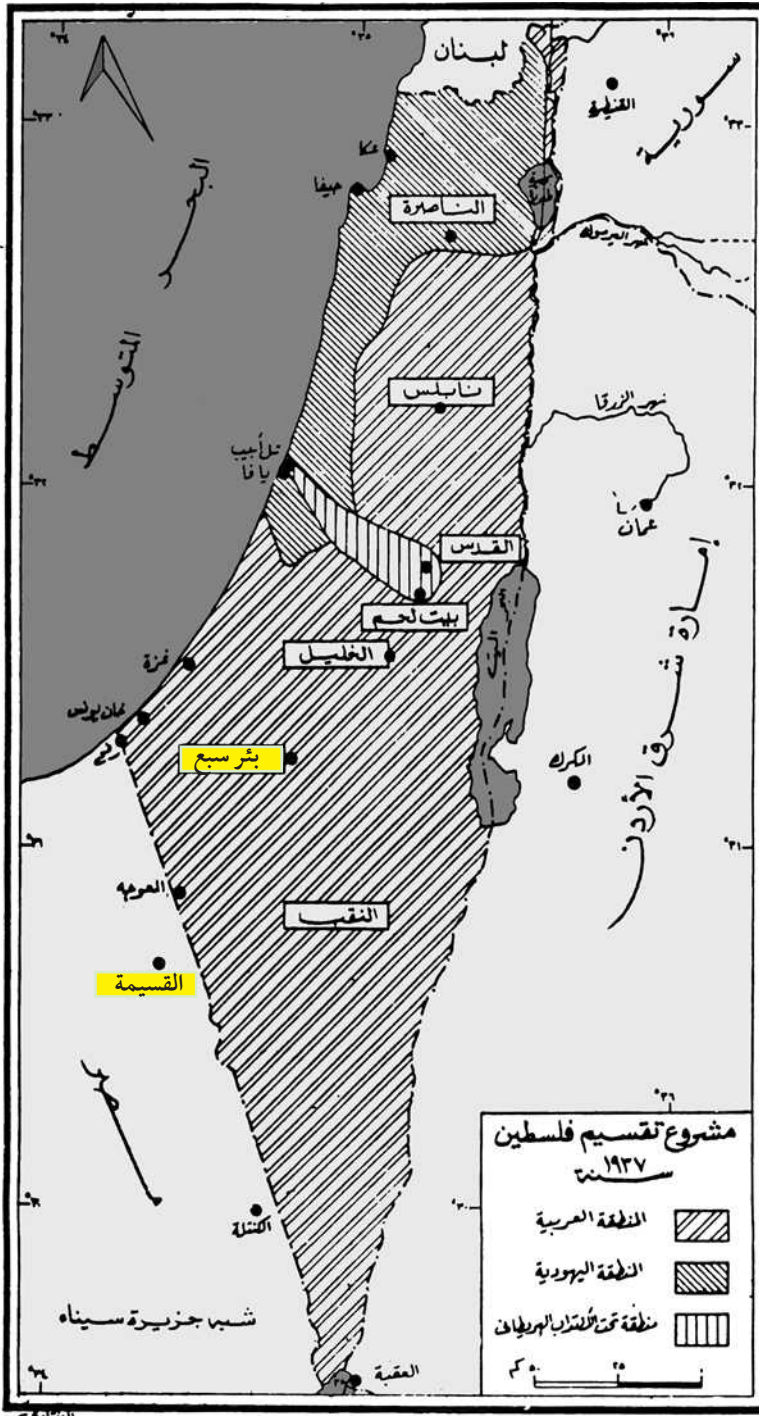
١- التمسك بنص تصريح بلفور.

٢- تسهيل الهجرة اليهودية.

٣- تحديد عدد المهاجرين.

٤- قمع الهجرة غير المشروعة.

٥- حكم ذاتى يشارك فيه العرب واليهود تمهيداً لقيام دولة فلسطين.



(شكل رقم ٢٠) يوضح مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧م).

من البترول، وأن من يسيطر على الشرق الأوسط يستطيع أن يسيطر على العالم.

### قرارات مؤتمر بلتيمور :

هكذا التقت المصالح الأمريكية مع المصالح الصهيونية، وعقد في بلتيمور - الولايات المتحدة - مؤتمر

٦- إسناد الوظائف الرئيسية إلى العرب واليهود على أساس نسبة عدد السكان من الطرفين.  
٧- وضع قيود على انتقال الأراضي من أيدي العرب إلى اليهود.

ولكن هذا الكتاب الأبيض لم يوضع موضع التنفيذ بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية واستخدام إنجلترا القوة العسكرية الفائقة في إخماد ثورة الفلسطينيين، وأخذ الموقف الداخلي والخارجي يتغير لصالح الصهيونية.

### دور الولايات المتحدة :

كانت الولايات المتحدة شديدة الانحياز إلى جانب الصهيونية، التي كانت تقدم للولايات المتحدة خدمات واسعة النطاق في جهودها لتحطيم ألمانيا النازية، وفي دعم مصالح الولايات المتحدة في الشرق الأوسط الذي أصبح على أهمية قصوى بالنسبة لها ، إذ أثبتت شركات البترول الأمريكية العاملة فيه أن منطقة

الخليج العربي تعوم على بحيرة

حضره مندوبون عن المنظمات الصهيونية الأمريكية والأوروبية الموجودة في فلسطين وحضره (هارى ترومان) (١) الذى سيصبح رئيساً للولايات المتحدة ابتداء من ١٩٤٥ م إلى ١٩٥٣ م، وأصدر المؤتمر قراراته على النحو التالي:

١- إنشاء دولة يهودية.

٢- تشكيل قوة عسكرية تحارب تحت علمها الخاص تأكيداً بأن الشعب اليهودى له قوميته، وله علمه وله الحق فى الالتحاق بهيئة الأمم المزمع إقامتها بعد إنهاء الحرب.

٣- فتح أبواب فلسطين للهجرة المطلقة إليها بلا قيود.

٤- منح (الوكالة اليهودية) حقوقاً إدارية وتنظيمية فى داخل فلسطين تمهيداً لاستلام اليهود أمور الحكم والإدارة فى فلسطين.

٥- إلغاء الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ م.

وبينما كانت ألمانيا النازية تلفظ أنفاسها الأخيرة قامت الوكالة اليهودية بدعاية واسعة النطاق عما اقترفه النازى من جرائم بشعة ضد يهود ألمانيا وشرق أوروبا وزعمت أن عدداً من قتلهم النازى أو أحرقهم حوالى ستة ملايين ضحية، وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية شحنت الوكالة اليهودية عشرات الألوف من ألمانيا إلى فلسطين بشكل أزج سلطات الانتداب البريطانى حيث أن البلاد ما كانت لتستوعب هؤلاء إلا على حساب العرب هناك، أو بمعنى آخر أنه إذا أريد قيام وطن قومى بهذه الطريقة فإن ذلك لن يتأتى إلا بإبادة عرب فلسطين.

وعندما اعترضت حكومة الانتداب على فتح أبواب فلسطين هكذا أمام الهجرة اليهودية التى بلغت مائة ألف دفعة واحدة لجأت المنظمات الصهيونية إلى الولايات المتحدة فتبنت قضيتهم وطلبت من الانجليز وبأسلوب شديد اللهجة أن تفتح أبواب فلسطين للمهاجرين الجدد، وما كانت انجلترا حينذاك بقادرة على معارضة الولايات المتحدة الحليفة الأقوى التى لولاها لما نزلت الهزيمة بألمانيا.

وبينما أصبحت الولايات المتحدة المؤيد الأول والأقوى لقيام دولة يهودية، كانت انجلترا ترى أنها لا تستطيع الاستمرار فى الانتداب على فلسطين، بل لقد كانت المنظمات الصهيونية ترى أن دور انجلترا فى التمهيد لقيام دولة يهودية قد انتهى، وأنها أصبحت دولة من الدرجة الثانية وأن الدور القيادى فى هذا الصدد للولايات المتحدة الأمريكية وخاصة أن ترومان نجح فى انتخابات الرئاسة سنة ١٩٤٥ م، كما أن نجاح الحزب الديمقراطى حزب ترومان - فى الانتخابات يرجع إلى الأموال الباهظة التى أنفقها اليهود.

(١) عرضنا هذا الموضوع بإيجاز شديد وعلى المدرس توجيه الطلاب إلى المزيد من التفاصيل فى هذا الموضوع بالرجوع إلى الكتب السابقة فى تاريخ العرب والحديث والمعاصر والموجودة بمكتبة المدرسة، وذلك كنشاط ذاتى مستقل للطلاب.



## اللجنة الانجليزية الأمريكية ١٩٤٦ م :

واستخدمت المنظمات الصهيونية أجهزتها الإرهابية السرية فى الضغط على انجلترا، فعلى يد إرهابيين سقط وزير التموين الانجليزى اللورد موين صريعاً ونسف الإرهابيون الصهيونيون فندق الملك داود فى القدس بما فيه من نزلاء فى ٢٢ يوليو ١٩٤٦م، وأدى ذلك إلى أن تشرك انجلترا الولايات المتحدة معها فى إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية، فتشكلت لجنة انجليزية أمريكية فى نوفمبر ١٩٤٦م، وكان مجرد تشكيل هذه اللجنة لصالح الأهداف الصهيونية وصدرت قراراتها على النحو التالي :

١- فلسطين ستكون دولة يهودية.

٢- فتح باب الهجرة اليهودية.

٣- حرية انتقال الأراضى من العرب إلى اليهود.

وحاولت الحكومة البريطانية عن طريق عقد مؤتمر فى لندن الوصول إلى حل ما، إلا أن الصهيونيين رفضوا حضوره إلا إذا وافقت بريطانيا على قيام دولة يهودية فى فلسطين وحضره العرب وكشفوا فقط عن مخطط إبادة اليهود لعرب فلسطين، ولما انتهى المؤتمر على هذا النحو أعلنت بريطانيا رفض يدها عن المشكلة ووضعها بين يدى هيئة الأمم المتحدة.

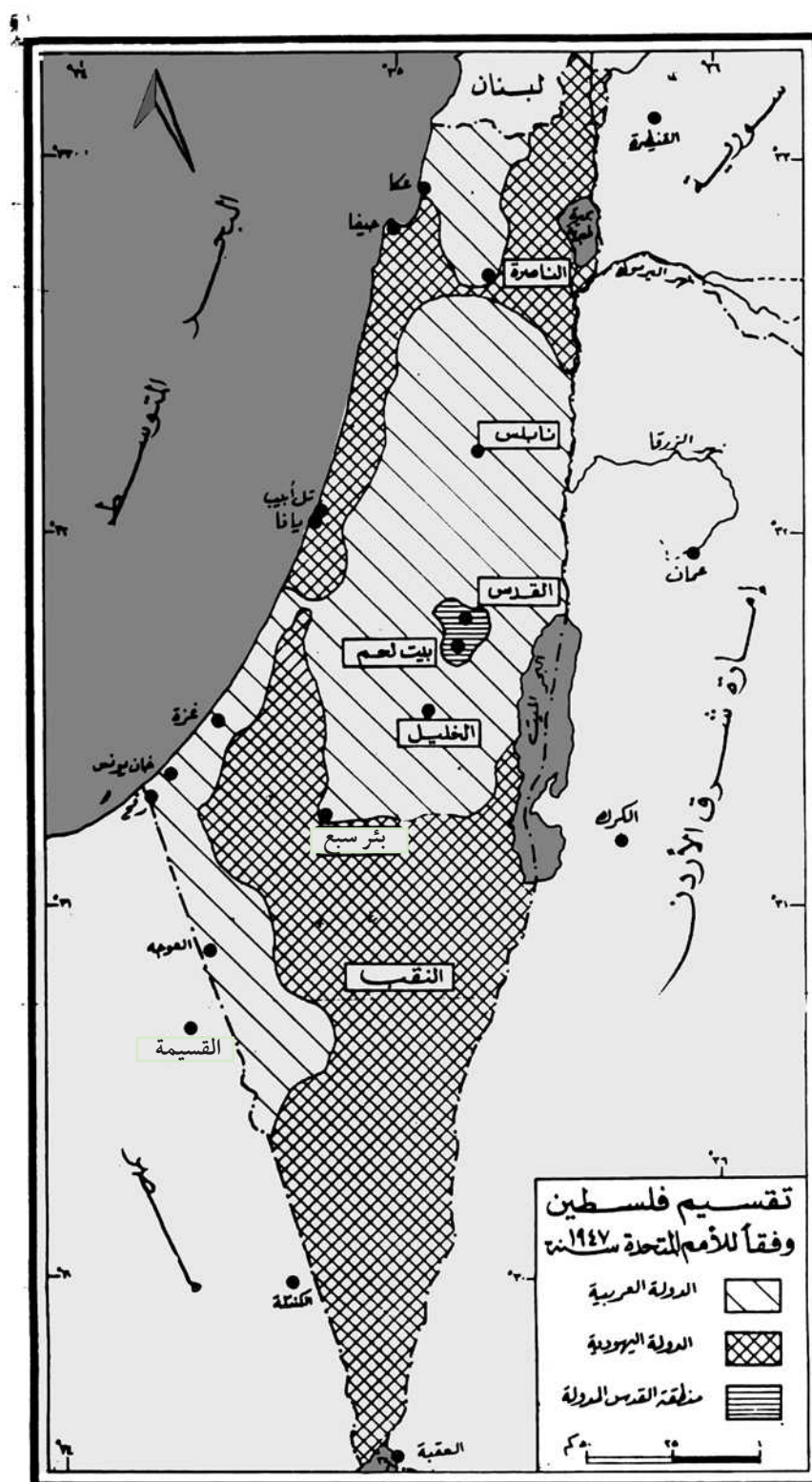
## قرار التقسيم فى الأمم المتحدة ١٩٤٧ م :

رفعت القضية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة وانتهت المداولات إلى قرار بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، (انظر الخريطة شكل ٢١) وأعلنت حكومة بريطانيا أنها ستانسحب من فلسطين فى ميعاد غايته ١٥ مايو ١٩٤٨م، وكانت كل هذه التطورات لصالح اليهود حيث كان لديهم القوات المدربة والأموال الكثيرة والدعم الدولى وعلى رأسه كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى (حالياً الاتحاد الروسى) بينما كانت البلاد العربية التى تدعم الحق العربى فى فلسطين مشغولة هى الأخرى فى تحرير نفسها من الاحتلال الأجنبي. وتدفقت على فلسطين العناصر العسكرية اليهودية التى كانت تقاتل خلال الحرب وكانوا على خبرة عالية عسكرية، بينما كانت قوات عرب فلسطين بدائية التشكيل، وقامت القوات الصهيونية بعمليات إرهابية مثل مذبحة دير ياسين للنساء والأطفال حتى تثير الذعر بين الفلسطينيين، وفعلاً خرجت جموع الشعب الفلسطينى مذعورة من بلادها على أمل العودة مع الجيوش العربية التى كانت تستعد للدخول إلى فلسطين لإعادة الأمن والسكينة والحق إلى تلك البلاد المنكوبة.

## حرب فلسطين ١٩٤٨م :

وعندما كانت آخر القوات الانجليزية تغادر فلسطين أعلن قيام دولة إسرائيل واعترفت بها





(شكل رقم ٢١) يوضح تقسيم فلسطين وفقاً للأزم المتحدة سنة ١٩٤٧ م).

كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وغيرهما من معظم دول العالم، وأصدرت جامعة الدول العربية قرارها بدخول الجيوش العربية لإعادة السكينة والأمن إلى فلسطين التي تجرى على أرضها دماء العرب. وقد دخلت القوات المصرية والأردنية والعراقية والسورية، ولكنها كانت غير مدربة وغير مستعدة وغير متحدة الفكر أو الخطة، فأدى ذلك إلى هزيمة القوات العربية واستولت القوات الإسرائيلية ليس فقط على الأجزاء التي خصصتها الأمم المتحدة بمقتضى قرار التقسيم لليهود ولكن أكثر منها بكثير، واضطرت البلاد العربية المواجهة (مصر - الأردن - سوريا - لبنان) إلى عقد اتفاقيات الهدنة (هدنة رودس) ١٩٤٩م، وأعلنت الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا في ١٩٥٠م ضمان هذه الحدود الجديدة لإسرائيل. ولكن البلاد العربية رفضت الاعتراف بدولة إسرائيل ومن ثم أصبحت القضية ساخنة باستمرار وتتفجر من وقت لآخر كما سيتبين بعد ذلك خاصة في عهد ثورة ١٩٥٢م في مصر وقيادتها للحركة الوحدوية العربية.

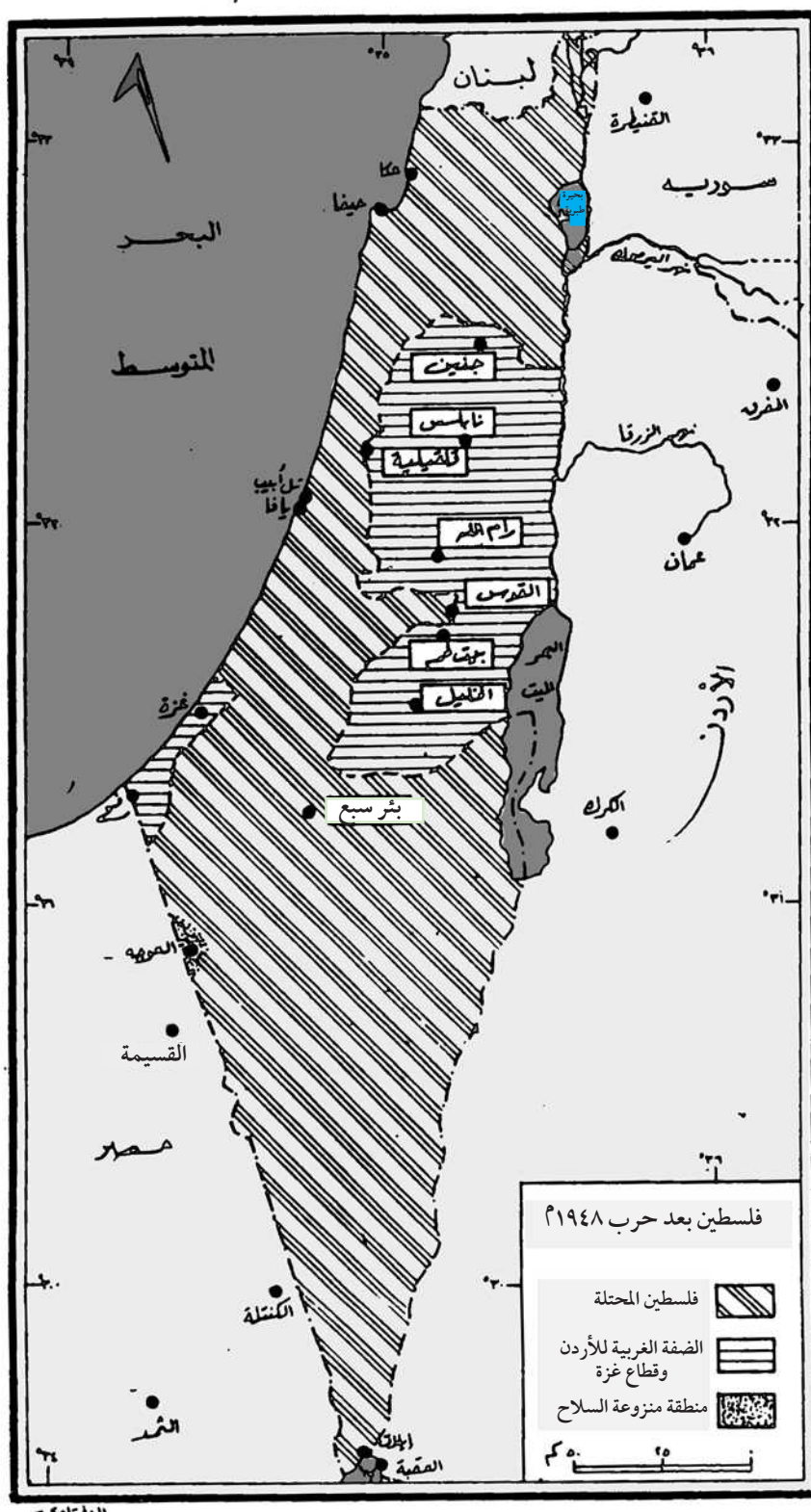
## ٢- مصر والصراع الإسرائيلي العربي بعد حرب فلسطين ١٩٤٨م/١٩٤٩م:

سبق أن عرضنا لحرب فلسطين ١٩٤٨م وما ترتب عليها من هزيمة للعرب وتوسع إسرائيل في الأراضي العربية واستيلائها على أراض أكثر من التي كانت مخصصة لها في قرار التقسيم الذي وافقت عليه الأمم المتحدة ١٩٤٧م. (شكل رقم (٢٢)) فلسطين بعد حرب ١٩٤٨م. فقد توغل اليهود في شمال فلسطين وجنوبها حيث استولوا على النقب ووصلوا إلى العقبة وأنشأت إسرائيل ميناء إيلات، وبذلك استطاع اليهود الاستيلاء على كل فلسطين ما عدا قطاع غزة ومنطقة غرب الأردن والقدس القديمة، وفي نفس الوقت كان نحو مليون من أهالي فلسطين قدفروا من وطنهم وتركوه لليهود ضعفاً.

## ■ العدوان الثلاثي ١٩٥٦م :

كانت إسرائيل مطمئنة إلى بعض الدول العربية، إما لأنها بعيدة عن حدودها أو لوقوعها تحت نفوذ الدول الموالية لإسرائيل، أو لعدم قدرتها عسكرياً على التصدي لها، ولكنها كانت تعتقد أن مصر بعد قيام ثورة ١٩٥٢م هي العقبة الحقيقية في طريق أطماعها.

لذلك انتهزت الفرصة عندما تلاقى مقاصد الاستعمار الغربي مع مقاصدها بمناسبة تأميم حكومة الثورة لشركة قناة السويس في يوليو ١٩٥٦م، واتفقت على مؤامرة مع كل من إنجلترا وفرنسا، وبدأت القوات الإسرائيلية تهاجم الحدود المصرية في ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م وأندرت الدولتان الاستعماريتان كلا من مصر وإسرائيل بوقف القتال على أن تقف قوات كل منهما على بعد أميال قليلة من جانبي قناة السويس، ولما رفضت مصر الإنذار هاجمت القوات الاستعمارية الانجليزية والفرنسية منطقة القناة



(شكل رقم (٢٢) فلسطين بعد حرب ١٩٤٨ م).

لتطويق الجيش المصرى فى سيناء، ولكن القيادة المصرية فوتت عليهم هذا الغرض فارتدت وأخلت سيناء حيث تقدم الجيش الإسرائيلى واحتلها. استمر الفدائيون من رجال الجيش بالاشتراك مع الشعب فى قتال القوات الاستعمارية فى بورسعيد، وتدخلت الأمم المتحدة ونددت بالعدوان على مصر وطالبت المعتدين بالانسحاب، وضغطت الولايات المتحدة على كل من إنجلترا وفرنسا، كما هدد الاتحاد السوفيتى الدول المعتدية، بالإضافة إلى ثورة العمال المتعطلين فى إنجلترا وفرنسا ضد حكومتهما بسبب ما تعرضوا له من البطالة، وبذلك فشل الاعتداء واضطرت الدول المعتدية إلى سحب قواتها بعد أن وافقت مصر على قرار الأمم المتحدة بوجود قوة طوارئ دولية على الحدود الفاصلة بين مصر وإسرائيل، وفى منطقة شرم الشيخ المطلة على خليج العقبة، وتمكنت إسرائيل من الملاحقة فى خليج العقبة شكل (٢٣).

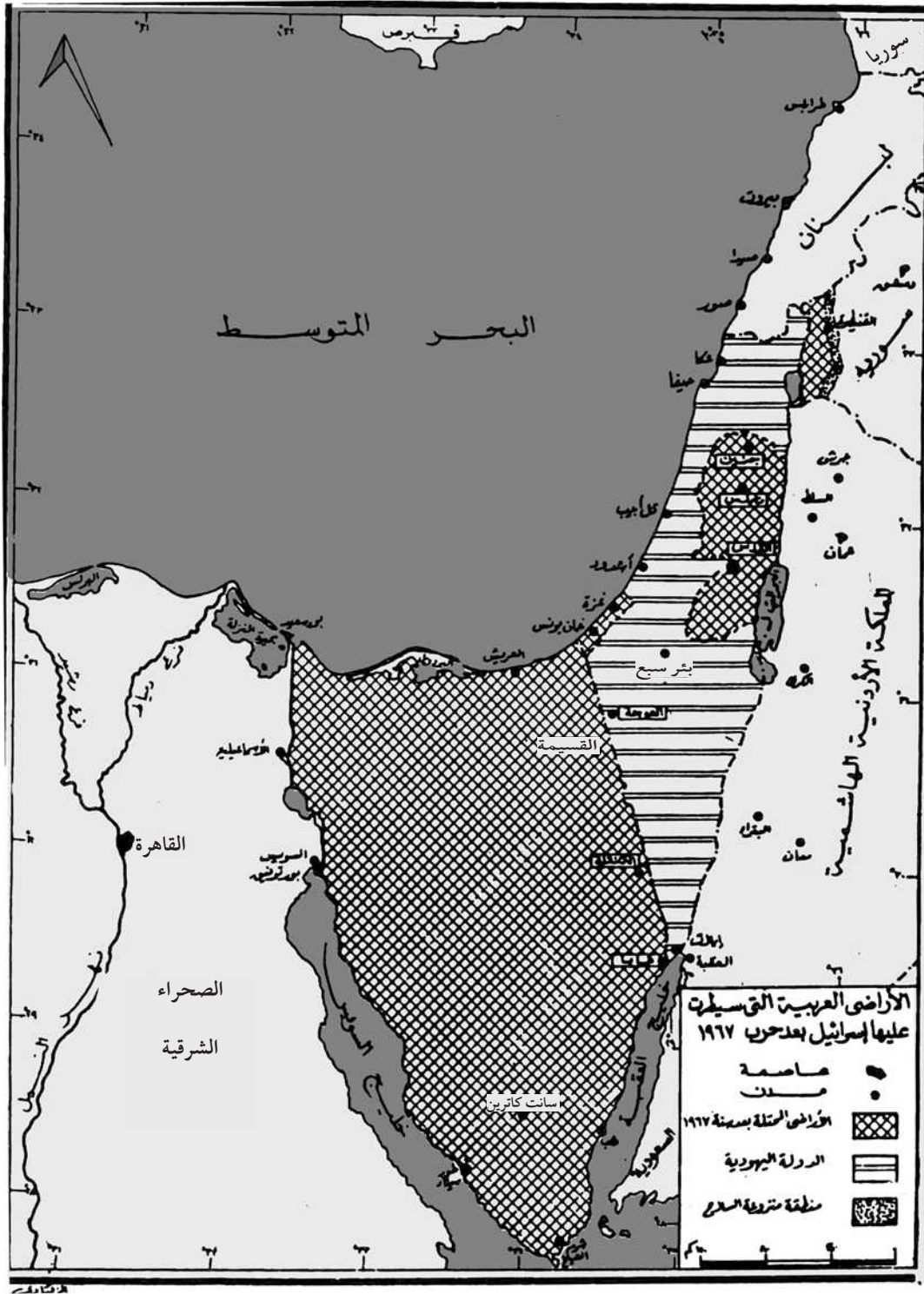


(شكل رقم (٢٣) معركة بورسعيد ١٩٥٦م).

### العدوان الإسرائيلى (٥ يونيو سنة ١٩٦٧م) :

لثالث مرة تلتقى أغراض الصهيونية مع مقاصد الاستعمار، فللصهيونية مخططاتها التوسعية التى تعبر عنها بعبارة من «النيل إلى الفرات» مع برنامج زمنى محسوب، وكانت للدول الاستعمارية خصوصاً الولايات المتحدة فى ذلك الوقت أغراضها فى القضاء على الحركة الشيوعية فى المناطق





(شكل رقم ٢٤) الأراضي العربية التي سيطرت عليها إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧ م.

الاستراتيجية من العالم وأهمها في نظره في ذلك الوقت المنطقة العربية حتى يستقيم لها ما تريده من السيطرة العالمية وتطويق الاتحاد السوفيتي من الجنوب، وضمان احتكار ثروات المنطقة خصوصاً البترول وانتهزت إسرائيل الفرصة، وعملت على استدراج الدول العربية إلى حرب غير مستعدة لها. هبت مصر لتنفيذ التزاماتها بمقتضى اتفاقيات الضمان الجماعى والدفاع المشترك وأعلنت أنها إزاء التهديد الإسرائيلى المسلح تقف إلى جانب سوريا ضد أى عدوان عليها، وأغلقت خليج العقبة فى وجه الملاححة الإسرائيلية، وذلك إحصاءاً للحصار الاقتصادى الذى يفرضه العرب على إسرائيل.

هكذا تلبد الموقف ووجهت إسرائيل أقوى ضرباتها إلى مصر فقامت قواتها الجوية فى صباح اليوم الخامس من يونيو ١٩٦٧م بغارات مفاجئة على المطارات المصرية، وأنزلت ضربة ساحقة بالسلاح الجوى المصري، كما أغارت قواتها الجوية والبرية على سيناء واستولت على قطاع غزة، وواصلت زحفها حتى وصلت إلى الضفة الشرقية لقناة السويس بعد أن خسرت مصر الجانب الأكبر من قواتها المسلحة فى سيناء.

أما فى الجبهة السورية فقد اندفعت القوات الإسرائيلية واستولت على هضبة الجولان المنيعه، وفى الوقت نفسه استولت القوات الإسرائيلية على مدينة القدس العربية وعلى الضفة الغربية لنهر الأردن، وبذلك لم تكف إسرائيل بالاستيلاء على فلسطين كلها، بل استولت على مناطق من الأراضى المصرية والسورية والأردنية. شكل رقم (٢٤).

ولم تكن إسرائيل وحدها فى المعركة ولكن كان معها مئات المتطوعين والطيارين والقواد العسكريين، وكان معها أجهزة تجسس أمريكية من أحدث طراز صورت لها المواقع المصرية، وأبطلت لصالحها عمل أجهزة الدفاع المصرية، ونقلت إليها تعليمات القيادة المصرية.

وقد أدركت البلاد العربية أن الخطر الإسرائيلى أصبح يهددها جميعاً إن لم تدعم دول المواجهة فعقدت مؤتمر قمة فى الخرطوم (أغسطس ١٩٦٧م) وقرر هذا المؤتمر ضرورة تكاتف العرب لصد العدوان الإسرائيلى خاصة من حيث تقديم الدول العربية الغنية الدعم المالى لدول المواجهة (مصر وسوريا والأردن).

### قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢:

وسعى مجلس الأمن للتدخل وإيجاد حل للمشكلة، وبعد مداوولات طويلة أصدر قراره الشهير رقم ٢٤٢ فى نوفمبر سنة ١٩٦٧م الذى يقضى بانسحاب إسرائيل من أراض عربية حسب التفسير الإسرائيلى،



ومن الأراضي العربية حسب التفسير المصرى التى احتلت فى حرب ١٩٦٧م، وأن تنهى كل الدول حالة الحرب، وأن تحترم الاستقلال والسيادة الإقليمية والاستقلال السياسى لكل دولة فى المنطقة وحققها فى العيش بسلام فى نطاق حدود مأمونة ومعترف بها.

كما نص القرار أيضاً على ضمان حرية الملاحة فى الممرات الدولية وتسوية مشكلة اللاجئين. وإنشاء مناطق منزوعة السلاح وطلب القرار من السكرتير العام للأمم المتحدة تعيين ممثل خاص لإجراء الاتصالات مع الدول المعنية للوصول إلى تسوية سلمية.

ورغم موافقة مصر على قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ إلا أن إسرائيل عملت على فشل جميع الجهود الدولية لتحقيق الانسحاب من الأراضي المحتلة،

بل إنها تمادت فى إقامة المستوطنات اليهودية فى الأراضي العربية المحتلة وحاولت تهويد الضفة الغربية للأردن، وعلى هذا بدأت مصر حرب الاستنزاف للقوات الإسرائيلية إلى أن قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣م (العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ).

### تحركات مصر فى الفترة التى أعقبت حرب ١٩٦٧م :

تحركت مصر فى الفترة التى أعقبت هزيمة ١٩٦٧م فى اتجاهين متكاملين وهما :

- ١- تكثيف الجهود الدبلوماسية على الصعيد الدولى لإقناع دول العالم بحق العرب فى تحرير أراضيهم المغتصبة وحق الشعب الفلسطينى فى حل مشكلته وتقرير مصيره.
- ٢- إعداد الدولة للحرب، وقد تحقق ذلك بالأمور الآتية :
  - ( أ ) دعم القوات المسلحة بكل ما تحتاجه من أموال وأسلحة حديثة وقوى بشرية.
  - (ب) عمل الرئيس الراحل أنور السادات (الذى تولى الرئاسة بعد وفاة الرئيس جمال عبدالناصر فى سبتمبر سنة ١٩٧٠م) على توحيد الجبهة الداخلية وإقرار الدستور الدائم للدولة سنة ١٩٧١م.
  - (ج) كما عملت مصر على تنقية الجو العربى من عدم الثقة وتصفية الخلافات وتوحيد الصف تمهيداً لاستخدام جميع إمكانات العرب ومواردهم من أجل معركة المصير، كما عملت على تنسيق خطة عسكرية مشتركة بين مصر وسوريا.



(شكل رقم ٢٥)  
الرئيس محمد أنور السادات



(شكل رقم ٢٦)  
الفريق عبد المنعم رياض

## حرب أكتوبر ١٩٧٣م

مقدمة : منذ آلاف السنين ومن وقت أن قامت على ضفاف النيل أول دولة فى التاريخ ، وشبه جزيرة سيناء جزء من أرض مصر لم تنفصل عن وطنها الأم أبداً. وفى حرب يونيو سنة ١٩٦٧م وبسبب حدوث بعض الأخطاء العسكرية فى الداخل وتدبير بعض المؤامرات ضد مصر فى الخارج ، وقعت أرض سيناء الطاهرة تحت الاحتلال الإسرائيلى.

### حرب الاستنزاف

لم تؤد هزيمة حرب يونيو ١٩٦٧م إلى فقد مصر عزيمتها وتصميمها لاستعادة أرضها السليبة التى اغتصبها العدوان الإسرائيلى - ولذا وضعت القيادة السياسية - جملة من الأهداف لتجاوز النكسة تتمثل فى :-  
إعادة بناء القوات المسلحة، إعادة الثقة للجنود فى أنفسهم وفى قادتهم، إعادة الضبط والربط، إعادة تدريب القوات وتنظيم الوحدات، ثم بدأت مرحلة الصمود وحرب الاستنزاف، وهو التعبير الذى أطلقه الرئيس المصرى الراحل جمال عبدالناصر على العمليات العسكرية التى دارت بين القوات المصرية والاحتلال الإسرائيلى شرق قناة السويس والتى نقلت مصر خلالها المعركة إلى مواقع العدو والتى ألحقت أفدح الخسائر للتحصينات الإسرائيلية وبالأسلحة والأفراد - وقد استمرت تلك الحرب ثلاث سنوات.

### ومن أشهر شهداء حرب الاستنزاف الشهيد الفريق عبد المنعم رياض

ويؤكد الخبراء العسكريون أن حرب الاستنزاف هى التى مهدت الطريق لنصر أكتوبر، كما أمضت القيادة المصرية الفترة ما بين حرب يونيو ١٩٦٧م وحرب أكتوبر ١٩٧٣م والتى بلغت حوالى ٦ سنوات فى عمل متواصل وجهد مثمر فى إعادة بناء القوات المسلحة على أسس علمية، وبناء حائط الصواريخ.

### أسباب حرب أكتوبر ١٩٧٣م

عقب فشل كل الجهود السياسية للتواصل إلى حل سلمى عن طريق الأمم المتحدة، نظرا لتعنت إسرائيل وإصرارها على الاحتفاظ بجميع الأراضى العربية التى احتلتها فى يونيو ١٩٦٧م - قررت مصر الدخول فى حرب مقدسة لتحرير الأرض المغتصبة بعقول وأفكار وخبرات أبنائها وحدهم - وتم ذلك فى تنظيم محكم مع القوات السورية تحت إشراف القيادة الاتحادية والتى تولى



(شكل رقم ٢٧)  
الفريق أحمد إسماعيل

القيادة العامة لها المشير أحمد إسماعيل على، وزير الحربية وقائد القوات المسلحة إبان حرب أكتوبر ١٩٧٣ م ومدير المخابرات العامة ١٩٧١ م وقد حصل على وسام نجمة سيناء - أعلى الأوسمة العسكرية حيث تم التخطيط والتنسيق على الجبهتين المصرية والسورية بدقة ومهارة تامتين وبلغت خطة الخداع - لصرف أنظار إسرائيل عن التحضيرات الهجومية على الجبهتين من الخارج - إلى الحد الذي جعل إسرائيل تفاجيء بالهجوم المصري السوري مفاجأة تامة - مما جعل الكثيرين من الخبراء يطلقون على ما حدث بأنه زلزال في إسرائيل.

- وبتكليف من الرئيس الراحل أنور السادات، تولى الفريق سعد الدين الشاذلي رئاسة أركان حرب القوات المسلحة، بسبب حرفيته العالية وقد قام بوضع خطته التي أسماها (المأذن العالية) لعبور قناة السويس، وتحطيم خط بارليف، وقام بتنفيذها في حرب ١٩٧٣ م - ويوصف بأنه الرأس المدبر للهجوم المصري الناجح على خط الدفاع الإسرائيلي (خط بارليف) وقد تم تكريمه في الذكرى التاسعة والثلاثون لنصر أكتوبر (عام ٢٠١٢ م) بمنح اسمه قلادة النيل العظمي.



(شكل رقم ٢٨)  
الفريق سعد الدين الشاذلي

- كما شغل المشير محمد عبدالغنى الجمسى منصب رئيسا لهيئة عمليات القوات المسلحة في يناير ١٩٧٢ م وكان وقتها برتبة لواء، ثم رئيسا لأركان القوات المسلحة ١٩٧٣ م.

وقد قامت هيئة عمليات القوات المسلحة بإعداد دراسة عن أنسب التوقيعات للقيام بالعملية الهجومية حتى توضع أمام الرئيس المصري السادات والرئيس السوري حافظ الأسد لاختيار التوقيت المناسب للطرفين، وقد قامت على دراسة الموقف العسكري للعدو وللقوات المصرية والسورية وسميت تلك الدراسة (بكشكول الجمسى)

### مراحل عمليات حرب أكتوبر ١٩٧٣ م :

بدأت عمليات حرب أكتوبر في الساعة الثانية تماماً يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣ م في توقيت واحد على الجبهتين المصرية والسورية وتم التنفيذ على أربع مراحل رئيسية كما يلي:



(شكل رقم ٢٩)  
المشير محمد عبد الغنى الجمسى

## المرحلة الأولى: تحقيق المهمة الأساسية للقوات المسلحة

وتنقسم هذه المرحلة إلى خمس مراحل فرعية:

### ١- الضربة الجوية الشاملة:



(شكل رقم ٣٠)

الرئيس أنور السادات وسط قادة حرب أكتوبر ١٩٧٣م

في الساعة الثانية تماماً قامت ٢٢٠ طائرة مصرية من المقاتلات والمقاتلات القاذفة بعبور قناة السويس في اتجاه الشرق لضرب أهداف العدو في عمق سيناء التي شملت مركز قيادة العدو والمطارات والقواعد الجوية الرئيسية ومواقع الصواريخ المضادة للطائرات ومدفعية العدو بعيدة المدى وبعض مناطق الشئون الإدارية وحصن بودابست (من حصون خط بارليف) الذي يقع شرق مدينة بور فؤاد. وقد نجحت الضربة الجوية في تحقيق أهدافها بنسبة حوالى

٩٠% نتج عنها تدمير مركز القيادة الرئيسى لقوات العدو وشل إمكاناته.

### ٢- التمهيد النيرانى:

في الساعة الثانية وخمس دقائق بدأت ٢٠٠٠ قطعة مدفعية هاون ولواء صواريخ تكتيكية أرض أرض للتمهيد النيرانى الذى يعد واحداً من أكبر عمليات التمهيد النيرانى فى التاريخ على طول خط المواجهة مع العدو وحقت أكبر قدر من الخسائر فى الأهداف الإسرائيلية وإجبار قوات العدو على الاحتماء بالملاجئ مما سهل عملية عبور قوات الاقتحام المصرية للقناة وحصار حصون خط بارليف.

### ٣- اقتحام قناة السويس:

أ) مع بدء التمهيد النيرانى بدأت مجموعات اقتناص الدبابات عبور قناة السويس بواسطة قوارب مطاطية بمهمة تدمير دبابات العدو ومنعها من التدخل فى عمليات عبور القوات الرئيسية.

ب) فى الساعة الثانية وعشرين دقيقة بدأ عبور الموجات الأولى فى القوارب الخشبية والمطاطية وذلك فى الفواصل بين النقط الحصينة فى خط بارليف مدعمة بأسلحة خفيفة مضادة للدبابات وصواريخ

الكتف المضادة للطائرات كما زودت بسلالم من الجبال ليتسنى للأفراد تسلق الساتر الترابي.

(ج) فى الساعة الثانية وخمس وثلاثين دقيقة قامت طلائع القوات التى عبرت القناة برفع الأعلام المصرية على الشاطئ الشرقى للقناة وهم يهتفون بصوت كالرعد (الله أكبر) (الله أكبر) ودمعت العيون من الفرحة واشتد خفقان القلوب لمنظر أعلام مصر وهى تخفق على مواقع العدو معلنة بذلك بدء المعركة المقدسة معركة تحرير سيناء العزيزة.

(د) تقدمت وحدات المهندسين العسكريين فى قواربها الخشبية وسط ذلك الجحيم المستعر لعمل (٦٠) فتحة فى الساتر الترابي ثم بدأت تشغيل الطلمبات التى تقوم بجذب المياه من القناة فاندفعت كالسيل الجارف مكتسحة أمامها الرمال حتى تم فتح الثغرات، وفى الوقت نفسه أندفعت مئات من العربات الضخمة المحملة بمهمات الكبارى من أماكنها على الشاطئ الغربى وأسقطت حمولتها إلى الماء حيث بدأت وحدات الكبارى فى عمليات تركيبها وبدأت الكبارى تقام أمام الثغرات التى فتحت فى الساتر الرملى واندفعت إثر ذلك الدبابات والعربات المجنزرة والمعدات الثقيلة حيث عبرت على الكبارى إلى الشاطئ الشرقى للقناة.

(هـ) عندما بدأت قوات العدو تفيق من الصدمة ظهرت طائراته فى سماء المعركة لتحاول بشتى الوسائل منع قواتنا من العبور وتركزت هجماتها على الكبارى والمعديات على إمتداد القناة وسرعان ما تصدت لها قوات الدفاع الجوى وبدأت طائرات العدو تتهاوى واحدة وراء الأخرى طوال يومى السادس والسابع من أكتوبر إلى الأحد الذى جعل قائد الطيران الإسرائيلى يصدر أوامره مساء يوم ٦ أكتوبر بعدم اقتراب الطائرات الإسرائيلية من القناة لمسافة أقل من ١٥ كم لتجنب الوقوع فى كمائن الصواريخ المصرية. وهكذا وبحلول الساعة الثامنة من صباح يوم الأحد ٧ من أكتوبر أى فى خلال فترة زمنية لا تزيد عن ١٨ ساعة كانت القوات المصرية قد حققت انتصاراً حاسماً فى معركة التحرير فقد تمكنت من عبور أصعب مانع مائى فى العالم ومن اقتحام حصون خط بارليف المنيع ونجحت قواتها فى تثبيت أقدامها على الضفة الشرقية للقناة وتم تدمير القوات الإسرائيلية التى كانت مجهزة لصد الهجوم المصرى وفى الوقت الذى تقدمت فيه قواتنا شرقاً إلى مسافة ٣-٤ كم من القناة نجحت طائرات الهليكوبتر المصرية فى إنزال مجموعات من رجال الصاعقة فى عمق سيناء لهاجمة قوات العدو فى العمق وتعطيل تدخل الاحتياطيات الإسرائيلية المدرعة فى المعركة.

#### ٤- صد الهجمات الإسرائيلية المضادة:

اعتباراً من صباح يوم ٧ أكتوبر بدأت إسرائيل تفيق من صدمة المفاجأة التى حاقت بها لذا أصدر القائد الإسرائيلى الذى يواجه الجبهة المصرية أمره بأن تتحرك الدبابات وقوات الاحتياطى



إلى الجبهة ؛ حتى امتلأت الطرق فى شمال سيناء بآلاف المركبات والدبابات وشتت القوات الجوية الإسرائيلية هجمات مكثفة على قواعد الصواريخ المصرية ومواقع الدفاع الجوى ومناطق إنشاء الكبارى والمعابر على قناة السويس ولكنها تكبدت خسائر فادحة فى الطائرات، وعشرات من الجنود الإسرائيليين فى الأسر، كما بدأت هجوماً مضاداً صباح الاثنين ٨ أكتوبر على منطقة رؤوس الكبارى المصرية شرق القناة شمال الإسماعيلية، ولكن القوات المصرية قامت بعمل جيب من النيران اندفعت إليه قوات العدو فى هجومها الكاسح وما هى إلا ساعات قلائل حتى تم صد الهجوم الإسرائيلى وتكبيده خسائر فادحة بلغت مئات من الدبابات والقتلى والمصابين والأسرى الذين كان على رأسهم العقيد (عساف ياجوري) قائد إحدى كتائب الدبابات .

### ٥- استكمال تحقيق المهمة الأساسية للقوات المسلحة؛

فى الوقت الذى لحق فيه الفشل بالخطط الإسرائيلية وتوالى فيه الضربات الموجعة على قواتها المدرعة فى سيناء كان يوم الاثنين ٨ أكتوبر يوماً ناجحاً بالنسبة للقوات المصرية على جميع المستويات فعلى إثر صد الهجمات الإسرائيلية المضادة على رؤوس كبارى الفرق المصرية صدرت أوامر القيادة المصرية للقوات المسلحة بتطوير الهجوم شرقاً بالتنسيق مع بعضها البعض للاستيلاء على الخط العام بعمق ٨-١٠ كم شرق القناة المحدد لها كمهمة تالية وفقاً للخطة الموضوعة مع تدمير وتصفية جميع النقاط القوية للعدو فى قطاع هذه الفرق.

وقد تمكنت القوات فى هذا اليوم من استكمال تحرير مدينة القنطرة شرق ورفع الأعلام المصرية على أبنيتها بعد تطهيرها من قوات العدو واضطرت (جولدا مائير) رئيسة وزراء إسرائيل إلى طلب النجدة من الولايات المتحدة كي تتدخل لإنقاذ إسرائيل مما دعا الولايات المتحدة إلى إنشاء الجسر الجوى الأمريكى الذى يعد أكبر جسر جوى عرفه التاريخ وحاولت إسرائيل خلال الفترة التى أعقبت فشل الهجوم المضاد يوم ٨ أكتوبر عدة مرات اختراق الدفاعات المصرية ولكن جميع محاولاتها باءت بالفشل كما فقدت إسرائيل جميع حصون خط بارليف فيما عدا حصن (بودابست) الواقع شرق مدينة بور فؤاد كما سقطت فى أيدي القوات المصرية العديد من المواقع الحصينة فى عمق سيناء.

وقد نجحت القوات المصرية خلال تلك المعارك فى الوصول إلى عمق ١٢-١٥ كم شرق القناة وتوحيد رأس كوبرى كل من الجيشين الثانى والثالث وبذلك تحققت المهمة الأساسية للقوات المسلحة المصرية وشهدت تلك الفترة نشاط جوى إسرائيلى مكثف ضد القوات المصرية على امتداد الجبهة مع التركيز على مدينة بورسعيد ولكن وسائل الدفاع الجوى والقوات الجوية المصرية تصدت بنجاح لهجمات الطيران الإسرائيلى.



## المرحلة الثانية: تطوير الهجوم شرقاً يوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ م :

كانت سوريا قد حققت نجاحاً كبيراً هي الأخرى ضد إسرائيل وأوشكت على الوصول إلى تحرير معظم هضبة الجولان المحتلة، ولذا فقد ركزت إسرائيل جهودها ضد سوريا وقامت بقصف جوى مركز ضد القوات السورية وفي العاصمة دمشق... ولما بدأ الموقف في هضبة الجولان يندثر بالخطر سارعت مصر بتطوير الهجوم في سيناء حتى تجذب القوات الإسرائيلية في اتجاه مصر تخفيفاً للضغط على سوريا... ولقد بدأ الهجوم المصرى صباح يوم ١٤ أكتوبر وذلك بتوجيه هجمة جوية ضد أهداف العدو في عمق سيناء أعقبها قصف مركز بالمدفعية ضد المواقع الإسرائيلية في الجبهة وفي نفس هذا اليوم دارت أشرس المعارك الجوية بين طائرات العدو وقواتنا الجوية فوق سماء الدلتا حيث دفع العدو ٧٠- ٨٠ طائرة لتهاجم المطارات المصرية فتصدت لها الطائرات المصرية واشتبكت معها في قتال شرس أسفر عن سقوط خمس عشرة طائرة إسرائيلية من طراز فانتوم مقابل تسع طائرات ميج مصرية... ويعد هذا اليوم من أمجد أيام تاريخ قواتنا الجوية.

## المرحلة الثالثة: صد الهجوم الإسرائيلي المضاد شرق القناة (١٥-١٧ أكتوبر):

حشدت إسرائيل في اتجاه الجبهة المصرية قوات مدرعة ضخمة تدعمها قوات المشاة والقوات الجوية والمدفعية ومختلف الأسلحة... وهاجمت اعتباراً من صباح يوم ١٥ أكتوبر منتصف الجبهة واستطاعت قواتنا أن تحبط الهجوم وتحدث في صفوف القوات الإسرائيلية خسائر فادحة... واستمر العدو في دفع قواته على موجات متتالية في ذلك القطاع حتى تمكن من إحداث ثغرة في الدفاعات المصرية عند منطقة الدفرسوار جنوب الإسماعيلية ثم قام بدفع قوة صغيرة من قواته غرب القناة مستغلاً خلو المنطقة من القوات بعد أن تحركت الوحدات المصرية التي كانت تحتل المنطقة إلى الشرق لتشارك في عملية التطوير.

## المرحلة الرابعة: التصدي لقوات العدو غرب القناة (١٨-٢٤ أكتوبر):

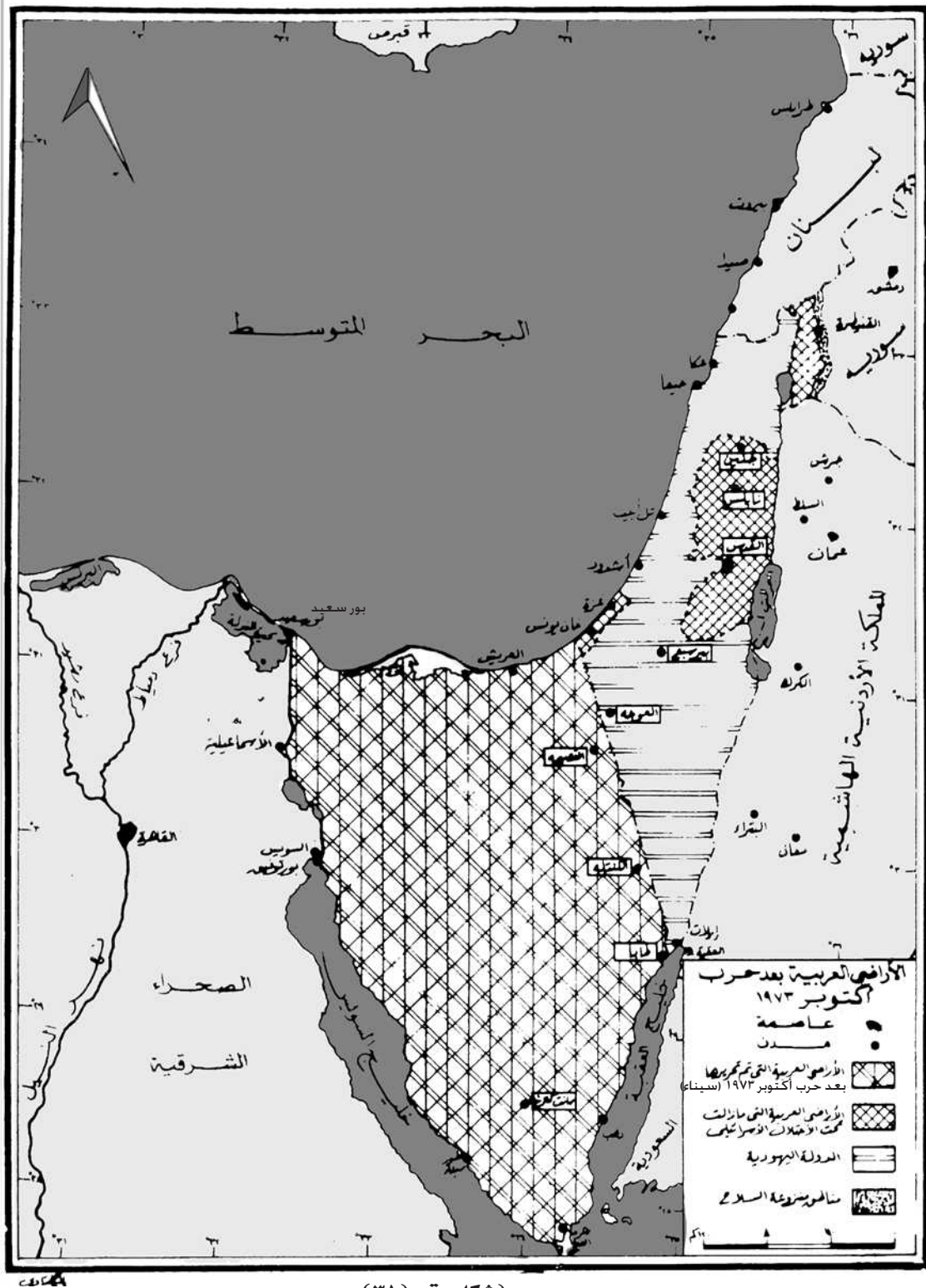
بعد أن فشلت جميع محاولات إسرائيل لإخترق رؤوس الكبارى التي أنشأتها القوات المصرية على امتداد الجبهة ولمسافة تصل إلى ١٥ كم شرق القناة أخذت تركز جهودها لإحداث اختراق في دفاعات القوات المصرية تقوم من خلاله بدفع قواتها إلى غرب القناة وقد تمكنت من إحداث هذا الاختراق بالفعل، ثم قامت بدفع قوات كبيرة من تلك الثغرة إلى غرب القناة وأخذت تهاجم مواقع الدفاع الجوى حتى تتيح الفرصة لقواتها الجوية لتعمل بحرية تامة دون تدخل من دفاعنا الجوي، وحاولت القوات الإسرائيلية أن تستولى على هدف إستراتيجى غرب القناة في أسرع وقت لتيقن أنها أن مجلس الأمن على وشك إصدار قرار بوقف إطلاق النار... وتقدمت قواتها شمالاً في محاولة للاستيلاء على مدينة

الإسماعيلية ولكنها تكبدت خسائر جسيمة واضطرت لوقف الهجوم والتحول بجهودها الرئيسية نحو الجنوب... وفى ٢٢ أكتوبر أصدر مجلس الأمن قراراً بوقف إطلاق النار وأعلنت كل من مصر وإسرائيل قبول القرار ليسرى اعتباراً من الساعة السادسة والدقيقة الثانية والخمسين مساءً ذلك اليوم... واحترمت مصر القرار... ولكن إسرائيل سرعان ما أدركت ورطتها فى دفع قوات كبيرة غرب القناة دون أن تستولى على هدف رئيسى بل إنها أصبحت محاصرة بالقوات المصرية من جميع الجهات وأصبحت مهددة تهديداً خطيراً... وسارعت بحرق وقف إطلاق النار وقامت بمحاولة أخيرة لحفظ ماء الوجه فدفعت بقواتها جنوباً فى محاولة للاستيلاء على مدينة السويس يوم ٢٤ أكتوبر ولكن المقاومة الباسلة للقوات المصرية والمقاومة الشعبية داخل السويس أفشلت الهجوم... وعاود العدو المحاولة مرة أخرى وتمكن من الوصول إلى بعض المناطق فى قلب المدينة ولكن سرعان ما تصدت لها القوات المدافعة ودمرت الدبابات والعربات المدرعة مما أجبر العدو إلى الانسحاب ونشر قواته حول السويس تاركاً بداخلها دبابات كثيرة محترقة وجثث مبعثرة، ورغم صدور قرارين من مجلس الأمن يومى ٢٣، ٢٥ أكتوبر تطالب كل من مصر وإسرائيل باحترام وقف إطلاق النار وتظاهرت إسرائيل بقبولهما إلا أنها ظلت كعادتها تمارس انتهاكاتهما الصارخة للقرارات الدولية فحاولت مهاجمة السويس مرة أخرى يوم ٢٨ أكتوبر ولكن الهجوم تحطم على صخرة الدفاع للقوات المصرية حتى تيقنت إسرائيل من استحالة تحقيق أهدافها وتوقفت عن الهجوم.

وهكذا توقف القتال الدامى الذى استمر ٢٣ يوماً استطاعت فيه القوات المصرية أن تقتحم قناة السويس وتصنع معجزة عسكرية بكل المقاييس... ونجحت فى تدمير خط بارليف وتدمير المئات من الدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية والاستيلاء على الضفة الشرقية للقناة بعمق ١٥ كم وقوة ٥ فرق مشاة كاملة تدعمها فرقتان مدرعتان وآلاف من المدافع والصواريخ وتحميها شبكة متكاملة للدفاع الجوى... بينما كانت القوات الإسرائيلية تعاني موقفاً هشاً لتواجد قوات كبيرة من جيشها على شريحة ضيقة من الأرض غرب القناة تحيط بها قوات ضخمة من الجيش المصرى على استعداد لتدميرها والقضاء عليها لولا صدور قرار وقف إطلاق النار وتدخل الأمم المتحدة والمجتمع الدولى لتبدأ معركة السلام منذ ذلك الحين شكل (٣١).

### الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ونتائجها :

١ - لقد كانت حرب أكتوبر حدثاً فريداً بلا شك بل نقطة تحول فى مسار الصراع الإسرائيلى العربى، قد تعرضت إسرائيل كدولة لمفاجأة استراتيجية كاملة افقدت الإسرائيليين ثقتهم فى جيشهم وفى جهاز مخابراتهم، الذى كان يدعى أنه أقدر جهاز مخابرات فى العالم خبرة بشئون الشرق الأوسط



(شكل رقم ٣١)  
يوضح الأراضي العربية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م

كما تعرضت القوات الإسرائيلية على جبهتي سيناء والجولان لمفاجأة تكتيكية أفقدت أفرادها توازنهم وأجبرتهم على الانسحاب من مواقعهم الأمامية، وكان الأمر الذي أدهش العالم هو نجاح مصر وسوريا في تحقيق المفاجأة على المستويين الاستراتيجي والتكتيكي، رغم التطور الهائل في وسائل الاستطلاع الحديثة وقدرتهما على خداع جهازى المخابرات الإسرائيلية والمخابرات الأمريكية في وقت واحد.

٢- تمكنت القوات المصرية من تقويض أسس العقيدة القتالية للقوات الإسرائيلية خلال حرب أكتوبر، ففقدت بالتالى مميزاتها الرئيسة وأهمها خفة الحركة والقدرة على المناورة وتحقيق السيادة الجوية على ميدان المعركة.

٣- ثبت أن الموانع الدفاعية الطبيعية والصناعية والدفاعات الحصينة لا يمكنها أن تقف حائلاً أمام الجيوش الحديثة بما لديها من تجهيزات وأسلحة ومعدات وبخاصة إذا كان لديها العزيمة والإرادة والتصميم على القتال.

٤- لا شك في أن حرب أكتوبر قد قلبت موازين القوة في الشرق الأوسط رأساً على عقب، فقد كانت إسرائيل تركز بعد حرب يونيو ١٩٦٧م على نغمة التفوق النوعى للفرد الإسرائيلى ومقدرته على استخدام التكنولوجيا الحديثة مما يقلل إلى حد كبير من ميزة التفوق العددي العربى.

٥- جاءت حرب أكتوبر فكان من أبرز سماتها ظهور كفاءة المقاتل العربى ومدى ارتفاع مستوى نوعيته وقدرته على استيعاب واستخدام الأسلحة الحديثة والمعقدة بما فيها الأسلحة الالكترونية، لقد أثبت كل من المخطط والقائد والمقاتل العربى كفاءته وقدراته الحقيقية فى ميدان القتال ولذا فإنه بإضافة النوعية العربية المتفوقة على الكم العددي فسوف تكون للعرب الكفة الراجحة فى أى صراع مقبل فى الشرق الأوسط.

٦- أثبت الدفاع الجوى المصرى فعاليته فى الحد من التفوق الجوى الإسرائيلى على أرض المعركة، وبفضل شبكة الدفاع الجوى المشكلة أساساً من الصواريخ أرض جو سام، عجزت الطائرات الإسرائيلية عن تدمير الكبارى التى أقامتها القوات المصرية على قناة السويس وبذا تم تأمين تدفق القوات والإمدادات طوال مراحل الحرب إلى الضفة الشرقية، ولقد أجبرت النتائج التى أحرزتها قوات الدفاع الجوى المصرية الدوائر العسكرية الغربية على إعادة النظر فى أنظمة دفاعها الجوى فيما يختص بالتوازن بين الطائرات المقاتلة والصواريخ المضادة للطائرات، فقد أثبتت أهمية الصواريخ المضادة للطائرات.

٧- إن تحقيق مبدأ الحشد الذى هو من أهم مبادئ الحرب قد أدى إلى نجاح الضربة الجوية المركزة

التي أفقدت العدو توازنه منذ اللحظات الأولى من القتال كما أن نجاح هذه الضربة في شل مراكز الإعاقة والسيطرة الجوية للعدو أتاح الفرصة للطائرات المصرية بمختلف أنواعها وواجباتها، كي تعمل بحرية وخاصة في المرحلة الأولى من الحرب.

وقد حقق التعاون الفعال مع وسائل الدفاع الجوي تأمين وحماية القوات والأهداف الحيوية للدولة. وكانت ثقة الطيارين بأنفسهم وروحهم المعنوية العالية، سبباً في جعلهم يتفوقون على المعدلات القياسية العالمية، وأخيراً ثبت أنه يلزم الدول النامية التي لا تمتلك قاعدة صناعية حربية أن يكون لديها مخزون كاف من السلاح لمواصلة المعركة حتى لا تستطيع الدول الكبرى التحكم في قرار مواصلة القتال.

٨- وعن النتائج الاستراتيجية للحرب، يمكن التأكيد بأن من أهم النتائج هو تحقيق الهدف الرئيسي الذي كان ينشده الرئيس الراحل / أنور السادات، وهو إنهاء حالة اللا سلم واللا حرب الذي كان استمرارها لا يعنى سوى انهيار مصر وتعرضها لدمار محقق فقد أرغمت القوتان العظميان على التدخل المباشر لمحاولة إيجاد حل للنزاع العربى الإسرائيلى وعلى ممارسة تأثيرهما القوى لإنهاء حالة الركود الذى ساد الموقف السياسى منذ انتهاء حرب يونيو ١٩٦٧م، وذلك بهدف التوصل إلى إقرار السلام فى الشرق الأوسط.

٩- كما أظهرت الحرب بجلاء مدى أهمية التضامن العربى فى مواجهة الخطر الإسرائيلى، فقد اتخذت الدول العربية جميعاً خطوات عملية لتدعيم مصر وسوريا، فقامت تسع دول منها بتقديم الدعم العسكرى لهما بنسب متفاوتة وهى العراق والجزائر وليبيا والأردن والمغرب والسعودية والسودان والكويت وتونس كما قررت دول الخليج والمملكة العربية السعودية تقديم الدعم المالى لهما، فقدمت السعودية مائتى مليون دولار لسوريا وقدمت الإمارات مائة مليون دولار لمصر وخمسين مليون دولار لسوريا، وأسهمت قطر بخمسة عشر مليون دولار لمصر وبمعونات عينية من الأدوية والقمح ووضع الرئيس الجزائرى «بومدين» خلال زيارته للاتحاد السوفيتى مائتى مليون دولار تحت تصرف كل من مصر وسوريا لدى الحكومة السوفيتية لتدبير ما قد تحتاجه الدولتان من تسليح.

١٠- وعلى الجبهة الاقتصادية اتخذت الدول العربية المنتجة للبترول قرار بتخفيض إنتاجها من البترول ثم أعلنت تطبيق الحظر الكامل على صادراتها إلى الولايات المتحدة، وبذلك تأكد دور البترول كسلاح فعال لتحقيق الأهداف السياسية العربية فقد ارتبط أمام العالم بإعادة إسرائيل إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧م، وقد أثر الحظر البترولى تأثيراً فعالاً على دول أوروبا الغربية واليابان، مما جعلها تضغط بقوة على الولايات المتحدة للاستجابة إلى الحق العربى وعلى المستوى



السياسى اتسع نطاق المعركة إلى آفاق بعيدة غير متوقعة، فقد أصيب حلف الأطلنطى بشرخ كبير نظراً لغضب الأعضاء من موقف الولايات المتحدة المتسلط تجاهها وكانت صدمة كبيرة لهذه الدول عندما طلبت منها الولايات المتحدة أن تقدم إلى طائراتها تسهيلات الهبوط والتزود بالوقود فى مطاراتها وقواعدها الجوية وتمكينها من إقامة الجسر الجوى الطويل لنقل الإمدادات والأسلحة والذخائر من القواعد الجوية الأمريكية إلى إسرائيل، وقد اعتذرت بعض هذه الدول من عدم إمكاناتها تقديم هذه التسهيلات، ورفضت بعض الدول الأخرى رفضاً باتاً صريحاً حرصاً على عدم إثارة العرب ضدها، وخشية رفض إمدادها بالبترول من جهة ولإيمان معظمها بعدالة قضية العرب من جهة أخرى، ولم تتمكن الطائرات الأمريكية إلا من استخدام مطار واحد فقط فى جزر الأزور فى المحيط الأطلنطى التابعة للبرتغال، وفى المقابل غضبت الإدارة الأمريكية من موقف حلفائها الأوروبيين، وأعتبرت موقفهم المعارض من هبوط طائرات الجسر الجوى الأمريكى فى مطاراتهم بمثابة جحود ونكران للجميل باعتبار أن مظلتها النووية فى أوروبا الغربية وقتئذ هى التى تحمى هذه الدول من الخطر النووى السوفيتي، وعلى المستوى الأفريقى قامت اثنتان وعشرون دولة بقطع علاقاتها الدبلوماسية بإسرائيل، فضلاً عن ثمانى دول أخرى كان قد سبق لها قطع علاقاتها معها فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧م وكانت هذه الخطوة بمثابة نجاح كبير للسياسة المصرية إزاء القارة الأفريقية، وكانت تمثل فى الواقع إضافة جديدة لتحقيق عزلة إسرائيل سياسياً ودعماً ولا شك فيه للسياسة العربية.

### تغيير السياسة المصرية والاتجاه إلى الحل السلمى :

بدأ تفكير الرئيس محمد أنور السادات فى اتخاذ مبادرة حضارية من أجل حل النزاع العربى الإسرائيلى حلاً جذرياً بغية السلام الدائم العادل فخطا الخطوات التالية.

( أ ) مبادرته بالذهاب إلى إسرائيل فى ١٩ نوفمبر سنة ١٩٧٧م حيث دعا إلى إقامة السلام الدائم والعادل فى منطقة الشرق الأوسط، وتجنيد الأجيال القادمة ويلات الحروب.

( ب ) الاعتراف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى.

### مؤتمر القمة فى كامب ديفيد من ٥-١٧ سبتمبر ١٩٧٨م :

دعا الرئيس جيمى كارتر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية كلا من الرئيس أنور السادات ومناحم بيجين رئيس وزراء إسرائيل إلى عقد اجتماع فى كامب ديفيد بالولايات المتحدة انتهى بوضع إطار للسلام يقوم على الأسس التالية :

١ - الانسحاب الكامل من سيناء.



## ٢- تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل.

٣- تحقيق الحقوق الشرعية للفلسطينيين عن طريق اشتراك الأردن وممثلي الفلسطينيين في تحديد مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، على أن يسبق ذلك إنهاء الحكم العسكري الإسرائيلي وإقامة الحكم الذاتي الكامل.

## معاهدة السلام في ٢٦ مارس ١٩٧٩م بين مصر وإسرائيل بمشاركة من الولايات المتحدة الأمريكية وأهم نصوصها :

- ١- إنهاء حالة الحرب والامتناع عن التهديد بالحرب وحل المشكلة بالوسائل السلمية.
- ٢- الانسحاب الإسرائيلي التام من شبه جزيرة سيناء.
- ٣- الاعتراف بسيادة كل طرف من أطراف النزاع على أرضه.
- ٤- إقامة علاقات طبيعية سياسية واقتصادية وثقافية بين البلدين.
- ٥- إقامة مناطق محدودة السلاح على جانبي الحدود بعمق أكثر في سيناء.
- ٦- بدء مفاوضات الحكم الذاتي للضفة الغربية وقطاع غزة بعد شهر من التصديق على معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية.
- ٧- الأساس الذي قامت عليه كل من اتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٨م ومعاهدة السلام ١٩٧٩م هو القرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن ١٩٦٧م والذي يدعو إلى إنهاء حالة الحرب بين العرب وإسرائيل واحترام سيادة كل دول المنطقة وانسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧م. وقد حرص الجانبان على تنفيذ نصوص المعاهدة، فتم الجلاء الكامل عن شبه جزيرة سيناء في ٢٥ إبريل ١٩٨٢م، كما انتهى الخلاف على بعض علامات الحدود بين مصر وإسرائيل بحكم هيئة التحكيم الدولية ١٩٨٩م بأحقية مصر في شريط طابا وغيره من نقاط الحدود، وبذلك عادت مصر إلى حدودها السابقة.

أما فيما يتعلق بتحقيق الحقوق الشرعية للفلسطينيين طبقاً لما دار في مؤتمر القمة في كامب ديفيد (١٩٧٨م) عن طريق اشتراك الأردن وممثلي الفلسطينيين في تحديد مستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد بدأ الحوار بين العرب وإسرائيل للوصول إلى صيغة مناسبة لهذه الحقوق، ولم يكن الأمر يسيراً بل كان غاية في الصعوبة حيث وقف كل من الجانبين العربي والإسرائيلي متمسكا بحقوقه ومبادئه.

وانتهى الأمر إلى حدوث ترتيبات بين الفلسطينيين وإسرائيل في مدينة أوسلو بالنرويج كما حدث حوار بين عدة أطراف عربية مع إسرائيل في مدريد بأسبانيا. وكانت الحكومة المصرية ترعى هذه

المباحثات مع الولايات المتحدة الأمريكية.

وأخيراً أعلن عن قيام سلطة وطنية فلسطينية فى قطاع غزة وأريحا لى تعبر عن أمانى الشعب الفلسطينى فى الوطن الفلسطينى والحكومة الفلسطينية وما يزال الطريق طويلاً للتوصل إلى اتفاقات سلام دائم ونهائى فى الشرق الأوسط.

## أسئلة الفصل السابع

(١) «كانت القومية العربية وما تزال أخطر القوى التي كانت تخشاها الدول الاستعمارية، ولذلك كانت سياستها موجهة من أول الأمر إلى تصفية هذه القومية».

على ضوء هذه العبارة : تحدث عن معوقات القومية العربية منذ الحرب العالمية الأولى وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

(٢) (إن كثيرين من مفكرى العرب يرجون للشعوب العربية درجة من الوحدة أكبر مما يوجد بها الآن... ويبدو أنه من الطبيعي ومن الحق وجوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية بل والروابط السياسية أيضًا، وحكومة صاحب الجلالة من ناحيتها ستؤيد كل التأييد أية خطة تلقى من العرب موافقة عامة) فى ضوء هذه العبارة أجب :

( أ ) الدولة التي أصدرت هذا الإعلان؟ وعلى لسان من؟

(ب) متى صدر هذا الإعلان؟

(ج) الأهداف التي دعت هذه الدولة إلى إصدار هذا الإعلان؟

(د) موقف العرب من هذا الإعلان؟ وكيف واجهوه؟

(٤) ما رأيك فى هذا القول؟ ثم دلل على صحة ما تقول :

( أ ) جاء ميثاق جامعة الدول العربية ضعيف.

(ب) الجامعة العربية عبارة عن اتحاد حكومات لا اتحاد شعوب.

(ج) أسهمت جامعة الدول العربية بنصيب مشكور فى حل بعض القضايا العربية.

(٥) «كان لمصر دور ريادى ورئيسى فى حصول كثير من الأقطار العربية على استقلالها» برهن تاريخياً على صحة هذه العبارة.

(٦) عزيزى اللورد روتشيلد : أعبر لكم عن بالغ سرورى إذ أنقل إليكم باسم حكومة صاحب الجلالة التصريح التالي: بالعطف على الأمانى اليهودية الصهيونية وهو التصريح الذى عرض على مجلس الوزراء ونال موافقته. إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين وستبذل أقصى مساعيها لتيسير تحقيق هذا الهدف.... المخلص...

على ضوء ما سبق. أجب عن الأسئلة الآتية :

( أ ) من الذى أصدر هذا التصريح؟ ومتى صدر؟

(ب) ما الظروف الدولية التى دفعت بريطانيا لإصدار هذا التصريح؟

(ج) ما دور بريطانيا فى تسهيل تنفيذ هذا التصريح؟

( د ) اكتب رسالة من خمسة أسطر إلى كاتب هذه الرسالة توضح فيها رأيك فى هذا

التصريح؟

(٧) (يعتبر تصريح بلفور من الأمور الرئيسية التى أدت إلى قيام إسرائيل عام ١٩٤٨م) على ضوء ما سبق :-

حلل ذلك التصريح وكيف صدر، مدعماً قولك بالأدلة التاريخية؟

(٨) (منذ صدور تصريح بلفور عام ١٩١٧م وبريطانيا مستمرة فى طريقها نحو تهويد فلسطين رغم المقاومة العربية).

ما دور بريطانيا فى تحقيق ذلك حتى قيام دولة إسرائيل ١٩٤٨م؟

(٩) (كان للولايات المتحدة الأمريكية موقف من تصريح بلفور والقضية الفلسطينية).

وضح هذا الموقف حتى قيام دولة إسرائيل.

(١٠) (تتبع موقف انجلترا ودورها فى إنشاء دولة إسرائيل منذ صدور تصريح بلفور ١٩١٧م وحتى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م؟

(١١) ”أدركت المنظمات الصهيونية أن دور انجلترا فى التمهيد لقيام دولة يهودية قد انتهى وأن الدور القيادى أصبح للولايات المتحدة الأمريكية“.

على ضوء هذه العبارة: تتبع موقف الولايات المتحدة الأمريكية من قيام دولة يهودية منذ

قيام الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م وحتى قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م

(١٢) (قامت حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨م وانتهت بهزيمة الجيوش العربية وقيام دولة إسرائيل).

استعرض أحوال العرب إبان الحرب وأحوال اليهود، وبين أسباب انتصار اليهود وهزيمة

القوات العربية؟

(١٣) ما موقف البلاد العربية من إعلان قيام دولة إسرائيل؟ وما النتائج التي ترقبت على الحروب التي خاضوها ضد إسرائيل حتى عام ١٩٧٣م؟

(١٤) (التقت مقاصد الاستعمار الغربى مع مقاصد إسرائيل بمناسبة تأميم حكومة الثورة لشركة قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦م). على ضوء هذه العبارة وضح:

( أ ) ما الدول التي التقت مصالحها مع مصالح إسرائيل واشتركت فى عدوان ١٩٥٦م على مصر؟ ولماذا

(ب) ما خطة عدوان ١٩٥٦م العسكرية فى الهجوم على مصر؟ وكيف ضيقت القيادة المصرية الفرصة عليهم

(ج) ما موقف هيئة الأمم المتحدة من هذا العدوان

( د ) ما أسباب فشل هذا العدوان على مصر عام ١٩٥٦

(١٥) ”التقت أغراض الصهيونية مع مقاصد الاستعمار وانتهزت إسرائيل الفرصة وعملت على استدراج الدول العربية إلى حرب غير مستعدة لها فى يونيو ١٩٦٧م“.

على ضوء هذه العبارة وضح:

( أ ) أهداف إسرائيل من عدوان ١٩٦٧م على البلاد العربية؟

(ب) أهداف الولايات المتحدة من مساندة إسرائيل ضد العرب فى هذه الحرب؟

(ج) الخطة التي دبرتها إسرائيل لضرب مصر وسوريا؟

( د ) ما الدور الذى قامت به الولايات المتحدة فى مساندة إسرائيل فى هذه الحرب؟

(١٦) «أصدرت هيئة الأمم المتحدة القرار رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧م لحل مشكلة الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية فى حرب ١٩٦٧م».

على ضوء هذه العبارة وضح ما يأتى:

( أ ) موقف العرب وموقف إسرائيل من هذا القرار

(ب) أهم نصوص القرار ٢٤٢ لعام ١٩٦٧م

(ج) موقف العرب من إسرائيل بعد رفضها هذا القرار

(١٧) «لم تقف مصر مكتوفة الأيدى بعد هزيمة ١٩٦٧م ورفض إسرائيل للقرار ٢٤٢ بل تحركت فى أكثر من اتجاه».

على ضوء هذه العبارة :

( أ ) ما الاتجاهات التي تحركت فيها مصر عقب هزيمة ١٩٦٧م ؟

( ب ) لماذا اتخذت مصر قرار الحرب في أكتوبر ١٩٧٣م ؟

( ج ) ما نتائج حرب أكتوبر ١٩٧٣م ( العاشر من رمضان ) ؟

( ١٨ ) ( بذلت مصر جهوداً من أجل إنهاء النزاع العربى الإسرائيلى وبناء السلام ) .

على ضوء هذه العبارة :

( أ ) ما الخطوات التي خطتها مصر لتحقيق السلام ؟

( ب ) ما أهم قرارات مؤتمر كامب ديفيد ١٩٧٨م ؟

( ج ) استعرض أهم نصوص معاهدة السلام ١٩٧٩م بين مصر وإسرائيل ؟

( د ) ما موقف الدول العربية من معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل ؟

( ١٩ ) قارن بين ما توصلت إليه مصر فى كامب ديفيد ١٩٧٨م وبين ما يجرى الآن بين العرب

وإسرائيل منذ اجتماع مدريد ١٩٩١م حتى الآن من مفاوضات .

( ٢٠ ) ما الدروس المستفادة من حرب أكتوبر ١٩٧٣م ؟



## أولا : كتب يمكن الرجوع إليها فى مادة الحضارة الإسلامية

- ١- أحمد أمين
- ٢- أحمد الشطى
- ٣- أحمد شلبى
- ٤- آدم متز
- ٥- أنور الرفاعى
- ٦- جورجى زيدان
- ٧- جوستاف لويون
- ٨- حسن إبراهيم حسن
- ٩- سهير القلماوى
- ١٠- صبحى الصالح
- ١١- عباس العقاد
- ١٢- عبد المنعم ماجد
- ١٣- عفت الشرقاوى
- ١٤- عطية القوصى
- ١٥- عمر فروخ
- ١٦- قدرى طوقان
- ١٧- محمد كرد على
- ١٨- مصطفى الشكعة
- ١٩- ناجى معروف
- ٢٠- محمد ضياء الدين الرئيس
- فجر الإسلام، ضحى الإسلام.
- مجموعة أبحاث فى الحضارة الإسلامية.
- التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية.
- الحضارة الإسلامية، ترجمة محمد عبد الهادى أبو زيدة.
- الإسلام فى حضارته ونظمه.
- تاريخ التمدن الإسلامى.
- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر.
- النظم الإسلامية.
- أثر العرب والإسلام فى النهضة الأوروبية.
- النظم الإسلامية، نشأتها وتطورها.
- أثر العرب على الحضارة الأوروبية.
- تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى.
- فى فلسفة الحضارة الإسلامية.
- الحضارة الإسلامية.
- تاريخ العلوم عند العرب.
- تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك.
- الإسلام والحضارة العربية.
- معالم الحضارة الإسلامية.
- المدخل فى تاريخ الحضارة العربية.
- الخراج والنظم المالية للدولة الإسلامية

## ثانيا : كتب يمكن الرجوع إليها في تاريخ مصر والعرب الحديث

- ١- د. أبو الفتوح رضوان
- ٢- د. أحمد عزت عبدالكريم وآخرون
- ٣- د. أحمد الحنة.
- ٤- د. أحمد الحنة.
- ٥- ألبرت فارمان.
- ٦- د. أمين مصطفى عفيفي
- ٧- أحمد عرابي
- ٨- أحمد عزت عبدالكريم
- ٩- أحمد عزت عبدالكريم
- ١٠- أحمد بهاء الدين
- ١- د. أحمد عبدالرحيم مصطفى
- ١٢- أحمد طريين
- جابريل باير (ترجمة عطيات محمود جاد)
- ١٤- د. جمال سعيد
- جون مارلو (ترجمة د. عبدالعظيم رمضان)
- ١٦- جامعة الدول العربية
- ١٧- د. جاد محمد طه
- ١٨- د. راشد البراوي وآخر
- ١٩- رفاعة الطهطاوي
- دافيد لانز (ترجمة د. عبدالعظيم أنيس)
- ٢١- عاصم أحمد الدسوقي
- ٢٢- عاصم أحمد الدسوقي
- ٢٣- عبدالرحمن الرافعي
- ٢٤- عبدالرحمن الرافعي
- ٢٥- عبدالرحمن الرافعي
- ٢٦- عبدالرحمن الجبرتي
- ٢٧- د. علي الجريتي
- القومية العربية
- تاريخ العرب الحديث والمعاصر
- تاريخ الزراعة المصرية في عهد محمد علي
- تاريخ مصر الاقتصادي في القرن ١٩
- مصر وكيف غدر بها (ترجمة عبدالفتاح عنایت)
- تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث
- كشف الستار عن سر الأسرار
- تاريخ التعليم في عصر محمد علي
- تاريخ التعليم في عصر توفيق وسعيد وإسماعيل
- إسرائيليات
- تاريخ مصر السياسي من الاحتلال إلى المعاهدة
- تاريخ قضية فلسطين
- تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة ١٨٠٠-١٩٥٠
- التطور الاقتصادي في مصر
- تاريخ النهب الاستعماري في مصر
- ميثاقها وانجازاتها
- تاريخ مصر الحديث والمعاصر
- التطور الاقتصادي في مصر العصر الحديث.
- تخليص الإبريز في تلخيص باريز
- بنوك وباشوات
- كبار ملاك الأراضي الزراعية ودورهم في مصر ١٩١٤-١٩٥٢
- مصر في الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥
- تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم
- عصر محمد علي
- عصر إسماعيل
- عجائب الآثار في التراجم والأخبار
- تاريخ الصناعة في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تطور الملكية الزراعية في مصر ١٨١٣-١٩١٤ وأثره على الحركة السياسية  
الامتيازات الأجنبية  
زعيم الثورة سعد زغلول  
مقدمات ثورة ٢٣ يوليو  
ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢-١٩٥٩  
ثورة ١٩١٩  
تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨-١٩٣٦  
دراسات في تاريخ العرب المعاصر  
المدخل إلى تاريخ مصر الحديث  
تاريخ مصر الاجتماعي  
تاريخ أوروبا الحديث في عصر النهضة  
تاريخ مصر السياسي في الأزمنة الحديثة  
محمد على الكبير  
تاريخ مصر الحديث  
تاريخ مصر الاقتصادي الحديث  
مصر والسودان  
ثورة ٢٣ يوليو وأصولها التاريخية  
الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر  
بونايرت في مصر  
مصر في مطلع القرن ١٩ (ثلاث أجزاء)  
انجلترا وقناة السويس  
مشكلة فلسطين والاتجاهات الدولية  
تصريح بلفور  
تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ١٨٨٢-١٩٣٦  
مذكرات في السياسة المصرية  
الاقتصاد والإدارة في مصر  
ملفات السويس  
البحث عن الذات  
جمال عبدالناصر والعالم

٢٨- د. على بركات  
٢٩- عمر لطفي  
٣٠- عباس المقاد  
٣١- عبدالرحمن الرافعي  
٣٢- عبدالرحمن الرافعي  
٣٣- عبدالرحمن الرافعي  
٣٤- د. عبدالمعطي رمضان  
٣٥- د. عمر عبدالعزيز عمر  
٣٦- د. السيد رجب حراز  
٣٧- د. عبدالمعطي زناور  
٣٨- د. عبدالمعطي زناور  
٣٩- محمد رفعت  
٤٠- د. محمد شفيق غريال  
٤١- د. محمد مبري  
٤٢- د. محمد فهمي لهيطة  
٤٣- د. محمد فؤاد شكرى  
٤٤- د. محمد أنيس  
٤٥- د. محمد أنيس  
٤٦- كريستوفر هرلد (ترجمة فؤاد اندراوس)  
٤٧- د. محمد فؤاد شكرى  
٤٨- د. محمد مصطفى صفوت  
٤٩- د. جلال يحيى  
٥٠- د. محمود صالح منسى.  
٥١- محمد شفيق غريال  
٥٢- د. محمد حسين هيكل  
٥٣- هلين آن ريفلين (ترجمة د. أحمد مبراهيم)  
٥٤- محمد حسنين هيكل  
٥٥- محمد أنور السادات  
٥٦- محمد حسنين هيكل

## إرشادات

- ★ العلم هو الوسيلة الوحيدة التي يرتفع بها الإنسان إلى مراتب الكرامة والشرف، والعلم هو الدعامة الأساسية للأمن القومي لمصر.
- ★ نحن أمة لها مستقبل ... بعقول أبنائها وقوة سواعدهم.
- ★ جودة الطعام ليست بقيمته المادية، ولكن بقيمته الغذائية.
- ★ السلام، والحق، والعدل، قيم رفيعة يجب أن نتمسك بها، ونحافظ عليها.
- ★ التدخين عادة سيئة، تدمر الصحة، وتبدد المال، وتعرضك لأمراض الشيخوخة المبكرة.
- ★ من دعائم الديمقراطية أن تعبر عن رأيك في حرية تامة، وتحترم أيضا حرية الآخرين في التعبير عن آرائهم.
- ★ صوتك المرتفع دليل على ضعف موقفك.
- ★ ليس بالحفظ والاستظهار تحظى بالتفوق .. ولكن بالفهم والتحليل والتطبيق تزداد معارفك، وتنمو قدراتك.
- ★ مصر تحتاج إلى المفكرين والمبدعين .. فلم لا تكون واحداً منهم؟
- ★ نظافة البيئة وحفظها من التلوث، مسئوليتنا جميعاً، وواجهة حضارتنا العريقة.
- ★ النظافة من الإيمان.
- ★ نظافة مدينتك عنوان لمصر أمام العالم.